الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع:

مكانة الإنسان في المعادلة الحضارية بين روجي غارودي وعلي شريعاتي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد:

علال حنان

إشراف الأستاذ:

– أرفيس علي

السنة الجامعية

2019/2018

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا
مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن
وَالٍ﴾ الرعد "11"

شكر وعرفان

الحمد لله ما خفقت القلوب محبه وما تربطت الألسن بذكر وما رفعت الأيدي بمسألته

الحمد لله على منه أعطى وتكرم وتفضل وتنعم من توفيق وسداد وعلى ما منحنا من قدرة لتخطي الصعاب.. وأصلي وأسلم على خير الورى خير من وطأت قدمه الثرى رسول السلام ومنقذ البشرية من الظلام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

بعد شكر الله عز وجل لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل علي آرفيس الذي لم يبخل عليا بجهده وحرصه فجزاه الله خيرا على دعمه وتواضعه وحسن معاملته..جزيت خيرت وكفيت أجرا.

ولا يفوتني أيضا أن أقف وقفة تقدري وشكر ووقفة وفاء وامتنان لأستاذي الفاضل زروخي الدراجي الذي طالما آمن بقدراتي وشجعني تطوير ذاتي وتفانى في نصحي وتوجيهي لإتمام هذا العمل فبارك الله جهدك ورفع الله قدرك.

كما أتقدم بالشكر الجزيل وخالص التقدير لكل أساتذتي من الطور الابتدائي إلى بوركت جهودكم.

وشكر جزيلا لكل من ساهم في إنجاح هذا العمل وإخراجه على هذه الصور

اهداء

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه أن وفقنا لإنجاز هذا العمل.

أهدي هذا العمل إلى صانع الحضارة الإسلامية إلى رسول العالمية إلى ملهم البشرية والإنسانية محمد عليه الصلاة وأزكى التسليم.

إلى من علمتني معنى الحب وسقتني ورعتني بكل ود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم لتعبي واجتهادي إلى حبيبة الروح ماما.

إلى تاج رأسي وقرة عيني إلى من فضله علي لا يعد ولا يحصى..إلى كل من أمنيته أن أكون رقم واحد في تخصصي بابا الغالي.

إلى رفيق الدرب ومعلم الحب ومصدر الدعم زوجي عبد المنعم وإلى عائلته بن حمدة.

إلى من نشأت معهم وكبرت أحلامي برفقتهم إخوتي وأخواتي إلى أولادهم.

إلى كل الأصدقاء جميعا.. إلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

أهدي ثمرة جهدي إلى من علمتنا أن القيادة مصداقية وتأثير..إلى من غرست فينا القيمة الفاعلية وحب التغيير إلى أكاديمية جيل في كل ربوع الوطن.

مقدمة

مقدمــة:

في ظل التطورات الكبرى التي شهدها عالمنا اليوم من تقدم تكنولوجي وتطور في التقنية، وفي خضم الصراعات الفكرية بين عالم الغرب والشرق، وبين الحضارات الغربية واللاغربية، أصبح موضوع بعث حضارة إنسانية من بين أبرز المواضيع التي لقيت اهتماما فــي أوساط المفكرين والمصلحين والفلاسفــة الحضاريين، خاصة مع مطلع القرن العشرين، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى رغبة الأمم في خلق واقع اقتصادي وسياسي وثقافي يليق بالإنسان، ويحفظ إنسانيته وكرامته، وأن يكون على رأس اهتماماته تلبية حاجاته واحتياجاته، والسعي لتأسيس مشروع حضاري يولي أهمية للقيم الأخلاقية، ويعنى بالجانب المعنوي للبشر، وذلك نظرا لانتشار وسيطرة النموذج الغربي على الساحة العالمية، وما كرسه من مادية وإهمال للغايات الإنسانية، التي ورطت الفرد في العديد من أزمات النفسية والاجتماعية؛ كالاغتراب والبطالة وغيرها من الأزمات، التي انعكست عليه سلبا ، فبدل أن تساهم إيجابيا في احتواءه وحل مشاكله وأزماته، أثرت عليه عكس ذلك، هذا من جهة الغرب، أما في عالم الشرق، وبالتحديد في الأوساط العربية الإسلامية، اصطدمت هي الأخرى برياح الحضارة الغربية التي حاولت أن تطمس هويتها، باسم الحضارة وتقتلع جذورها وتاريخها باسم العصرنة، وتسلبها حريتها باسم التقدم والتطور، بل إلى أبعد من ذلك فقد حاولت أن تمحي كيانها من الوجود تحت راية العولمة، فمارست عليها أشكال مختلفة من الاستعمار، وألوان متعددة من سياسات الإلهاء والاستغلال، وهذا ما دفع المفكرين والمصلحين أمثال غارودي وشريعاتي، أن يتخذوا موقفــا نقديا تقويميا للحضارة الغربيــة، ورفض رؤيتهــا الحضارية فـــي أن تكون حلا لأزمات الإنسان، بل حذروا

من المآلات والانعكاسات التي تنتج على كل من يسلك نهجها ، ويحذو حذوها، رغبة في إبداع نموذج بديل؛ أي توفير مستوى حضاري ينبذ منطق الإقصاء والصراع ويحبذ سياسة الانفتاح والحوار، يعتز بالهوية الوطنية، ويؤمن بفكرة الحضارة العالمية الإنسانية.

تعددت الأطروحــات الفكريــة، وتباينت رؤى المشاريع الحضاريــة، فــي تقديم التصورات عن الإنسان، وفي تحديد أدواره الحضارية التي توليه مسؤولية التغيير والتطور، وتمكنه من الإصلاح والتعمير، محاولا ذلك احتواء الذات الإنسانية بأبعادها الروحية والمادية، وإعطاء الفرد الحرية من أجل المساهمة في بعث حضاري ينصف الإنسانية.

وبناءا على ما سبق، ومن خلال الأفكار التي قدمها كل من غارودي وشريعاتي ضمن مشاريعهم الحضارية، حق لنا أن نطرح **الإشكالية التالية:**

– كيف نظر كل من غارودي وشريعاتي إلى مكانة الإنسان ودوره في المعادلة الحضارية ؟ وهل تجاوز أحدهما طرح الآخر؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا **على خطة البحث** التالية:

مقدمة: عرجنا فيها على الموضوع بصفة عامة، وطرحنا الإشكالية المراد معالجتها.

الفصل الأول: عنوناه بالحضارة عند غارودي، وقد قسم إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول: مفهوم الحضارة

المبحث الثاني: الفلسفة والحضارة

المبحث الثالث: الإنسان ودوره في صناعة الحضارة عند غارودي

الفصل الثاني: تطرقنا إلى رؤية شريعاتي للحضارة، وعنوناه بالحضارة عند شريعاتي

المبحث الأول: مفهوم الحضارة والثقافة عند شريعاتي.

المبحث الثاني: دواعي المشروع الحضاري عند شريعاتي.

المبحث الثالث: الإنسان ودوره في صناعة الحضارة.

الفصل الثالث وهو الفصل الأخير، عنوانه مكانة الإنسان الحضارية بين غارودي وشريعاتي، ويتضمن ثلاث مباحث

المبحث الأول: مواطن الاتفاق عند غارودي وشريعاتي

المبحث الثاني: مواطن الاختلاف بين غارودي وشريعاتي

المبحث الثالث: استنتاج

الخاتمة: وتم فيها عرض أهم النتائج التي توصلنا إليها.

ولحل الإشكالية التي سبق طرحها، اتبعت **المنهج التحليلي** لعرض الأفكار وشرحها، **والمنهج المقارن** للوقوف على نقاط التشابه والاختلاف بين فكر غارودي وشريعاتي.

تكمن **أهمية البحث** في مشروع كل من غارودي وشريعاتي نظرا للصدى الذي حققاه في أوساط المفكرين، من خلال تقديمهما لتصور جديد عن الإنسان والحضارة، يختلف بتاتا عن التصور الغربي، بالإضافة إلى سعيهما لتأسيس حضارة مفعمة بالإنسانية، وتنبض بالقيم الأخلاقية، وعبروا على ذلك برفض النظرة الأحادية وسياسة الاستعلاء التي تعاني منها الحضارات اللاغربية

بالنسبة للدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع دون غيره من المواضيع، يمكن أن نصنفها إلى موضوعية وذاتية، فالموضوعية هي رغبتي في التعرف على المشاريع الحضارية وتصور مكانة الإنسان داخلها، واخترت غارودي وشريعاتي بالتحديد لأتعرف على نموذج من الفكر الغربي ونموذج من الفكر الإسلامي، لنرى الفروقات الجوهرية بينهما، أما دوافعي **الذاتية** فهو ولعي الشديد بالمواضيع الحضارية، و إعجابي الكبير بشخصية غارودي ذات البعد العالمي والإنساني.

وفيما يخص **المصادر والمراجع** لهذا البحث، فقد تم توظيف أغلب مؤلفات غارودي وشريعاتي خاصة المترجم منها، بالإضافة إلى الاعتماد على بعض الدراسات السابقة.

وفي هذا البحث اعترض طريقي **بعض الصعوبات** من بينها:

شمولية الموضوع، وصعوبة حصر المعلومات.

بالإضافة إلى كونه موضوع استنتاجي، ومنه عدم توفر مراجع تجري عملية المقارن مباشرة وبفضل الله وبفضل جهود الأستاذ توجيهاته، تمكنت من تجاوزها.

الفصل الأول

الحضارة عند روجي غارودي

المبحث الأول: مفهوم الحضارة.

المبحث الثاني: الفلسفة والحضارة

المبحث الثالث:الإنسان ودوره في صناعة الحضارة عند غارودي

تمهيد:

في عالم سادته المادية وطغت عليه الشيئية وسيطر عليه الصراع والآلة والمقصود بذلك عالم الغرب الذي أهمل مكانة الإنسان ودوره في إمكانية وضع حد لهذه الأزمات والمشاكل التي يعاني منها المجتمع المعاصر ،جاء طرح بديل عن كل ذلك تمثل في مشروع حضاري لروجي غارودي ،صاحب الطرح النقدي ومتبني فكرة حوار الحضارات ببعدها العالمي ومن هنا قد نطرح تساؤل ما مفهوم الحضارة عند غارودي ؟وما موقفه من الغرب ؟وكيف نظر إلى الإنسان في معادلته الحضارية ؟

المبحث الأول: مفهوم الحضارة

يعتبر مصطلح الحضارة من بين المصطلحات اللغوية التي يستعصى ضبط مفهومها، والاستقرار على تعريف واضح وقطعي لها، فقد شهر هذا المصطلح العديد من التطورات والتغيرات على مر العصور، وظهرت آراء مختلفة لعلماء لغويين وفلاسفة، حول ما تعنيه هذه الكلمة، وقد يعود سبب الاختلاف إلى المنطلقات الفكرية والتصورات الذهنية المشكلة من خلال التكوين الذي تعرضوا له، وقد يعود ذلك أيضا إلى تعدد مجالات واستعمال كلمة الحضارة، وفي هذا البحث نحاول تناول مفهوم الحضارة عند العرب وعند الغرب وعند فيلسوف الحضارة روجي غارودي[*].

أولا: مفهوم الحضارة عند العرب.

1-مفهوم الحضارة في اللغة العربية:

لقد ورد لفظ الحضارة في العديد من المعاجم الحديثة، وقد اشترك البعض منها على أنها تعني الإقامة في الحضر، ولقد ورد في لسان العرب " **حضر: الحضور: نقيض المغيب والغيبة، والحضر: خلاف البدو، والحاضر: خلاف البادي، الحاضر: المقيم بالبادية، والحضر والحاضرة: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار،**

[*] غارودي روجيه: مفكر فرنسي ولد بمرسيليا سنة 1913، عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي عام 1956، فصل من الحزب إثر مواقفه من أحداث شيكوسلوفاكيا عام 1968. جورج طرابيشي: المعجم الفلسفي، مادة روجي غارودي، دار الطليعة، بيروت، ط، 2006، ص420.

والحاضرة والحاضر: الحي العظيم أو القوم "[1].

ويبدو أن مفهوم الحضارة عند العرب يرتبط بمكان عيش الإنسان، فالذي يقطن في المدينة يطلق عليه لفظ المتحضر، الذي هو خلاف الطي يقطن بالقرية أو البادية، فذا ننفي عليه صفة التحضر، لا لشيء سوى مكان إقامته هو الذي حدد ذلك بعيدا عن كل المظاهر الحضارية، كسلوكات أو تصرفات، كعلوم أو فنون كمنتجات مادية أو معنوية، كما ورد في معجم الوجيز أن " **الحضارة: الإقامة في الحضر وهي ضد البداوة ، مظاهر الرقي العلمي والفني والاجتماعي في الحضر** "[2].

2-مفهوم الحضارة عند ابن خلدون:

يعتبر معنى الحضارة قديم، قدم التاريخ الحضاري، فلا حضارة بدون إنسان، ولا إنسان بدون تاريخ، ولقد عرفت الشعوب والأمم الحضارة منذ القدم وعبرت عن مظاهرها من خلال أشكال وألوان مادية ومعنوية متعددة ، تختلف من مجتمع لآخر ومن عصر لآخر[3]، ونجد من بين الفلاسفة الذين نلمح في مؤلفاتهم مصطلح الحضارة الفيلسوف ابن خلدون، خاصة في كتابه المقدمة، فمرات يرد باسم الحضارة كلفظ صريح، ومرات أخرى نجده يعبر عنه بما يسمى العمران، وقد يعود سبب تنوع مدلولاتها نتيجة لمصطلحات عصره، يعرف ابن خلدون الحضارة قائلا: " **والحضارة إنما هي تفتت في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه، تختص به ويتلو بعضها بعض** ؛فالحضارة إذن في التصور الخلدوني هي تلك المرحلة التي يصل فيها الإنسان الحد قمة الترف وأوج العيش في البذخ، فبدل أن يكتفي الإنسان بما هو ضروري كما كان سائدا في مرحلة البداوة، يبحث عن الكماليات والزائد عن الضروريات، بلوغا لمرحلة يصل فيها العمران البشري إلى درجة كبيرة من التأنق والتصنع في شتى مجالات ونواحي الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومبنى وفرش وغيرها.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، ط1، 1955، ص ص196،197.

[2] مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، بيروت، دط، 1994، ص157

[3] عيساوة وهيبة: مفهوم الحضارة عند ابن خلدون وأبعاده، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد2، الجزائر، 2006، ص395.

3- الحضارة عند مالك بن نبي:

يعتبر مالك بن نبي ابن خلدون زمانه كما يسميه البعض، دون أن تنفي عليه فكرة الإبداع والتجديد التي اتسم بها مشروعه الحضاري، وهو من بين أبرز المفكرين والباحثين الذين عنوا بمشكلة الحضارة، وأخذوا مسؤولية التغيير والتطوير، وصناعة الحضارة وتحقيق النهضة على عاتقهم، وهذا ما تؤكده أغلب مؤلفاته التي يظهر فيها جليا أن مسألة الحضارة، قد أخذت حصة الأسد فيها، حتى أصبح موسوما بها.

لقد حاول بن مالك تقديم الحضارة، فهو في تصوره من الناحية التركيبية أن " **الحضارة في مجموعها ناتجا للإنسان والتراب والوقت** "[1]؛ فالإنسان باعتباره ذاتا واعية بإمكانها أن تحرك عجلة التاريخ، ما إن توفر فيها الوعي، ومتى وجدت الوقت المناسب بالإضافة إلى توفر عنصرا حضاريا آخر ألا وهو التراب باعتباره أحد أطراف المعادلة الحضارية الذي لا يمكن الاستغناء عن أي طرف فيها.

كما أضاف لتلك العناصر الفكرة الدينية لما لها أهمية كبيرة باعتبارها الحاضنة أو الوسط الذي تتفاعل فيه مكونات الحضارة، ويقول في ذلك ابن نبي: " **إن الوسيلة إلى الحضارة متوافرة، مادامت هناك فكرة دينية تؤلف بين العوامل الثلاثة: الإنسان والتراب والوقت، التركيب منها كتلة تسمى في التاريخ حضارة** "[2].

ثانيا: مفهوم الحضارة عند الغرب:

1/ عند لالاند: يعرفها لالاند في موسوعته قائلا: " **إن حضارة ما هي مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة، ذات طبيعة قابلة للتنقل، تتسم بسمة دينية أخلاقية، جمالية فنية، تقنية أو علمية، ومشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو عدة مجتمعات مترابطة، الحضارة الصينية، الحضارة المتوسطية** " [3].

إن لالاند قد أعطى مفهوما للحضارة مبنيا على أهم بعد يتسم به الإنسان، وهو البعد الاجتماعي، فالحضارة لن تقوم لها قائمة بمعزل عن الغير، ففي قلب البعد الاجتماع الإنساني، تكون الحضارة وتبنى، كما وصفها بأنها عبارة عن جملة من المظاهر والأدبيات والأذواق والجماليات والعلوم قابلة للانتقال من مجتمع لآخر ومن حضارة لأخرى، أي قابلة للاكتساب ما يضمن من خلال ما سبق تطور الحضارات وتلاقح أفكارها، وترسيخ فكرة

---

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط1، 2013، ص50.

[2] نفسه، ص64.

[3] أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، تع خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص172.

التبادل الحضارة بين الأمم والشعوب، كما نجده أنه قد أكد على أن كل تطور حاصل في مجال الأخلاقيات والفنيات وكل تطور تقني أو تكنولوجي يمكن أن ندرجه تحت مصطلح الحضارة.

2/ عند ول ديورانت:

عرفها ديورانت في كتابه قصة الحضارة على أنها: " **نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، النظم السياسية، التقاليد الخلقية ومتابعة العلوم** " [1]؛ ونرى أن تعريف ديورانت للحضارة هو تعريف فضفاض يسع ويشمل كل مناحي الحياة ، فلا يقتصر للحضارة بعد شمولي، محيط بكل ما يتعلق بحياة الإنسان، فأي مظهر فكري سواء كان ذلك في الاقتصاد أو السياسة أو الأخلاق، أو شتى العلوم بإمكانه أن يدير دولاب التقدم والتطور ينسب إلى ما يسمى بالحضارة.

ثالثا: الحضارة عند غارودي

غارودي من بين الفلاسفة والمفكرين الذين أسالت الحضارة مداد أقلامهم، واستولت على عصارة فكرهم وأفكارهم، وهو من بين الذين تتبعوا دلالات هذا المصطلح ووضحوا ما ترمي وما تنطوي عليه من مفاهيم ومعاني وغايات ومرامي، من خلال جملة الدراسات والإسقاطات التي قام بها على العديد من الحضارات، كالحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية، فمن خلال مؤلفات غارودي صاحب المشروع الإصلاحي الحضاري يظهر جليا وضمنيا تعريفه للحضارة على أنها " **مجمل العلاقات التي يلتزم بها الفرد أو مجتمع مع الطبيعة ومع البشر الآخرين، والبحث عن غاياتهم الأخيرة، تلك التي يسميها البعض " الله " ويسميها الآخرون " الحكمة** " [2]، يولي غارودي في تقديم مفهومه للحضارة أهمية كبيرة للعلاقات الاجتماعية مما يعطيها بعد اجتماعي وإنساني، الذي لن تقوم بمعزل عنه للحضارة القائمة، وهي بذلك دعوة لتفعيل شبكة العلاقات داخل المجتمع ورفضت لكل ما يمت بصلة للانعزالية أو الفردانية، كما " **يرتبط مفهوم الحضارة عند غارودي بمفاهيم أخرى، وهي المجتمع، الثقافة والرؤية الكونية، ولا يفصل كثيرا بين مفهومي الحضارة والثقافة، إذ تعد الحضارة والوعاء الذي يحتضن ثقافة المجتمع، الذي يعتبره النواة الأولى في تعريف**

[1] ول ديورانت: قصة الحضارة، زكي نجيب محمود، ج1، المجلد الأول، دد، بيروت، دط، دت، ص3.

[2] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ترجمة منى طلبة، أنور مغيث، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002، ص280.

الحضارة... ما يميز كل مجتمع هو اشتراك أفراده وجماعاته في رؤية تتحدد وفقها العلاقات فيما بينهم ، ومع الطبيعة ومع الله، تنتج عنها ثقافة المجتمع "[1].

المبحث الثاني: الفلسفة والحضارة

أولا: مفهوم الفلسفة

الفلسفة هي الأخرى من ضمن المفاهيم التي يصعب ضبطها وإدراجها تحت مفهوم واحد يرضى وتجمع عليه جميع العقول، وذلك لتعدد ماهية هذا المصطلح ووظيفته وغايته، وقد شهد هذا المفهوم جملة من التعديلات والإضافات التي زادت من تنوع الاصطلاحات عليه، من قبل المذاهب والأنساق الفلسفية باختلافها وتطورها على مدى العصور " **وعموما، يمكن القول أن مشكلة التعريف ليست حكرا على الفلسفة وحدها، بل هي مشكلة تكاد تطرح في كل العلوم والمجالات التي تضع الإنسان والمجتمع موضوعا لها "**[2].

وقد عرفها جميل صليبا في معجمه الفلسفي على أنها: " **لفظ الفلسفة مشتق من اليونانية وأصله (فيلا_صوفيا)، ومعناه محبة الحكمة، ويطلق على العلم بحقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح "**[3].

أما في العصر اليوناني فقد عرفها أرسطو بقوله: " **إنها العلم بالأسباب القصوى، أو علم الموجود بما هو موجود "**[4].

" **ولقد كان لهذا التعريف الأرسطي للفلسفة صدى كبير عند الفلاسفة اللاحقين في كل الحضارات_مسلمين، مسيحيين، يهود_، الذين سعى الكثير منهم إلى محاولة الجمع والتوفيق بين أديانهم وفلسفة أرسطو "**[5].

---

[1] كتاب جماعي لمجموعة من البحوث في إطار النشاطات العلمية لمخبر حوارات الحضارات والعولمة، اشراف عبد المجيد عمراني، دار قانة للنشر والتجليد، باتنة، الجزائر، دط، 2015، ص ص149، 148.

[2] محمد بومانة وآخرون: مبادئ الفلسفة العامة، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، دط، 2015، ص10.

[3] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، مادة الحضارة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1982، ص476.

[4] نقلا عن: المرجع نفسه.

[5] محمد بومانة وآخرون: مبادئ الفلسفة العامة، ص15.

أولا: الفلسفة عند غارودي:

إن المتأصل في جملة التعريفات والمفاهيم التي قدمت إزاء الفلسفة مبنية جوهرها وشارحة لغاياتها يجدها تتأرجح أن تكون من ضمن المواضيع التي تدرسها هي تلك المواضيع الموسومة بالمسائل الميتافيزيقية، كتلك المتعلقة بالوجود مثلا، وبين تحديث لمهمتها كي تعني الإنسان، والقضايا التي تشغل فكره، والمشاكل التي تؤرق ذهنه، والمتاعب التي تضعف كاهله، خاصة مع التغيرات التي الساحة العلمية اليوم، والإفرازات المنجزة عن تطورات العلم وثورة التقنية ، فغارودي من بين الذين يدعون الفلسفة إلى الانغماس في القضايا اليومية

لتحديد ورسم المعاني المرجوة من حياة الإنسان، فصاغ تعريفا لها في قوله: " **إن الفلسفة بالمعنى الصحيح، أي التفكير في الغايات، وفي معنى الحياة، والمشاركة في الفعل لتحقيق هذه الغايات وهذا المعنى** "[1]؛ فوظيفة الفكر الفلسفي هو رسم الغايات السامية والمرامي الهادفة التي تجعل سلوكات الإنسان في إطارها الصحيح،

كما أنها تزيل كل لبس عن الرؤية التي البعد الإنساني في الحياة، كون الإنسان في بساطة الأفعال، أم إذا اقترنت بغاية أسمى صار معناها أرقى، ومنه هي الغاية ودعوة الفلسفة لمشاركة الإنسان في أفعاله اليومية كسر لطوق الذي يتمسك به كل من يمارس فعل التفلسف، كاستعمال لغة غير مفهومة أو التحليق مع قضايا خارج اهتمام الفرد.

أشار غارودي من خلال ما قدمه بشأن الفلسفة ، مسألة التفكير في المرمي دعوة ضمنية للاهتمام بالبعد الروحي الذي يكاد يقضي عليه العلم بتكريس ماديته، وبهذا يصبح معنى أقرب للحياة لغايتها، ومنه " **إن ممارسة التفلسف هو تجسيد لإنسانية الإنسان، لأن الإنسان لا يتميز عن الحيوانات الأخرى إلا بالقوة العاقلة ، وإذا عطل تلك القوة وامتنع عن ممارسة التفكير فإنه ينزل إلى مستوى البهيمية** "[2]، فالتفلسف هو ارتقاء بأسمى بعد في الإنسان كونه إنسان عاقل، وهو البعد الروحي وهذا ما يميزه عن الحيوان الذي غاية وجوده هو إشباع غريزته المادية، فالتفلسف أحد مظاهر أعمال العقل وانشغاله بقضاياهم الشأن الإنساني ، وفرصة لإثراء المجال الفكري بآراء وأفكار تخدم الإنسانية ومنه يحقق الإنسان ذاته بمعنى الألم للكلمة.

---

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص232.

[2] محمد بومانة وآخرون: مبادئ الفلسفة العامة، ص16.

ثانيا: نقد الفلسفة الغربية

إن عملية النقد التي يمارسها العقل الإنساني سالفا واليوم هي من بين الظواهر الصحية في الأوساط الفلسفية ، ذلك من أجل تقييم ما ينتجه الفكر وتصنيفها في إطار ما يبني ويخدم الإنسان والحضارة معا وما يصم كليهما. تعتبر الفلسفة الغربية مهد لبعث الحضارة الغربية ومصنع لجملة المنطلقات والملامح التي تصف خطوطها العريضة، وتنسج الأهداف والغايات التي ترمي إليها، فما وصلت وما آلت إليه حضارة الغرب اليوم هو من نسج أفكار فلاسفتها ومصلحيها إن صح التعبير.

إن المتأمل في النموذج الغربي الذي يقدم في الساحة الحضارية للتعريف لماهية الإنسان والذي يرى نفسه قادرا على حل مشاكله بات لا يرضي الكثير من الفلاسفة ومعتنقي المذهب الإنساني بصفة عامة، كونها عجزت على استيعاب الإنسان ومشاكله والتغيرات التي رافقته نتيجة التطور التقني والعلمي من هؤلاء روجي غار ودي الذي أراد أن يشيد مشروعه الحضاري بعد تقييم كل المشاريع والمبادرات التي سبقته ليستثني ما يتوافق مع آرائه التي لها مبرراتها وبين ما تعارض مع غايات الوجود الإنساني، ومع ما يتنافى مع الطبيعة الإنسانية.

" **إن غارودي يقوم بنقد الفلسفات الغربية مبينا قصور تصورها للإنسان، وهو ما يعبر عن أزمة الفكر الغربي، والتي ساهمت بدرجة كبيرة في أزمة الحضارة الغربية، ومن خلالها أزمة الإنسان، بالنظر إلى العلاقة الجدلية بين الإنسان والحضارة** "[1].

1- نقد الفكر الوضعي:

" **تعد الفلسفة الوضعية واحدة من أهم الفلسفات الغربية المعاصرة، ويمكن القول بأن الحضارة الغربية المعاصرة مدينة في تقدمها العلمي والتكنولوجي (المادي) بالشيء الكثير لهذه الفلسفة، والمقابل، فإن نقاد هذه الحضارة ينظرون لهذا التقدم المادي على أنه تقديم زائف، وأنه مظهر من مظاهر أزمة هذه الحضارة يحملون هذه الفلسفة مسؤولية كبيرة عن هذه الأزمة ومن هؤلاء غارودي** "[2] ، وقبل التفصيل في النقد الذي وجهه غارودي، علينا أن نعرج على تعريف الفلسفة الوضعية.

---

[1] الشريف طاوطاو: الإنسان في فلسفة روجي غارودي، ج2، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه للعلوم في الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 2010، غير منشورة، ص53.

[2] نفسه ، ص54.

إن " **الوضعي من الأشياء، ما وضعه الله تعالى، أو ما وضعه الخلق** "[1]، وقريب من هذا المعنى إطلاق هذا اللفظ في فلسفة أوغست كونت على الواقعي أو الفعلي المستقل عن الشرع الإلهي.

" **فالوضعي بهذا المعنى مرادف للحقيقي والتجريب، ومقابل للتأمل والوهمي ، والحالة الوضعية في قانون الحالات الثالث مقابلة للحالة الميتافيزيقية والحالة اللاهوتية** "([2])، فالوضعية هنا هي كل ما تواضع عليه الإنسان وما توصل إليه من حقائق عن طريق العلم والتجربة، واعتبارها مسلمات يأخذ بها العقل ولا يتراجع عنها أو يطعن في صحتها، كما أن الوضعية المنطقية تستثني كل ما هو ميتافيزيقي لاهوتي، لم تتمكن العين الحسية من مشاهدته قصد دراسته، وهي أحد المزالق التي نبه غار ودي إليها أنها فلسفة رافضة كل الفلسفات السابقة عنها، وتقر وتعترف ما يمليه العلم فقط، يقول روجي غار ودي مبينا ذلك " **وقد كان أوغست كونت هو الذي قدم التصور القائم على الإيمان المبالغ فيه بالعلم، وكان هذا التصور يتضمن استبعاد الفلسفة** "[3]؛ فهي بذلك قد مارس قطيعة فكرية مع كل ما هو تأملي ميتافيزيقي، وهو بذلك إنكار لأهم بعد في الإنسان إن صرحنا بأنه كائن يحمل في عمقه وجوهره حقائق مفارقة لكل ما هو طبيعي وإهمال الميزة للفرد بها عن بقية المخلوقات وهي ميزة العقل، الذي يجعله يطرح أسئلة لتحقيق ماهيته ووجوده، وتجسيد كروح مادية طغت على كل الفلسفات الغربية بما فيها الفلسفة الوضعية.

إن تبنينا الطرح الوضعي، فأين يمكننا وضع تلك الأسئلة التي يطرح الإنسان مستفهما عن سر وجوده وكينونته، سائلا عن غايته وأهدافه من حياته كلها، فهذا التجاوز يمثل هذا النوع من التساؤلات يضعنا أمام " **نوع جديد من البشر: الإنسان المبرمج ويعني هؤلاء الذين يشبهون العقول البشر بالكمبيوتر، متناسي أن خاصية الإنسان هي طرح الأسئلة النهائية، وقبلها أسئلة لماذا وما الأهداف النهائية** "[4]؛ هذه الميزة الآلية التي ألصقتها الوضعية بالإنسان، ولعل السبب وراء هذا التبني والوثوقية المبالغ فيها هو جملة التطورات التي سجلها العقل في الجانب التقني التكنولوجي، هذا ما جعل الإنسان في نظر كونت من يعتنق مذهبه ما هو إلا وسيلة كآلة الحاسوب مثلا، مهملا كل الأبعاد المساهمة في تكوين جوهر الإنسان وماهيته، وفي نهاية المطاف " **إن ظهور الفلسفة الوضعية في العصر الحديث على يد أوغست كونت جاءت كتعبير عن روح العصر التي طغت**

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص577.

[2] نفسه، الصفحة نفسها..

[3] روجي غارودي: نظرات حول الإنسان، تر يحي هويدي، دد، القاهرة، ط3، 2002، دط، 1983، ص20.

[4] روجي غارودي: حفار والقبور، تر عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002، ص89.

على الفكر الغربي، وهي الروح المادية التي ظهرت كنتيجة لتطور العلم، ولذلك فإن ظهورها يمثل لحظة حاسمة في لحظات الانفصال التي ميزت الفكر الغربي "[1]؛ وهذا ما يتعارض مع ما يدعو إليه غار ودي من تعالي وتسامي وبحث في قائمة المعاني الذي بدوره يرفع من شأن الوجود الإنساني بعيدا عن غياهب المادية الجامدة.

2-نقد غار ودي للفلسفة البنيوية:

البنيوية كفلسفة هي أيضا ضمن ما يشكل الفكر الفلسفي الغربي، والبنية يعرفها جون بياجي في قوله: " **وتبدو البنية بتقدير أولي مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة(تقابل خصائص العناصر) تبقى أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية** "[2].

مما تتصف به البنيوية أنها فلسفة تحافظ على النسق، وتتبنى فكرة الكلية والمجموع دون أن تغفل دور العنصر فيها، وبالإسقاط على الظواهر الإنسانية التي هي رأس الاهتمام " **يقوم المنهج البنيوي على تفكيك الظاهرة الإنسانية إلى العناصر المؤلفة لها، قصد التعرف على آلية عمل هذه العناصر من خلال فهم العلاقات الداخلية القائمة بينهما** "[3]؛ فهي بذلك منهج تفكيكي للمجموعة التي تمثل الظاهرة الإنسانية الأم ، إلى جملة الظواهر الإنسانية التي تكونها، والممثلة في نموذج البنية بالعناصر، ولا يمكن أن ندرسها أو نحللها إلا في ظل نسق الكلية الذي تنتمي إليه في البنيوية ، وآن غار ودي ينقد البنيوية دون أن ينفي دورها وأهميتها التي ساهمت به لاحتواء مشاكل الإنسان ومعالجة أهم الموضوعات التي أرهقت فمره واستنفذت جهده " **علينا أن نعترف بمشروعية البنائية كمنهج على الكشف والتحليل، تتجلى فائدته في إظهارنا على مستوى معين من الواقع البشري والاجتماعي، ونرفض البنائية عندما تزعم أنها قد أصبحت فلسفة تقدم لنا حلا تحليليا شافيا للواقع البشري، تحليلا يؤدي إلى إنكار لحظة الخلق ولحظة الذاتية** "[4]؛ فغار ودي يقول نعم للبنيوية كمنهج قام على تحليل الظواهر، وتمكن من إبراز واقعيتها على الصعيد البشري والاجتماعي، لكن ينكر استعلاءها وزعمها بأنها قد أصابت عين الحقيقة بمفردها، وهي بذلك قد ألصقت صفة الانغلاق بها، ويمكن

---

[1] نقلا عن: شريف طاوطاو: الإنسان في فكر رجاء غارودي، ج2، ص54.

[2] جان بياجي: البنوية، ص 08.

[3] الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، دار صبحي، غرداية، ط1، 2015، ص260.

[4] روجي غارودي: نظرات حول الإنسان، ص300.

وصفها بأنها نسق مغلق بإمكانه استيعاب مشكلات الإنسان والوقوف على تقديم الحلول الشافية الكافية التي تنفيه عن مناهج أخرى كالفلسفات التي سبقتها مثلا.

عرفها غار ودي بأنها: " **منظومة من علاقات وقواعد تركيب ومبادلة تربط بين مختلف حدود المجموعة الواحدة، بحيث تعين هذه العلاقات وهذه القواعد معنى كل عنصر من العناصر** "[1]؛ يتجلى هنا العلاقة المتبادلة بين كل عنصر وعنصر من تأثير وتأثر، دون الخروج والاستعانة بعناصر خارج المجموعة، وبهذا يتجدد التكريس للانفصال والانغلاق إما استنكارا أو تجاوزا، وهي بذلك فلسفة تحمل في طياتها طبيعة دوغماتية وهذا ما سجله فيلسوف الحضارة غار ودي قائلا: " **إن مفهوم البنية في أيامنا هذه يحمل فلسفة تمثل في طبيعتها الدوغماتية، نقطة الوصول لفلسفة موت الإنسان ، للفلسفة التي بلا ذات** "[2]؛ فهي بذلك تريد القضاء على حرية الإنسان الفكرية، ومنه القضاء على الإنسان كلية وصولا إلى فلسفة موته على حد تعبير غار ودي ، فإنكارها للذات تحقيقا للموضوعية جعلها تقع في فخ التقليل من قدر الإنسان ودوره في المنظومة الكونية.

" **فإنه من باب المفارقات التاريخية المدهشة حقا أن يشهد الفكر الفلسفي الغربي في آخر تطوراته على يد البنيوية قطيعة معرفية ابستمولوجية بين الإنسان والعالم، وذلك لأن هذا من العلاقات الثابتة التي تمثله البنية، سيقف بالضرورة في وجه أي تواصل بين الذات والعالم، وبالتالي فإن هذه القطيعة المعرفية من شأنها أن تترك كل أفعال الإنسان ونشاطاته خاضعة للاشعور واللامعقولية**" [3]؛ وبهذا تكون البنيوية قد ضربت على الإنسان سلسلة من الأغلال الفكرية التي تجعله منفصلا عن كل ما قد يربطه بالعالم الذي ينتمي إليه، باسم الموضوعية أقصيت الذات الإنسانية ، وباسم النسقية قد ألغت العلاقة الجدلية بين الإنسان والواقع بأبعاده التاريخية والاجتماعية، فهذه الاستقلالية تؤثر بشكل مباشر على مسألة المعرفة كون الذات الإنسانية هي المنتجة لها، وبهذا تنتج معرفة قاصرة على استيعاب الإنسان بواقعه ومتناقضاته.

3- نقد الفلسفة الوجودية:

---

[1] روجي غارودي: البنيوية فلسفة موت الإنسان، تر جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1979، ص17.

[2] نفسه، ص13.

[3] يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة، القاهرة، ط، 1993، ص153.

الوجودية هي أحد أهم التيارات الفلسفية التي اهتمت بالوجود الإنساني وعنيت بقضاياه على اختلافها وتنوعها، ظهرت كرد فعل على مستوى الانحطاط الذي وصلت إليه قيمة الإنسان والإنسانية، والتعدي على الوجود الإنساني وتهديد كيانه، من خلال بشاعة الحروب التي شهدها العالم في القرن العشرين، وهذا ما جعلها تدافع عن الإنسانية وتعتنق مسلمة الحرية والعديد من المسلمات كالذاتية وأسبقية الماهية على الوجود، ولقد استطاعت أن تحوز على لقب المذهب الإنساني، وبأنها فلسفة متفائلة تهدف للقضاء على معاناة الإنسان والقلق الذي يعيشه " **والوجودية بالمعنى العام إبراز قيمة الوجود الفردي، وهي مذهب (كيركيجارد، وياسبيرس، وهايدجر، وبردیائف، وغيرهم)، ولهذا المذهب خصائص عامة منها القول بوجوب الرجوع إلى الوجود الواقعي، والشعور بما يلابس المذاهب الوثوقية والقطعية الصارمة من الغرور، وقياس البعد بين التجريد النظري والتجربة المشخصة** "[1]؛ وبهذا الوجودية تنفي عن نفسها المثالية المغالية الشاطحة البعيدة عما يعيشه الإنسان ، بل تصب اهتمامها على الوجود الواقعي، الذي يحي الإنسان في كنفه، وبالتالي تكتسي بكسوة الواقعية، وهذا ما يؤكده إميل برهيه في تقديمه لمفهوم الوجودية " **الوجودية تقتصر على الوجود الإنساني أي على الوجود الشخصي، أو هذا هو على الأقل شأن فلسفة الوجود القائمة على دراسة الظواهر، أي التي تقتصر على وصف الأشياء الموجودة بالفعل** "[2]؛ فالوجودية إذن تهتم بالبعد الماهوي كتشخيص للوجود الإنساني بعيدا عن كل الأوهام التي قد تشغل عقل الإنسان ، وتجعله يتيه في شأن وجوده بالحس والحواس بعيدا عن المثالية التي تعطي بعدا للإنسان من خلال جوهره كذات تفكر وتدرك وتعي، أي الوجود العيني كشخص، ولكي يسهل عليها تحديد ماهيته من خلال جملة من الممارسات والاختيارات التي توضع أمامه محققا بعدا من أبعاده وهو البعد الذاتي، الذي يجعل منه محور الاهتمام كذات تحقق وجودها، ومنه تصبح مركزية فاعلة بإمكانها أن تتفاعل مع الماضي والحاضر والمستقبل، من خلال هذه الميزة الواقعية والذاتية التي اتصفت بها الوجودية تضمن بها العلاقة بين الذات الدارسة والعالم الخارجي كموضوع للدراسة، فهذه العلاقة يؤكدها سارتر في تعريفه للفلسفة الوجودية "**إنني أفهم الوجودية كمذهب إنساني، يجعل الحياة الإنسانية ممكنة ، مذهب يؤكد كذلك أن كل**

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص565.

[2] اميل برييه: اتجاهات الفلسفة المعاصرة، تر محمود قاسم، دار الكشاف، الاسكندرية، مصر، دط، 1998، ص105.

حقيقة وكل عمل يستلزمان بيئة معينة وذات إنسانية "[1]؛ ففي قول سارتر وسم للوجودية كمذهب إنساني محض، يولي أهمية للكائن الوجودي ذو البعد الذاتي، الذي مجاله الواقع، فهو بذلك ينفي عنها كل اتهام يصفها بالانغلاق الذاتي ، بل أكد أن الإنسان تربطه أواصر صلة قوية بالعالم الخارجي (البيئة) وبالآخرين (الغير)،ومنه إقرار بفكرة الغيرية التي توجب نفسها في تواصله مع الآخر، والوجودية بشقيها مؤمنة وملحدة ترتكز بل تتبنى مسلمة مفادها أسبقية الوجود على الماهية، فهي بذلك تعطي صورا تجديديا عن الإنسان كونها ذاتا لديها القدرة على الخلق والإبداع والتجديد، ذاتا فاعلة تصنع ماهيتها من خلال جملة القرارات والاختيارات التي بوسعها أن تجدد ملامح ومعالم وجودها، والإنسان مشروع كما يصفه سارتر " **أريد أن أقول أن الإنسان ليس سوى سلسلة مشاريع، وهو مجموع ومنظم وحاصل العلاقات التي تكون هذه المشاريع**"[2]، فكلمة مشروع هنا لها دلالة إبداعية على الفاعلية والحركية بعيدا عن الانعزالية والإتكالية التي عملت على تكرسها بعض الفلسفات المنغلقة على ذاتها، فالإنسان عليه أن يدرك ويعي أن وجوده ومستقبله ومشروع حياته ينتج عن جملة التحديات التي يعيشها بعيدا عن وجود أي قالب ثابت وجاهز ويتحكم فيه باسم القدر أو تحت أي مسمى آخر، فهو ذات تتمتع بحرية الإرادة والقدرة على الاختيار، ومنه فهو محتم عليه الاجتهاد والعمل وما ينجر عنه من مسؤولية اتجاه نفسه وتجاه الآخر كونه حاملا لبعد اجتماعي، إن ما تفرضه الحقيقة الإنسانية أن عليه تحمل المسؤولية الكاملة لوجوده بل يتعدى حتى لغيره.

مسلمة الوجود أسبق من الماهية لا تقوم لها قائمة بعيدا عن مرتكز آخر هو الحرية التي يؤسس لها المذهب الوجودي، هذا الأخير يعطي لها دورا أساسيا ويعتبرها محورا مركزيا من أجل تأسيس الإنسان المشروع ويتفقون بوصفها " **الحرية ببساطة هي ذلك الاختيار الدائم غير المشروط أبدا** "[3]؛ فالحرية هنا حرية مطلقة لا تقيدها شروط ولا تحدها قيود، وهذا يعني أن الإنسان كونه قد سلك درب الحرية، فصفة المسؤولية تتنحى أو تسقط عنه، فكما أنه حر حرية مطلقة فالمسؤولية أيضا تتصف بالمطلقية عنه، فيتحملها أمام نفسه وغيره، فالمسؤولية من بين جملة الاختيارات الحرة التي أقدمنا عليها وأردناها، الحرية مطلب ذاتي بل لا يمكننا تصور الإنسان و بمعزل عنها ، ولا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نحكم أو نقيم الإنسان أو مشروع وجوده، ولا نحمله مسؤولية نتاج أفعاله

---

[1] جان بول سارتر: الوجودية مذهب انساني، ص07.

[2] نفسه ، ص41.

[3] نفسه، ص558.

وقراراته دون أن نوفر له بيئة أو وسط ينعم بالحرية كونها مرادفة للوجود وصفة لصيقة به، أن أكون حرا يعني أن اختار ما أريد وما أريد أن أكون مكونا ماهيتي مقررا لمصيري مدركا لغايتي على غرار بقية الموجودات منعدمة الإرادة، مسلوبة الحرية والاختيار، فهي تخضع للجبرية والحتمية التي بمقتضاها تتحدد أفعالها وبموجبها ترسم ملامح وجودها الذي يملي عليها ولا تتدخل في أي حال من الأحوال في صناعته، ومن هذا الباب دخل فيلسوف الحضارة غارودي ليقيم الفلسفة الوجودية وانتقدها في نقطة الحرية بالتحديد وقال عنها بأنها حرية ميتافيزيقية تجريدية بل حتى وهمية مبتورة عن الواقع تؤمن بان الإنسان مالك لها ومتغني بها بل يملك كل الخيارات وهذا ما يجعله خارج عجلة التاريخ يقول غار ودي " **والحق أن هذا التصور للحرية تصور ميتافيزيقي بكل ما لهذه الكلمة من معنى وهو تصور يجري خارج التاريخ** " [1].

هذه الحرية الميتافيزيقية ناتجة عن التنصل من حقيقة وجود الله بالنسبة للوجودية الملحدة التي يتزعمها سارتر، فالقلق الذي يعيشه الإنسان نتيجة كونه كائن وجودي حر ومسؤول، وهو ناتج عن مواجهة الإنسان لتحديات الوجود بمعزل عن القوة الإلهية التي يحتاج الإنسان دعمها ككائن قاصر ويفتقد إلى من هو أقوى منه ومن هنا مبعث اليأس على غرار ما اتصفت به الوجودية أنها فلسفة متفائلة " **ولا معنى للوجود إلا بالقياس إلى الله والجهد الذي تبذله هو وحده الذي يخلق اللامتناهي والتوتر الذي نشعر به في طريقنا إلى الله هو الأساس الوحيد لوجوده** "[2] ؛ غار ودي لا ينفي صفة القلق عن الإنسان ولا يجعل من الحرية بلسما لها بل السبيل لمواجهته هو التقرب من الله كونه القوة اللامتناهية التي يستمد منها الإنسان معنى وتفسير وجوده، فبعيدا عن مسلمة وجود الله يصبح الإنسان جاهلا لسر وجوده فاقدا الغاية من خلقه وهذا ما يرمي به في دائرة العبثية تجعل من المصادفة حلا لتفسير لوجودها " **فعدم الاعتراف بافتقار الوجود البشري إلى موجد ، فالإنسان ينبثق من العدم وفيه انه يجد نفسه وسط إمكانيات بعينها. فوجوده بلا مبرر وهو وجود ممكن إمكانا لا ضرورة فيه منغلق** "[3]؛ فالإلحاد يجعل من الإنسان يسبح في بحر العدمية وبهذا فان وجوده لا معنى له وهو ما يتنافى مع اغلب الديانات على اختلاف وتنوع معبودها، يختلف غار ودي مع فالفلسفة الوجودية كسابقاتها

---

[1] روجي غارودي: نظرات حول الإنسان، ص121.

[2] نفسه، ص70.

[3] نفسه، ص72.

من الفلسفات كونها تفتقر إلى الكثير من القيم الروحية والمعاني التي تتسم بالتعالي، وهذا ما ورط الإنسان الغربي في أزمة

الاغتراب، وجعله ينحرف إلى مستنقع الشيئية نتيجة الإلحاد والعدمية التي عاش يصارع أوهامها باحثا عن ذاته، لاهثا وراء سر وجوده، وهذا ما يتعارض مع فكر التعالي عند غار ودي ، مما جعله يوجه نقده قائلا: " **ففي مواجهة الإنسان لم يعد هناك اله يهديه، ولم يعد هناك قيم ثابتة واختلفت الحقيقة ، وأصبح العالم بالنسبة إليه عالما غريبا لا سبيل لمعرفته، أصبح الإنسان يواجه لا شيء يواجه العدم** "[1].

4-نقد الفلسفة الظواهرية:

تشكل الظواهرية أحد أهم حلقات الفلسفة للغربية، وهي مدرسة نفسية جاءت لتدارك ما أهملته المدارس الفلسفية السابقة لها في مسالة الظاهرة النفسية، هذه الأخيرة التي تعامل معها العقل الغربي كما تعامل مع الظاهرة التجريبية، دون مراعاة الفروق الجوهرية بينهما، ودون إعطاء صفة الخصوصية للظاهرة التي تكون فيها الذات العارفة وموضوع المعرفة الإنسان ، وسبب ذلك هو التطور الذي حصدته العلوم التجريبية والرياضية على الصعيد العلمي جعل منها منهج مغري للعلوم الإنسانية، لتحذو حذوها، ونتيجة لتبني هذا

النوع من المناهج زاد في تفاقم أزمة الإنسان، وفي ترسيخ فكرة الشيئية، والاغتراب التي لازالت الذات الإنسانية تعاني منهما، ومنه حاء هوسرل وأرسى دعائم مدرسته النفسية التي تعرف على أنها:" **مدرسة نفسية ، تعتقد أن الإدراك لا يتم إلا بالعاطفة والرغبة توجه عقلنا وحواسنا وذواتنا نحو موضوع معين، وتساعدنا على إدراكه، فالحب والبغض وسيلتان من وسائل المعرفة، والعقل في نظر المدرسة القصدية آلة في يد العاطفة تفعل به ما تشاء، فهي التي تبعث نشاطه اتجاه موضوع ما وتثبط حركته اتجاه موضوع آخر** "[2] ، محاولا استيعاب الإنسان والواقع لمتغيراته وأزماته.

لقد أعلت الظواهرية من صوت وقيمة الذات في نظرية المعرفة، وأعطت للإنسان بعدا ذاتيا جعلته محورا مركزيا في بنائها، ولم تتوقف على العقل فقط كوسيلة من وسائل تحصيل المعارف وأحد الطرق التي من خلالها

---

[1] روجي غارودي: نظرات حول الإنسان،ص72.

[2] زروخي الدراجي: المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، ص241.

بإمكاننا أن ندرك، بل جعلته في كف العاطفة تفعل به ما تشاء، فالمشاعر بذلك تعتبر بوصلة توجه كل من العقل والحواس نحو موضوع الدراسة بصفة قصدية هدفها الإدراك.

من بين المبادئ التي يتبناها المنهج الظواهري الفينومينولوجي؛ مبدأ القصدية* والتي تمكن هوسرل من خلالها تجاوز مشكلة عويصة، لطالما عرقلت الفكر الفلسفي في تحديد العلاقة التي تربط بين الفكر والواقع أو بين الذات الإنسانية وموضوع الدراسة، فبين المثالية والواقعية، حاولت الظواهرية التموقع بميزان توافقي يجمع بين التعالي ومراعاة الواقع، وبذلك ذهبت للقول بأنه لا توجد واسطة بين الذات والموضوع، والرابط الذي يدفع الذات للفاعلية ويوجه مقصدها للواقع هو الوعي، الذي تعمل العاطفة على تفعيله وتوجيهه ، وبذلك لم تمجد الذات كما فعلت المثالية، ولم تعط أولوية للموضوع كما قالت به الواقعية، كافلة بذلك فاعلية الإنسان وانفعاله " **والانفعالية القصدية هي العواطف التي تتجه إلى الشيء، وتعين على معرفته ، كالحب والبغضاء، فهما وسيلتان من وسائل المعرفة، كالإدراك والتذكر**"[1] ؛ فاهتمام هوسرل بقيمة المشاعر باعتبارها المحرك الفعلي لتحصيل المعرفة، أعطى بعد للإنسانية بعيدا عن الميكانيكية والنظرة الشيئية ، التي يبذل العقل الوضعي

كل وسعه في التشهير بها بحجة التقدم الملموس الذي أفرزته في مجال العلوم، وهذا ما أعطاها سمة الحياة والروح التي ضختها في واقع الإنسان مما ساهم في فهم الماضي باعتباره جملة من التجارب المعاشة والفاعلية والتأثير في المجتمع، التي يمكن تلخيصها في روح المسؤولية التي يجب على الإنسان أن يعي من خلالها المهمة الحضارية الموكلة له، وواجب التغيير والإبداع في المنظومة الكونية ككل، فهوسرل " **يعي تماما أن الكشف الذي جاء به والمتمثل في الفينومينولوجيا، يمثل نظرة جديدة للعلوم، كما كان يدرك أن هذه النظرة نحكمها رؤية كونية جديدة للعالم ومن خلالها للإنسان**"[2].

* منهج نقد المعرفة: بما هي نظرية عامة في الماهية التي يدخل فيها علم ماهية المعرفة. ادموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، تر فتحي أنقرو، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت_لبنان، ط1، 2007، ص32.

[1] شريف طاوطاو: الإنسان في فكر روجي غارودي، ص141.

[2] روجي غارودي: نظرات حول الإنسان، ص44.

يتفق هوسرل مع غار ودي في الخلفية الإنسانية التي تعتبر منطلق لنقد الحضارة الغربية، كونها زادت من حجم التأزم الذي يعاني منه الإنسان كالاغتراب* والتشيؤ، كما أنها لم تتمكن من استيعاب لمختلف أبعاده، كلاهما يقر بأن للإنسان فاعل حضاري وكائن إبداعي لا تحده المادة ولا تستعبده الآلة، بإمكانه صناعة حياته ورسم خارطة مستقبله بعيدا عن الاتكالية بكل وعي وقصدية.

أما ما انتقده غار ودي في المنهج الفينومينولوجي دون نفي الإسهام الذي قدمه للحقب المعرفي، ودون إهمال حجم الإضافة في الحقل الإنساني التي افتقدت في المناهج السابقة عنه، إلا انه يعيب عنه كون الظواهرية مذهب جاء كردة فعل عن المثالية والمادية وهذا الذي جعل بوصلة الحقيقة عندها يتوه ويتذبذب محاولة تشكيل نظرة توافقية تحتوي الإنسان وتفسر إشكالاته، وهذا ما جعل تفسيرها للواقع وقراءتها للإنسان قراءة لا أدرية كما وصفها غار ودي ؛ فرغم المحاولة الجادة والخطوة الحديثة لتجاوز الذاتية والمثالية والموضوعية الواقعية أخفق هوسرل في تحقيق ما كان يصبو إليه ووقع بما يسمى التفسير اللاأدري الذي نعجز عن وصفه بصفة محددة كونه انتهج موقع الوسط لا مثالية ولا واقعية ساطعة، وفي المقابل نجد البعض في رؤيتهم

وفي المقابل نجد البعض في رؤيتهم إلى المدرسة الظواهرية وفي أثناء تقييمها يرونها بأنها في ظل الترنح الذي تشهده قد انعطف بها المسار ومال بها كفة الميزان إلى المثالية، فهي اقرب لها من الاتجاه المادي أو أي اتجاه آخر " **حقا إن هوسرل لم ينجح في محاولته إلى الحد الذي يجعله يصل وراء وجود الأشياء إلى وجود الأفعال الإنسانية التي تشكل هذه الأشياء وذلك لان ميوله الرئيسية نحو المثالية قد إعاقته عن الوصول إلى هذا الهدف، لان اهتمامه بأن يعي تماما الدور الذي يقوم به النشاط الإنساني في المعرفة جعلته ينتهي بإغفال ما يدور عليه هذا النشاط في الواقع** "[1].

إن مناطحة هوسرل لتقف المثالية جعلته يقع في مطبات أخرى سجلها عليه غار ودي كونها فلسفة اهتمت بالبعد الإنساني للذات مهملة بقية الأبعاد الأخرى، كالبعد الاجتماعي والتاريخي، وهذا ما جعلت هوسرل يقدم صورة عن الإنسان غير مكتملة ومختزلة في بعد واحد " **فلسفة هوسرل فلسفة فيلسوف ينظر إلى نفسه**

* الإغتراب: أن يفقد الإنسان حريته واستقلاله الذاتي بتأثير الإقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية، ويصبح ملكا لغيره أو عبدا للأشياء المادية. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، مادة الضياع والإغتراب، ص765.

[1] روجي غارودي: نظرات حول الإنسان، ص47.

على انه موظف في الإنسانية وعلى الفلسفة على أنها اجتثت جذورها من الحياة الاجتماعية ومن التاريخ "[1]، فغارودي من منطلق تأثره بالفكر الماركسي الذي يؤمن بصورة مكتملة للإنسان تحمل كل أبعاده دون أن تنفي أو تقصي أي جانب منها، فالفلسفة التي تحلق بعيدا عن الواقع والمجتمع ليس بإمكانها أن تقدم حلولا للمشاكل التي تعترض طريق الإنسان في كل مناحي الحياة ، فمهمة الفيلسوف هو احتواء الإنسان لشتى أبعاده وحمايته من كل أشكال الاغتراب وتذييل كل الصعوبات التي من شأنها أن تحد من دور الإنسان الحضاري وفاعليته في تغير الواقع غير مرضي ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وفي إطار تأثر غارودي بالماركسية التي تقول بالفعل الثوري الخلاق الذي ينفي على الإنسان الانغلاق على نفسه، وتضعه في دائرة التأثير والتفاعل مع واقعه لتحقيق وجوده، لذلك نبه غارودي إلى ضرورة عدم إغفال البعد الاجتماعي والتاريخي للإنسان أين يمارس الإنسان وعيه ويوظف ملكاته " **وتلك نقطة ضعف فلسفة هوسرل ، فمذهب الظاهريات عنده يجري خارج الزمان بعيدا عن التاريخ** "[2].

لقد كانت منطلقات غارودي في توجيه نقده للفلسفة الغربية بصفة عامة هي النزعة الإنسانية التي تمتاز بالتعالي الذي يحمي الإنسان من كل أشكال الاغتراب التي امتاز بها الفكر الغربي، وجعلت منه شيء لا يختلف عن الآلة في شيء، كما انه نبذ فيها النظرة الإلحادية التي تدعو إلى اليأس والقنوط ومنه التمزق في غياهب التيه والظلال، بالإضافة إلى الانعزالية وروح الاتكالية التي تبناها وهذا ما يتعارض مع فلسفة الفعل التي يشيد غليها غارودي بناءه النهضوي، وتجعل من الإنسان ذاتا فاعلة لا مفعول بها، ذات مؤثرة مساهمة ومبدعة في مسيرة الحضارة الإنسانية ، محققة وجودها متحملة المسؤولية، مسؤولية التغيير والتمكين لكل ما يخدم الإنسانية بصفة كونية، وما يخدم الإنسان بصفة جوهرية لا سطحية، فلا يمكننا أن نحلم بنهضة شاملة دون أن نضمن تفاعل الفرد مع واقعه وفهمه واستيعابه للظواهر المحيطة به ساعيا في تفسيرها، باذلا في تقديم حلول شافية وكافية لها، ونختم نقد غارودي لهذه الفلسفة بقوله: " **الفلسفة في العالم المعاصر هي ألعاب التسلية المتخصصين المتميزين، هي الألعاب البهلوانية اللغوية، والمفكرون بعيدون عن المشكلات الحياتية اليومية، وعن**

---

[1] روجي غارودي : نظرات حول الإنسان، ص48.

[2] نفسه، ص51.

حركات حياة الشعوب، بقدر بعدهم عن الأزياء الراقية أو لعبة بنك الخط "[1]. كذلك أبدع غارودي مشروعا حضاريا يؤمن بقيمة العمل، مبينا من خلاله دور الإنسان الحضاري ومهمته الريادية في احتواء الواقع بمختلف أطيافها يلبي احتياج الذات المعاصرة اليوم دون الانغماس في بحر الاغتراب، ولا الإقامة في الجزر الانعزالية، ولا الخضوع لأي قيد من القيود الاستعبادية أو الإتكالية كما سنوضحه في المطلب الثاني تحت عنوان فلسفة الفعل.

المبحث الثالث: الإنسان ودوره في صناعة الحضارة

أولا: فلسفة الفعل

بعد عملية النقد التي وجهها غارودي للفلسفة الغربية (الوضعية، الوجودية، البنيوية، الظواهرية)، وبين قصورها وعجزها في استيعاب الإنسان بمختلف أبعاده وبأزماته ومشكلاته، فعلى أنقاضها أسس فلسفة الفعل لتفادي كل أشكال الاستسلام للواقع الذي نعيشه و للانعتاق من بعض المسلمات التي تحث على أن المستقبل ما هو إلا استمرار للماضي أو انه خطوة من الخطوات التي يمليها القدر تحت مسمى الجبرية، هذه الفلسفة هي تحرر من كل القيود التي تحيل بين الفرد ومجتمعه وواقعه وتاريخه وهي مصدر الانبعاث الحضاري الذي يمكن للإنسان من صناعة مستقبله.

1- فلسفة الفعل بمفهومها العام:

" **تطلق فلسفة الفعل على مذاهب الذريعة، الإنسانية، الأداتية وكل العقائد التي تقول بأولوية العمل على التمثيل والتفكر**"[2]؛ فهي تطلق على كل مذهب يمجد العمل على الفكر، ويعطي أولوية للممارسة الفعلية والتأثير في الواقع على التأسيس النظري وعالم الأفكار المثالي. فلسفة الفعل مذهب السيد موريس بلوندل* الفلسفي، ولقد اهتم بأمرين اثنين هما:

---

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص226.

[2] أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مج، ص28.

* أندريه لالاند: فيلسوف فرنسي معاصر، كاثوليكي، ولد في مدينة ديجوب سنة 1861، وتوفي سنة 1949، اتخذ من من فلسفة الفعل مذهبا له للاستزادة : انظر: عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص359

1- درس علاقات الفكر بالعمل باستخراج أسلوب نقدي جاهد أن يتجاوز الصراع بين العقليين والذرائعيين عن طريق ما يسمى بفلسفة الفعل ، فهو بذلك لا يستغني عن للفكرة والأفكار وفي الآن ذاته لا يتوقف عندها بل لا بد أن يتبعها بممارسة تتوجها ومنه تجاوز الفجوة بين التنظير والتطبيق.

2- درس علاقات العلم بالعقيدة، وعلاقات الفلسفة الأكثر استقلالا مع الدين الأكثر وضعية درس يتجنب في أن العقلانية والإيمانية، وذلك بهدف الاسترجاع من خلال تمحيص عقلاني للصفات الملازمة ذاتيا للدين الذي يخاطب العقول كلها[1]، وفي الأمر الثاني تظهر محاولة بلوندل في التوفيق بين العلم والفلسفة أي بين النظريات الفلسفية والعلمية وصلا إلى تجاوز التعارض بين اجتهادات العقل وحقائق الدين.

ما نخلص إليه أن نظرة بلوندل نظرة توافقية تكاملية تجمع بين كل من المذهبين العقلي المثالي الذي يعطي أولوية للفكر قبل العمل ويؤمن بالتجريد قبل التجسيد، ويهتم بالتنظير قبل التطبيق، والمذهب الذرائغي الأداتي (البراغماتي) الذي يذهب للقول بأن الفكرة لا قيمة لها من ثم تتحقق على أرض الواقع، وصحة الفكرة بإمكانية تطبيقها ، كما سعى جاهدا لاستيعاب النزاع القائم بين " **ما يسمى بالحب المسؤول عن ازدهار الجميع، جميع شعوب الأرض وتوازنات الطبيعة**" [2]؛ بهذا المعنى تزول كل مركزية تروج لنفسها وتنكر ما ينجزه غيرها، بل كل ذات تهدف إلى أن يكون مصيرها لا يختلف عن مصير غيرها، وان يكون خط التطور والازدهار لا ينحصر في جهة أو جبهة مع إقصاء أخرى ، فالتسامي يجعل الكون يتسع للجميع على اختلاف الأجناس والأعراق والجنسيات والملل والأديان، فالرابط الوثيق الذي يوحد الجميع هو رابط الإنسانية الذي يشل الإنسان من كل أشكال العنصرية " **فالتعالي هو الوجه المشاد للعنصرية، لقد كان وسيظل دائما هكذا ، انه اليقين بلا دليل ، المسلمة والبرهان** "[3] ، فالتعالي هو تجاوز كل أشكال العنصرية والتفرقة وللتمييز العرقي، بل هو شكل من أشكال الوحدة البشرية التي تسقط فيها الألقاب وتتساوى فيها الرتب من اجل مصير مشارك يجمع الأجناس البشرية ، فالتسامي هو البلسم والترياق لكل النزعات الطائفية أو العرقية التي تشغل العقول وتستنزف الطاقات في غير ما ينفع الأمة ويصنع الحضارة والتحضر.

---

[1] أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، مج1، ص27.

[2] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص259.

[3] نفسه، ص261.

كما يوجد معنى آخر للتعالي هو: " **التعالي هو مضاد للفردية، فالإنسان ليس ذرة وليس بوصفه فرد أو دولة مركزا أو مقياس لكل شيء، انه مواطن في جماعة، حيث كل فرد يعي انه مسؤول عن مستقبل الآخرين جميعا** "[1]؛ فهو ثورة ضد الفردانية التي تؤسس لها المركزية الغربية، وتروج لذاتها على أنها النموذج الوحيد الذي وجب الاقتداء به بحكم التقدم التقني، والقوة والنفوذ التي تملكه، فالتعالي ينبثق من جماعة يتعدى فيها الفرد ذاته بل يتجاوز حتى وطنه ودولته ليصبح مسؤول عن صناعة المستقبل بل مستقبل الآخرين جميعا وهو تأكيد للبعد الاجتماعي الذي يعيد للإنسان إنسانيته، ويمثل قمة النضج الأخلاقي، ويعطي بذلك نموذجا للفرد المتحضر.

وبالتعالي تتجسد الرؤية الكونية التي يطمح غارودي في بثها للعالم من خلال مشروعه الحضاري ، مشروع حوار الحضارات، الذي يدعو ويقر بضرورة فتح الحوار بين كل إنتاج حضاري من شأنه إن يضيف زخما من الأفكار والرؤى والمبادرات، التي تبدع بناءا نهضوي يرتكز عليه العالم بأسره، فالتلاقح والتزواج والتبادل الفكري للأمم يهيئ لنا بيئة عالمية تتيح الفرصة لكل طاقة بشرية بإمكانها أن تعطي حلولا من الإفلاس الحضاري والإنساني بالدرجة الأولى، فتصبح الرؤية بعيدة المدى لا تقف ولا تتوقف عند النجاح الشخصي، بل يتعدى ذلك ويتجاوز إلى تحقيق كينونة الإنسان ببعد كوني، فتزول بذلك التراتبية والتصنيفات التي من شأنها أن تحد من الطاقات الإبداعية ومن عمق المبادرات التي قد تحدث تغيرات مفصلية في حياة البشر، فيكون الأثر عابر للقارات مساهم في صناعة تاريخ يشرف بني البشرف ويسع ثقافاتهم وتوجهاتهم وولاءاتهم، تكريس للروح الجماعية التي توحد المصير وتقضي على كل النعرات والتعصبات القومية وتمحي كل أشكال الاختزال والإقصاء اجتهادات العقل وما أبدعه من نظريات وابتكارات وبين حقائق الدين مبرزا دور الإنسان وأثره في صناعة التغيير وبناء المستقبل الذي يريده.

فلسفة الفعل عند غارودي:

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص262.

إن المتأمل في مؤلفات غارودي وخاصة ما تعلق منها بشكل مباشر بمشروعه الحضاري مشروع الأمل كما يطلق عليه والذي أرسى دعائمه وبين مقاصده، يلاحظ أن فلسفة الفعل هي بمثابة القلب النابض والعصب الرئيسي الذي يرتكز عليها كمحاولة تدارك أو تصحيح بمعنى الفاعلية والحركية والتشاركية الذي وجب على الذات أن تتصف بها في سبيل تغيير واقعها وفي أثناء رسم خطة لمستقبلها، مثبتة وجودها محققة مقاصد إنسانيتها.

وهذه الفلسفة هي بمثابة رد فعل وتحول وانقلاب جذري عن كل الفلسفات والاتجاهات التي تدعو إلى الانعزالية والممارسة الصوفية في التعامل مع كل مناحي الحياة بل إلى أكثر من ذلك فض العلاقة التي تجمع الإنسان بالآخر بمجتمعه وتاريخه مخلفة بذلك وراءها إقصاء الذات من الإطار التاريخي والواقعي، ومن خلال التجربة التي عاشها غارودي وعايشها يصف انتقاله من فلسفة انعزالية إلى فلسفة العمل بانه : " **عندما اتابع حياتي كلها اليوم، وأجملها بنظرة واحدة كي تصبح وحدة واحدة برغم التنوع في بحوثها، تتجلى أمامي تلك المرحلة التي انتقل فيها من فلسفة الذات إلى فلسفة الفعل** "[1]؛ فيبدو جليا في حياة غارودي وبعد تنوع مشاربه الفكرية وزخم الثقل الذي عاشه بين المذاهب والاتجاهات نتيجة لعملية النقد والتمحيص وإعادة القراءة التي لم تسلم منها أي فلسفة ولم يعلو عنها أي دين، فعقله قد مارس النقد بكل حرية مرتكزا في ذلك على مبدأ تحقيق إنسانية الإنسان بعيدا عن المادية، وتشجيع الفاعلية على المساهمة في صناعة المستقبل، والمقصود بفلسفة الذات في قوله عن الفلسفة الوجودية وكل فلسفة هي على شاكلتها، والتي لا يمكننا أن ننكر أنها فعلا قد أعلت من الذاتية لكنها في المقابل توجه تكريس للاستسلام والنكوص أمام الوجود بصفة عامة ، كما يعتمد على إدخال العقل في متاهات ميتافيزيقية، كان من الأجدر الاستغناء عنها " **فالوجودية قد رسمت في الفراغ مخططا لما يمكن أن يكون نزعة صوفية تولدت من متطلباتها ذاتها ومن عدم لغاية إجاباتها عن المشاكل التي أثارتها** "[2].

---

[1] روجي غارودي: كيف صنعنا القرن العشرين، تر ليلى حافظ، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2001، ص31.

[2] روجي غارودي: نظرات حول الإنسان، ص168.

فالهدف الذي يرنو إليه غارودي ويرجو بلوغه من خلال ما جاء به من تصور جديد عن صورة الإنسان الذي طبقت عليها بعض سياسات التشويه وأخذت عنها بعض الأحكام التقزيمية كسياسة الانعزال والانغلاق على الذات وغيرها هو الرفع من مكانته والإعلاء من شانه، فمسؤولية كل فيلسوف ينشد الحضارة وكل تأثر اجتماعي يطمح إلى التغيير أن يعطي ويوضح الدور الحقيقي للفرد في ضوء المعادلة الحضارية التي يعتبر عنصرا فاعلا فيها واحد أهم المكونات المساهمة في التشييد وبناء الحضارة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال وتحت أي عذر من الأعذار ومن منبر أي توجه من التوجهات إعفائه من المسؤولية الإصلاحية والواجب الاتيقي ذو البعد الكوني في التغيير والتطوير والتأثير الذي يحظى به على حد طموح غارودي وعلى قدر المكانة التي يعطيها الإنسان في فحوى مشروعه لإعادة بعثه بحس التكليف والشعور بالواجب اتجاه الغير والغيرة على عرض وطنه ومجتمعه.

لقد حرص غارودي بخلق فلسفة تعلي من مكانة العمل بل تعتبره قيمة إنسانية حضارية تستطيع الذات إثبات وجودها من خلال ما تسعى وتمارس وتبذل وتنتج لتشكل بذلك محور النهوض الحقيقي ومكمن الانبعاث الحضاري " **إن أساس مثل هذا التصور عن العمل يضاد مبدأ الجبرية تماما: ذلك انه يبرز قدرة الإنسان والعقل البشري على تغيير المجتمع** " [1]؛ فهو بتقديم هذا التصور يجرد الإنسان ويحرره من مبدأ خطير هو الجبرية التي ساهمت بشكل واصح في البطالة الحضارية والركود والجمود أمام الواقع ، والاستسلام لما تمليه الأقدار وهذا ما قد نسميه بقتل الإرادة الإنسانية ومنعها عن رسم هويتها، فالطريق الذي يريد غارودي أن يسلكه ليس طريق ماركس ولا كيركجارد ولا حتى سارتر الذين رغم أنهم تمكنوا من إرساء البعد الذاتي والسمو به إلا أنهم غيبوا الفاعلية التي تضمن صناعة المستقبل يقول موضحا طريقه: " **أما طريقي، فقد كان على العكس تماما: فما بدا لي أساسيا كان التجسيد، فالمرء لا يقلب العالم بفكره بل يجب عليه أن يعمل بيده، وفي المعارك الحتمية التي تمزق العالم لا يستطيع المرء أن يبقى في السماء، ويكتفي في كل لحظة بالدعوة إلى الخير، بينما عليه أن ينحاز إلى الأقل سوءا** "[2]، فالتجسيد العملي للأفكار التي ينتجها ويبدعها عقل الإنسان هي من تساهم في قلب كيان العالم وتغيره من السلب للإيجاب، وتنقله من الصورة العدمية التي تغنى بها بعض الوجوديون إلى الميلاد الحقيقي للإنسان ، فالإنسان مطالب بالتفاعل مع القضايا التي يعاني منها العالم وبتدخله الايجابي في استيعاب مسرح الأحداث والدخول إلى التاريخ من الباب الواسع، ففلسفة الفعل إن طبقت مبادئها مكنتنا من

[1] روجي غارودي: في سبيل حوارات الحضارات، ص189.

[2] روجي غارودي: كيف صنعنا القرن العشرين، ص09.

التغيير الحضاري وصناعة أمل المستقبل، وهذا لا يعني أن غارودي قد أحط من قيمة الفكر ، فلا حضارة من غيره ولا نهضة من دونه، ولكنه حذر من الانتحار الميتافيزيقي الذي يحكم به الإنسان عن نفسه بالإعدام، بل عليه أن

يحقق تكاملا وتوزنا بين عالم الأفكار وعالم الأحداث، بين التنظير والتجسيد، بين الفكرة والعمل، فالأفكار نحكم عن مصداقيتها بمدى أثرها وواقعيتها في المجتمع، سامية وبرؤية حالمة وفي الآن ذاته شخص منتج ومبدع مرآة أفكاره هي جملة سلوكاته وتصرفاته بعيدا عن كل أشكال الإبحار في المعاني والعزوف عن الفاعلية في الواقع محققا بذلك التكامل بين كل من الفكر والعمل، يقول غارودي: " **الوعي يقتضي تغييرا في أسلوب الحياة والحركة: أي يقتضي فقط فكرا واعيا بمسلماته، يتحرك بصورة خلاقة، وبنوع من الاستباق سواء تعلق الأمر بفروض علمية أو بأفعال الإيمان، أو يوتوبيات اجتماعية، تسمح لنا بالتعامل مع العالم وتعديله** "[1].

تتجلى فلسفة الفعل عندما " **نجد في الذات نفخة الحياة الخلاقة، وان نكتشف أن ما هو شخصي فينا هو الفعل المبدع للحياة الكونية باستمرار**"[2] ؛ فالإبداع هو نفخة الحياة في العمل، فالانجازات الحضارية تستدعي منهج علمي ينبض بالإبداع والقدرة على التجديد، والتفاعل مع مشاكل الإنسان واحتواء كل التناقضات التي تحملها ذاته وواقعه بل قد يتجاوز كل ذلك من اجل السعي لبناء حضاري كوني، مادام الفرد وبنمط تفكيره والقدرات الشخصية التي تمكنه من وضع اليد على موطن الضعف والتراخي في العمل الذي من شانه أن يقود إلى إفلاس حضاري حقيقي يخلو من كل مظاهر الإبداع والتفنن في تجاوز المشكلات التي تعترض طريقنا في شتى مناحي الحياة ومختلف ميادينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

أن الفلسفة التي أرادها غارودي ان تحكم الفرد وان يمشي بموجبها ولما تقتضيه هي فلسفة توازن بين الغاية والوسيلة " **إن فلسفة الحياة ترى إن الغاية والوسائل حدود عكوس ... وان قيمة الغاية هي قيمة الوسائل، والوسائل كالبذور، والغاية كالشجرة والمرء إنما يحصد ما زرع... ولذا فإننا إذا انتبهنا إلى الوسائل وثقنا من بلوغ الغايات** "[3]؛ وفي هذه الصورة التشبيهية والمثال التقريبي حاول غارودي ينفي كل إشكال الاتكالية والعزوف عن العمل بحكم شرف الغايات، والقول بان الإنسان يحصد ما زرع دعوة إلى التخلص من كل المذاهب التي

---

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص280.

[2] نفسه، ص281.

[3] روجي غارودي، في سبيل حاور الحضارات، ص18.

حددت المصير قبل أن يأتي مستقبله، وحكمت بنتيجة مسبقة مهما كان أمر الواقع ومهما تباينت متغيراته، فالتاريخ في حقيقة الأمر ليس قدرا بل هو إبداع واجتهاد ، فمثل بعض الانحرافات المفاهمية من شأنها أن تقود الإنسان إلى عزلة وهمية، تحرمه من إثبات وجوده وصناعة مستقبل حافلا بالتطور والانجاز، فالتشاركية في الأداء والاستعمال للمهارات واستفراغ للوسع بشكل عام يضع الإنسان في موضع يمكنه من أن يدير دولاب الحضارة ويساهم في إقلاع حضاري يرتقي بكل مجالات الحياة ، ويؤدي الدور المناط له بروح المسؤولية العالية وفعالية إنتاجية ملموسة من خلال السعي والفعل اليومي " **فالفعل الإنساني معناه أن يضيف الإنسان إلى العالم شيئا من ذاته** "[1].

تقوم فلسفة الفعل على جملة من المرتكزات أهمها وأبرزها التعالي الذي يضفي الصبغة الإنسانية والبعد السامي وراء كل فعل خلاص يتجاوز به الإنسان مصلحته متحملا به مسؤولية غيره، بل يتعدى ذلك إلى تحمل مسؤولية الكون الحضارية ، هذه الأخيرة تساهم بدورها في رفع وتيرة الأداء وزيادة مشاركة الإنسان في صناعة مستقبله، والتفاعل بين بني جنسه في تقرير مصيره، وهي مسؤولية اتيقية توحد الغايات وتتظافر الجهود مشكلة صورة بيانية تعبر عن معنى الحياة لتضع حاجزا بين الاغتراب والتشيؤ الذي جرد الإنسان من إنسانيته وسلبه العيش بمعنى وحمل غاية نبيلة ورسالة حضارية تجسده بعده الإنساني الحضاري.

فلسفة الفعل المتعالية التي أبدعها غارودي في مشروع حوار الحضارات تمكنت من نقل الذات من الآلية وكل الجزر الانعزالية المنغلقة، إلى الانفتاح على الآخر الذي يشارك وجودها، والتعالي في جوهرها هو امتداد الذات للغير وتأسيس شبكة علاقات فعالة تساهم في تجسيد مبدأ الأخذ والعطاء، فلا غنى للإنسان عن أخيه الإنسان ، ولو ابتكر العقل البشري ما ابتكر من وسائل والآلات بدورها تسهل الحياة وتحقق رفاهية الذات، كما أن التعالي هو سمو وارتفاع على أن نختزل التقدم بالجانب التقني، وعلى حصره في ركن الأداتية، بل رأس المال أن يكسر المرء كل الحواجز ويفك العزلة عن نفسه التي أغرقته في بحر الاغتراب والتشيؤ، فهو دعوة إلى غرس روح المبادرة والإبداع من اجل كتابة التاريخ بمداد الإنسانية وروح التعاون والتشارك.

---

[1] روجي غارودي: نظرات حول الإنسان، ص175.

وللدين دور بارز في زرع روح التسامي والتشجيع على الفعل والفعالية، فالدين بدوره يرسم الغايات الكبرى التي تتجاوز الوسائل والأشخاص والذوات إلى السعي من اجل إسعاد الإنسان وإخلاصه " **أن أكثر الأشياء قيمة ليس ما يقوله إنسان عن إيمانه، ولكن ما يصنعه هذا الإيمان بهذا الإنسان ، والى أي مدى يحرره من اغترابه**"[1] " أي يحرره من طموحاته الشخصية المتحققة عن طريق الإطاحة بالآخرين، ومن مشروعاته الجزئية الفردية أو القومية، التي تسعى لخلق جماعة عالمية، كسيمفونية أو كفاية نهائية سامية للإيمان، ذلك الإيمان الذي يدعو كل الأديان للتعالي ولتجاوز الذات "[2] ، لطالما كانت رسالة الأديان على مدار الأزمات، وخاصة السماوية منها هي تحرير الإنسان من كل أشكال الاستعباد وكل أنواع التملك، والإيمان لا يؤتي أكله إن اختزلتاه في مجموعة الاعتقادات بل لا بد من عمل يتبع الإيمان، فيتجلى في انجازات تتسم بالبعد العالمي متجاوزة بذلك الذات والعشيرة والقبيلة والدولة والأمة، لتحقق صرح حضاري ومستقبل مشيد بأيادي واعية بضرورة السمو والعلو عن كل المنغصات الشخصانية، وبعيدا عن كل الأدوار السلبية التي تفرغ الغايات العظمى من محتواها أذا حصرناها في رقعة جغرافية ونسبناها لمركزية معينة بدافع الشعور بالعظمة والتكريس للجهوية.

فبروح التعالي الذي يلعب الدين دورا بارزا في إرسائه ليكون مبدأ تحتكم إليه العلاقات الإنسانية وميزان تقاس به الغايات البشرية يتحقق الانعتاق من العدمية التي تورث اليأس في النفوس ومن ثمة تورث الوهن والعجز عن التغيير وبث روح الأمل من اجل المستقبل واعد يمتاز بتطورات اقتصادية واجتماعية وسياسية بما في ذلك التطورات التقنية، فالإنسان كائن متدين بفطرته وما يفعله هذا الإيمان انه يحث الفرد على السعي والكد من اجل إسعاد الغير كما انه يشفي غليل الاغتراب والتشيؤ كونه يصنف على انه أخطر الأزمات التي تفتك وتفتت الإنسانية اليوم بل المرض العضال الذي ينخر في العلاقة التي تربط العبد بربه وبغيره ففلسفة الفعل لا تنفصل عن الإيمان " **فهذا الإيمان لا يمكن أن ينفصل عن حياة، حياة القرية والحقول والمصانع والمعامل في المدن والمدارس ومراكز الأبحاث بل وفي المعابد اليهودية والكنائس والمساجد وغيرها من المعابد أيضا**"[3].

([1]) روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص259.

([2]) نفسه، ص270.

([3])نفسه، 265.

يمكننا أن نضيف إلى أساس التعالي الذي تقوم عليه فلسفة الفعل أساس آخر وهو الإبداع والتجديد، فما هو مطلوب من الإنسان ليس أي جهد وليس أي سعي حتى نعتبر ذلك جوهر مشروعه الحضاري، بل هو مطالب بخلق آليات جديدة وابتكار وسائل تمكن وتساعد الإنسان من صناعة تاريخ ومستقبل يحظى بنوع من التجديد الحضاري وإحداث فارق ملحوظ عما هو سائد من مشاريع، فبعد أن عمد غارودي إلى تشجيع الإنسان على المساهمة في تغير الواقع وإخراجه من الحلقة المغلقة التي تجعله مغيب عن التاريخ طالبه بتفعيل خاصيته الإبداعية يقول غارودي في ذلك : " **ما يميز فلسفة الفعل هو وغيها بمسلماتها وبحتمية مراجعة هذه المسلمات ووضعها موضع تساؤل مثل نائم ينتزع ذاته من سكينة السبات وباهر الأحلام، يستيقظ في غمار عالم متحرك بهذا يصبح النائم واقفا تهاجمه اليقظة ويهاجم هو من اجل الممكن** "[1].

قبل الانطلاق في مشروع العمل لا بد من توفر شرط الوعي الذي يسمح بمراجعة الأفكار وتمحيصها وإعادة النظر وهذا بدوره يمثل ناقوس إنذار وتنبيه بضرورة مراجعة كل ما نحمل مخافة أن يساهم في ذلك ركود أو نكوص يمنعنا من التفاعل مع الواقع " **البعض يسمون هذه الحالة بعثا والكلمة في حد ذاتها مفرحة إذ توحي بفعل القيام**"[2]؛ غير أن القيام المقصود هنا الذي يحوي لمسة إبداع وتجديد ليصل إلى مستوى البعث والتحريك، ويبدو أن غارودي تعمد إقرار الوعي بالتجسيد كونه مصدر الأفكار والإلهام الذي يعطي لنا سلوكا مبدعا،فمراجعة الأفكار بهدف إضفاء روح الإبداع غرضها الحصول على مساهمات توعية تغير في أسلوب الحياة ومن ثم تغير العالم الذي بات بحاجة إلى أناس مفكرين يستعيدون المعادلة الحضارية من خلال انجازاتهم محققين ذواتهم ومحددين ملامح وجودهم متميزين عن غيرهم من سائر المخلوقات فعلى مر العصور قاطبة جل الأحداث المفصلية والتمخضات العسيرة عادة يكون وراءها فكرة جديدة لقيت آذان صاغية لها وقلوب اقتاتت منها فشكلت قناعة بدورها حركت الإنسان وحركت معها إرادته ورغبته في الثورة على المبتذل وما اعتادت عليه

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل ،ص277.

[2] نفسه، 278.

النفوس، فالفكرة التي تسحر العقول تولد إستراتجية تحرك تكسر كل القيود السياسية والاقتصادية والاجتماعية،فمرونة التفكير تضمن المرونة في التجديد " **والتاريخ الحقيقي إنما هو تاريخ الإبداع المستمر للإنسان بواسطة الإنسان، إن التاريخ المقدس للإنسانية يؤدي إلى ظهور للمعنى المقدس للحياة** "[1].

وما نسجله من خلال استعراضنا لأحد مرتكزات مشروع غارودي مرتكز فلسفة الفعل التي تعطي الأولوية للخبرة والممارسة العملية دون أن تهمل دور الفكر والتنظير، فهي بمثابة المحرك الذي يزيد في فاعلية الإنسان وتحريره من كل أشكال العزوف عن المبادرة والإبداع، والانعتاق من عنق الزجاجة التي تملي مبدأ الجبرية وتساهم في البطالة الحضارية للذات الإنسانية ، كما اتبع غارودي هذه الفلسفة بمبدأ التعالي الذي أراد به استرجاع إنسانية الإنسان واحتوائه بكل أبعاده دون استثناء أو اختزال، ولكي تكتمل الصورة الحضارية أعطاه وظيفة بادية ومسؤولية من خلالها يصنع مستقبله ويكتب تاريخه.

إن ما أضفى على فلسفة الفعل روح التعالي والتسامي هو الدين باعتباره تجاوز كل أشكال الفر دانية والشخصانية وصولا إلى النظرة الغيرية بل العالمية، كما يطمح غارودي فعل تساهم فيها كل الحضارات بتنوعها واختلافها، فغالب الغايات الكبرى تنبع من عمق الرسالات السماوية الخاصة منها كونها تتعدى الوسائل ومكانتها من مكانة الهدف الذي ترنو إليه. اخذ غارودي الفكر الثوري ووجوب التغيير من الفكر الماركسي بداية، لكن بعد المحاكمة التي قام بها ومن خلال إعادة القراءة التي طبقها عليها تفطن إلى فكرة الدين وتداركها، كونها تقضي على اليأس النابع من كل فكر وضعي الحادي، فهي تشكل فلسفة عملية بصبغة إنسانية، تحمل رؤية حالمة من اجل صناعة مستقبل أفضل .

[1] روجي غارودي: الإرهاب الغربي، ج2، مكتبة الشروق الدولية، دب، ط1، 2004، ص141.

ثانيا: مشروع الانسنة ودوره في حل مشكلة الإنسان والحضارة.

إن مشروع غارودي الذي أعطاه بعد عالمي جاء لينقض البعد الإنساني وينشل الإنسان من كل أنواع المركزيات ومن شتى الأقطاب التي تكرس الأحادية والسيطرة، ممتطية التطور والتقدم في شتى المجالات كالشأن الاقتصادي والسياسي والتربوي، أما البعد الإنساني فقد غيب تماما في النموذج الغربي، بل اكتفى برفع شعار النمو

من اجل النمو.

إن السياسة والمنهج الذي يتبناه غار ودي مبني على النقد ليس المقصود من ورائه شهوة النقد أي النقد من اجل النقد، بل من اجل أن يبني ويقدم البديل المبني على حملة من المبررات مما يجعل مشروعه مؤسس تأسيسا فكريا محكما.

مشروع الأمل كما سماه غارودي جاء كردة فعل عن النموذج الغربي كما سبق وأن أشرت، وهو فعلا بناء حضاري استطاع أن يزاوج فيه بين الفاعلية لتحرير الذات الإنسانية من روح الكسل واليأس والاتكالية والإقصاء من دائرة الوجود وبين الصفة الإنسانية التي حاول أن يضيفها على البعد الاقتصادي والسياسي والتربوي ليعتق من خلالها العقل من النزعة المادية البراغماتية التي يتساوى فيها الإنسان مع الآلة ، فهو بذلك جعل للقيم مكانة أساسية في البرنامج الحضاري إلى يسعى لصناعة الإنسان ومستقبله.

إن البعد الإنساني الذي يريد غارودي التأسيس له إنما هو نابع من أصل مشروعه الذي سماه مشروع

حوار الحضارات، فبهذه التسمية يوحي من خلالها للبعد العالمي في صناعة الحضارة بعيدا عن كل أشكال التعصب والتحزب والجهوية، ليجعل لا تفرقة في تعاملات الإنسان اليوم، مهما اختلفت الإيديولوجيات ومهما تنوعت الانتماءات، فستظل مظلة إنسانية تسع جميع البشر والهدف من وراء كل هذا أن تكون " **تلك الثورة الثقافية المواكبة لتغير المؤسسات ولتغير الضمائر حتى تتاح لكل فرد المساهمة في الصياغة المشتركة للغايات مشروع حضارة جديد والمساهمة كذلك بصفته ذاتا مستقلة ذات سيادة وفي التسيير الذاتي الاجتماعي على المستويات كافة: الاقتصاد السياسة والثقافة تلكم هي الأبعاد الكبرى لثورة اليوم** "[1] .

[1] روجي غارودي: البديل، ص157.

من بين المبررات التي دفعت غارودي إلى إقامة حوار بين الحضارات هو انتزاع وافتكاك المركزية الغربية التي أصبحت تروج لنفسها على أنها النموذج المثالي والفريد من نوعه الذي وجب على الإنسان المعاصر احتضانه بقوة والترحيب به والاندماج في كنفه، راكبا بذلك موجة النمو من اجل النمو ، وهو مشروع من" **أكثر الأمور إلحافا من اجل إقامة علاقات جديدة مع العالم مع سائر البشر ومع مستقبلنا المشترك** "[1]؛ أي دعوة لكافة البشرية بان تساهم بإبداعاتها من اجل صناعة مستقبل واحد يضمن للإنسانية تواجدها، ويكفل لها كل القيم الأخلاقية التي تمثلها وبشكل آخر إبراز دور كل الحضارات دون استثناء وتجاوز وتسليط الضوء على كل مفرزاتها وإبداعاتها " **فمن الواجب أن نتعلم من الحضارات الأخرى بصورة أساسية المعنى الحقيقي لعلاقة المشاركة الإنسانية التي تجد كل فاعلية ذاتها، وهي تنهيض بعبئ من أعباء المجتمع المسؤول والمسألة ترجع إلى الانتقال من ديمقراطية تمثيلية إلى ديمقراطية المشارك التي لا تستند إلى أساس الندب للسلطة بل إلى الإسهام في جميع المستويات** "[2]؛ فغارودي من خلال قوله يتجاوز كل أشكال الإقصاء التي نلمسها في النموذج الغربي وبذلك دعوة للمشاركة الايجابية في سبيل تحقيق النهضة المنشودة التي تجعل كل فرد يتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه، والتي يمارسها من الدور الذي يلعبه في حيز حضارته، فلا احد ينكر إسهامات الحضارة الإسلامية في المنجز والموكب الحضاري ومدى استفادة الغرب من إبداعاتها، إلا أن المتفحص لهذا الأخير يجد أنها لا تحضى بأي اعتراف بإسهاماتها دون أن ننفي وجود بعض الاستثناءات التي تقر بفضلها، بل تجاوزت ذلك واعتبرتها حضارة عظيمة، لا يمكن بأي حال من الأحوال تهميشها، بل تمكنت في وقت وجيز أن تتسع إلى أن كادت تكتسح كل العالم لولا بعض الإخفاقات.

من بين الدواعي أيضا التي جعلت غارودي يرتكز على ضرورة الانفتاح والتلاقح بين الحضارات هو التهميش والتقزيم الذي يتعرض له دول العالم الثالث من طرف الغرب والتعاملات الدونية ونظرة الانتقاص التي جعلت منه مجرد سوق مستهلك لمنتجات أبدعها العقل الغربي، وما هو في الأخير إلا شعب عجز عن إنتاج قوته وصناعة ملبسه والدخول في دائرة التأثير والتاريخ دون مراعاة البعد الإنساني الذي يوحد البشر ودون إعطاء الاعتبار للمستقبل الواحد مادام الكل بقطن فوق الكرة الأرضية، فكل حضارة تنظر للإنسان نظرة احتقار لأنه لا

---

[1] روجي غارودي، في سبيل حوار الحضارات، ص116.

[2] نفسه، 162.

يتبنى إيديولوجيتها ولا ينتمي لحزبها ولا يعتنق دينها هي حضارة عرجاء خالية من القيم الإنسانية والأخلاقية، وحضارة لا تعترف بالآخر يمكن أن نطلق عليها أنها حضارة لا إنسانية لذلك " **فان حوار الحضارات حقيقيا ليس بجائز إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر، والثقافة الأخرى جزءا من ذاتي يعمر كياني ويكتشف عما يعوزني**"[1]؛ حينما تذوب الأنا في الآخر وتعتبره جزءا من كيانها وسببا لتحقيق كينونتها هنا نقول أننا قد حققنا حوار حضاري حقيقي جدير بالذكر تحت مبرر أن الإنسان اجتماعي بطبعه ما دام يسعى لإدارة دولاب الحضارة.

1-انسنة الاقتصاد:

يعتبر الاقتصاد احد المجالات التي يمكننا اعتبارها مؤشر للحكم على تطور وتقدم دولة ما، فالنموذج الغربي يضع غاية لهذا المجال وهي لمس وتحقيق وتقدم في النشاط الإنتاجي، وسد وإشباع الحاجات المادية ولا سيما الضرورية، ومن هذا الباب بالتحديد انتقد غارودي هذه السياسة التي يسلكها ويتبناها ويعمل وفقها الاقتصاد الغربي، كونه استبعد فكرة أن الإنسان هو صانع الاقتصاد وصانع ما قد ينجر عنه من ايجابيات وسلبيات، لذلك وجب عليه أن يضفي على هذا النشاط المادي البعد الإنساني وان يعمل على تحريره من كل أنواع الاستبداد فيما يسمى بالملكية، وكل إشكال الاختلال في توزيع القوى.

إن المشروع البديل الذي أبدعه فيلسوف الحضارة غارودي والذي طرحه في الساحة الفكرية هو نموذج متكامل كونه اهتم بالجانب الاقتصادي والسياسي والتربوي، بالإضافة إلى ارتكازه على جملة من القيم الإنسانية ومجموعة من الأبعاد الأخلاقية هذا مما يجعله يحظى بالقبول على البعد العالمي والترحيب به في كل أطياف القطاعات، ومختلف التنظيمات والتحالفات التي تتبنى القيم ذات البعد السامي التي تحترم

وتقدس إنسانية الإنسان بعيدا عن الروح المادية الجوفاء التي تفرغ الإنسان من محتواه وتجعله يحيد عن الغاية التي وجد من اجلها، كما أنها تصرف عن نظره تحرير إرادته لصناعة المستقبل وتطور حضاري والمساهمة في النهضة الشاملة، يقول غارودي: " **إن بعث الوحدة الإنسانية لا يمكن أن يتم بواسطة العنف والسلاح اللذين كانا يفصمان عراها، ولكنه يتم بواسطة تحالف كل القوى الإنسانية حقا: من الاقتصاد إلى الثقافة**

[1] روجي غارودي، في سبيل حوار الحضارات، ص158.

إلى الإيمان "[1]؛ فحتى لو حقق الاقتصاد النمو في أعلى درجاته وكونه قد قتل الإنسان حين جرده من إنسانيته باستخدام أساليب القوة والعنف، لا يمكننا أن امتدح التطور ونعتبره مكسب للإنسانية، فهو اقتصاد لا يعول

عليه فعوض أن يخدم الفرد ويسد حاجياته يكمل نقائصه ويحد من أزماته دون خدش إنسانيته حاد عن هذا المسار بل دمر الإنسان وجعل التكالب على الثروات والصراع من اجل الهيمنة وتحقيق الترف هو الوجهة والمقصد، وهذا ما تسبب بشكل مباشر في تفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، يقول غارودي**:**

" **النمو الاقتصادي ينطلق بواسطة أرباح إنتاجية التي تمت بفضل العلم والتقنيات التي تسمح باستبدال الآلات بجزء اكبر من عمل الإنسان ، واليوم افرح بسبب تطور المعلوماتية والإنسان الآلي والحاسبات الالكترونية** "[2]؛ لان الهدف المنتظر الذي يسعى إليه الغرب اليوم هو النمو من اجل النمو الذي تحركه روح التنافس لوسائل الإنتاج ومضاعفته، وليس في توفير عيش كريم لفئة قد تقضي عليها مشكلة البطالة مما يتسبب

في توزيع غير عادل للثروة وغياب كل قيم التضامن التي من شأنها أن تجعل الإنسان يحقق إنسانيته.

يدعو غارودي من خلال مؤلفه كيف نصنع المستقبل إلى ضرورة بناء واقع اقتصادي مؤسس على دعائم عادلة، ليفك عقال وجوده من كل الوصايات المسيطرة التي تكرس لوحدانية السوق"

نحن نعيش في عالم أحادي القطب، ولكن علينا أن ندافع عن هويتنا، من الثقافة إلى الاقتصاد، ضد الاصونية المتفاوتة للطامحين في السيطرة العالمية بواسطة لعبة وحدانية السوق التي تجعل من السوق أي من النقود المنظم الوحيد للعلاقات الاجتماعية "[3]؛ فسياسة وحدانية السوق من بين السياسات التي تخدم القوي ولا تراعي الإنسانية في الضعيف، فهي تجريد للتعاملات الاقتصادية من المعنى ومن كل ما له علاقة من قيم أخلاقية كالعدالة والمساواة والتضامن والتعايش، مما يساهم في جعل المال هو السبيل الوحيد لتنظيم العلاقات الاجتماعية، فالقوي تسوق له أفضل المنتجات وتعقد معه أعمق الاستثمارات، في حين نجد الضعيف أو العالم

---

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص116.

[2] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل ، 110.

[3] نفسه، ص120.

المتخلف لا ينظر إليه إلا كونه سوق استهلاكي يقتني منتجات الحضارة الغربية دون وعي، وقد يستورد منتجات لا حاجة له بها سوى أن الإعلام قد روج لها وجعلها احتياج ضروري ورغبة حقيقية ترغمه على شرائها،

وهنا لا يصبح السوق بنظرته الأحادية أن يكفل للإنسان الحاجات الضرورية بطابع إنساني.

الرأسمالية أيضا كنظام قائم على الصراع والسيطرة والهيمنة هو الآخر خضع لمحاكمة أخلاقية ووزن الإنسانية كونه يتعارض مع ما جاء به من قيم وجب التشبث بها في التعاملات الاقتصادية والممارسات التجارية حتى يكون تساوي بين مالكي وسائل الإنتاج وبين طبقة العمال يقول غارودي: " **إن الرأسمالية التي تجعل من قوة عمل الإنسان بضاعة تؤيد الثنائية تلك السمة المميزة لكل مجتمع قائم على التعارض بين طبقتين رئيسيتين: طبقة الملاك لوسائل الإنتاج، وطبقة من لا يملكون فيخضعون بالتالي للأوائل** "[1]،وهذا شكل من أشكال التهكم وبخس الجهد الذي يسحب من الرصيد الإنساني كل القيم التي تعبر عنه، كما انه خضوع بغير حق وبغير قانون لمالكي وسائل الإنتاج، لذلك وجب الانتفاضة والتعبير عن الرفض بكل وسائل الاحتجاج من اجل إنقاذ العامل من كل أشكال التعسف ومظاهر الاستغلال، ليكون هناك توازن حضاري بعيدا عن الملكية والتملك.

لقد عبر غارودي عن رفضه لكل رؤية حضارية لا تجعل الإنسان على رأس اهتماماتها، ولكل حياة خالية من المعنى كما انه دعى إلى ضرورة الاتحاد من اجل تشييد عالم واع وغني ثري ومتنوع بإمكانه

أن يطمئن الإنسان عن مستقبله وبإمكانه أن يضمن التقاء كل الثقافات ولكل الشعوب حيث يسمح كل شخص أن يساهم بإبداعاته مهما كان أصله وتراثه وانتماؤه[2]، فالعالم الذي يطمح العيش في كنفه هو عالمي إنساني يخلو من كل أنواع التعصب وأشكال التفرقة، يتغنى بالإنسانية ويحظى بالروح التشاركية ويسمح بالإبداعات

---

[1] روجي غارودي: البديل، ص46.

[2] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص120.

الفردية مهما كان الأصل والانتماء، وهنا يكون تأكيد لفكرة التسامي التي أسس عليها غارودي فلسفة الفعل ذات البعد العالمي.

2- انسنة السياسة:

إن مشروع غارودي الحضاري تضمن أيضا وضم الجانب السياسي، الذي يعتبر العمود الفقري والقلب النابض لصناعة أي حضارة أو نهضة أو تطور، كون أن الإصلاح الفوقي الذي ينتج عن تفاعل النظام السياسي مع مواطنيه هو إصلاح عميق يمس مختلف المجالات وشتى القطاعات، فإذا صلح المقصد السياسي ازدهر الاقتصاد وتعافى المجتمع من كل الأزمات التي قد يلقى الإنسان حتف إنسانيته بواسطتها.

لقد ندد غارودي بجملة من الإصلاحات التي صدرت منه كرد فعل عن السياسة التي يسلكها النظام الليبرالي الغربي التسلطي الذي يفتقر للبعد الإنساني ويعاني من تصحر القيم الأخلاقية التضامنية، هذه المراجعات من شأنها أن تسترجع البعد الروحي الذي ضاع في كنف نظام عالمي مادي، وتستعيد كرامة الإنسان وحقوقه التي هدرت باسم الديمقراطية المزيفة، ولقد أسهم هذا النظام وانجر عنه أزمات عميقة ومشاكل كبيرة مست وتعدت إلى الشأن الاقتصادي والاجتماعي بدرجة اكبر، محاولا بذلك إنقاذ إنسانية الإنسان من انتحار حضاري بليغ.

دعا غارودي من خلال المشروع البديل إلى ضرورة إرساء مبادئ سياسية رصينة رأس مالها احترام إنسانية المواطن والحفاظ على كرامته كون أن أي نظام سياسي ديمقراطي لا يعني التهكم والسيطرة، بل هو مجرد ممثل للشعب يسعى لتنظيم حياته وإرادة شؤونه بمعزل عن كل أشكال التعسف والتهكم وما لا يمت بأي صلة للإنسانية. السياسة التي يتبناها غارودي هي سياسة تسع الجميع باختلاف العقائد والأديان وبتنوع الاديولوجيات والانتماءات وتباين الأعراق والأجناس بعيدا عن إشعال فتيل النعرات والتفرقات العنصرية التي قد تعصف باستقرار المجتمع وسلامته.

إن وظيفة السياسي بصفة عامة هو تحقيق السعادة للمواطن الذي يمثله وتمكينه من التعايش تحت إطار دولته التي يرأسها كافلا حقوقه ضامنا حريته، ولقد عمل غارودي على تغيير جملة من المفاهيم التي قد نسميها مرتكزات يقوم عليها النظام السياسي كونها قد حافظت على مسمياتها وحادت عن أهدافها ،بداية مع مفهوم السياسة في حد ذاتها " **فالسياسة ما عادت تعنى أن تنتخب او تنتمي إلى حزب، بل أن يخترع كل واحد**

منا المستقبل "[1]؛ فإعطاء فرصة للفرد بان يصوغ مخططه ويصنع مستقبله هي محاولة لإضفاء الانسنة على السياسة ، فتتحول فيها الغاية من الاكتفاء بالانتماء إلى حزب سياسي إلى تبني ما هو أعمق وهو صناعة مستقبل ينحاز إلى صف الإنسانية أثناء مشاركته بأي مبادرة عملية من شأنها أن تنفع الفرد ذاته وتتعدى إلى غيره الذي يربطه به مصير واحد ومستقبل موحد " **ليست السياسة أن نطالب الإنسان بان يعطي ما يملكه وإنما أن نطالبه بان يعطي ما هو اشق من ذلك ذاته وكينونته بأسرها** "[2].

كما تطرق أيضا إلى نقد مفهوم الديمقراطية هو الآخر أيضا ضمن النظام الليبرالي، هذا الذي لطالما تغنى بالحرية وحفظ حقوق الإنسان ، يقول غارودي: " **كل ديمقراطية قائمة على الدفاع عن فرد مجرد دون أن تأخذ في حسبانها قدراته الحقيقية مثال قدرة المالك وقدرة العاطل، لا يمكن أن تؤدي إلا إلى انتخاب أغلبية إحصائية، يسعى كل واحد فيها لمصالحه الخاصة** "[3]؛ فالديمقراطية التي يقوم عليها النموذج الغربي خالية من كل بعد إنساني يراعي قدرة الفرد، بل جل همها هو انتخاب أغلبية تخدم لنفسها دون مراعاة غيرها

بدل من كون الديمقراطية تعني حكم الشعب، وتحقيق ما يطمح ألّيه من خدمات وحاجيات تكفل له العيش الهنيء والسعادة بمفهومها الأوسع، وليست السعادة المادية التي يحكمها النظام الكمي، أي الممتلكات " **إن عالم قائم على مفهوم كمي للسعادة لا هدف له سوى الإنتاج والاستهلاك بشكل متزايد ومتسارع لأي شيء ، لدرجة أن الأكثر استثمارا اليوم عي السلاح والمخدرات** "[4].

ما ينقده ويفتقده غارودي في سياسة الغرب هو غياب الإيمان بقيم مطلقة لا تحدها النسبية تحت أي زعم كان لأن " **غياب الإيمان بقيم مطلقة تجعل كل فرد يقدس واجباته بدلا من أن تسيطر شريعة الغاب الفردية ، حيث يعتقد كل فرد أنه مركز معيار الأشياء، وأنه منافس وخصم للآخرين** "[5]، فبين النزاع

---

[1] روجي غارودي: البديل، ص08.

[2] روجي غارودي: البديل، ص08.

[3] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص125.

[4] نفسه، ص133.

[5] نفسه، ص135.

والتنافس والتسلط والانتقام تضيع كل القيم لما فيها القيم المطلقة السامية التي لا تخدم ذات الإنسان فقط، بل تكفل له التعايش مع بني جنسه تحت مظلة الإنسانية، لتنتقل نظرة الإنسان من مركزيته وتمحوره وانغلاقه على نفسه إلى انفتاحه عن غيره واحترام حرياته، وبالتالي تجسيد الانتقال من النظام الفردي الذي يتأسس على النفوذ والتسلط إلى نظام ديمقراطي يجسد الديمقراطية الحقيقية التي تعنى بالشأن الإنساني ، دون الانتصار للأشخاص أو الهيئات أو المنظمات أو الاتحادات على حساب بعد مركزي في الإنسان هو البعد الإنساني ، وهذا ما يكسبه فلسفة التعالي التي تصبغ المرامي والغايات بإبعاد تتجاوز الذاتية إلى الجماعية، وتتعدى القومية وصولا إلى العالمية، كإنشاد مستقبل واعد ونظام عالمي تذوب فيه كل التعصبات والانتصارات للذات بعيدا عن مستقبل الجماعة، وبالتالي تحقيق إصلاح شامل يحرر المواطن من عفن الفساد وذل الاستبداد الذي لا سيما النظام الليبرالي يؤسس عليه تعاملاته الاقتصادية وحتى في إدارته للعلاقات الاجتماعية. إن " **التحول الجذري والذي يمكنه وحده أن يكفل ازدهارا جديدا للإنسانية أو على الأقل بقاءها على قيد الحياة ، يقتضي الانتقال من النزعة الفردية التي يعد كل فرد فيها نفسه مركزا ومقياسا لكل شيء، إلى الجماعية التي يشعر فيها أنه مسؤول عن الآخرين** "[1].

عندما ركز غارودي على الحياة الجماعية ودعى إلى ضرورة التحرر من النزعة الفردية كان محقا، كونه يسعى إلى بناء نظم سياسية تحمل فيه مواطنها المسؤولية والشعور بالواجب الإتيقي اتجاه الآخرين مع حفظ الحقوق، ولكن في المقابل أداء الواجبات، وهذه بالتحديد تخدم التصحيح لمعنى الديمقراطية الذي سبق توضيحه " **فالديمقراطية حقيقة لا يمكنها أن تشيد على تصريح عالمي لحقوق الإنسان والمواطن يكون دائما مزيفا وكاذبا، ولكن على إعلان واع بالواجبات الإنسان** "[2]؛ فوعي الإنسان بواجباته يجعله يحظى بالديمقراطية بمعناها العميق، بعيدا عن السطحية والزيف مما يكفل له وحدة عالمية تضم جميع الشعوب باختلاف رؤاه وتياراته.

ويقول غارودي موضحا تصوره للأنسنة : " **الإنسانية مجتمع واحد، ولكن ليس بواسطة امبريالية قائمة على سيطرة دولة أو ثقافة، هذه الوحدة على النقيض سيمفونية، أي غنية بمشاركة كل الشعوب**

---

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل،ص135.

[2] نفسه، ص136.

وثقافتها "[1]؛ إنها إنسانية لا تقضي أي ثقافة كانت، بل دعوة للتشاركية والمساهمة في فعالية كونية وصفها في قوله سيمفونية، دلالة على التناغم وروح التعايش التي توحد المواطنين، ..... بذلك من السيطرة والتسلط، محققين مقاصد الاّصلاح ومشاريع النمو ذات البعد العالمي ، متجاوزة الحدود الجغرافية والإقليمية.

فوجود نظام سياسي إنساني يكفل للضعيف حقه وينصف للقوي جهده دون إخلال التوازن، نظام يضمن سائر المجتمعات والدول والحضارات تجاوز الاصطدامات والنرفزات والمشاركة بالإبداعات الحضارية، طامحة وساعية في صناعة عالم يوحد ويسع جميع الأفراد والشعوب، ويكفل حق المساهمة الايجابية في التغيير والتطوير نحو الأفضل والأمثل في شتى المجالات ومختلف تخصصات الحياة بصفة عامة.

3- أنسنة التعليم:

أدرج غار ودي ضمن مشروعه الإصلاحي التعليم، لما يشغله من وزن وأهمية في صناعة أي حضارة

إنسانية ولبناء أي نهضة فكرية، فالبعض يعتبره الأرض الخصبة التي تنتج لنا ذاتا فاعلة ايجابية، .... التي من خلال نصنع يدا ماهرة إبداعية، والتاريخ يكشف لنا ويثبت أن وراء ارتقاء الأمم وصعود وتطور الدول تطور على مستوى نظم التعليم وطرق التدريس ومحتوى المناهج.

إن ما يطمح إليه غارودي من خلال انسنة التعليم هو صناعة ذات إنسانية لها أبعاد وغايات سامية تقوي وتغذي وتعطي مناخ إنساني ينبض بالقيم الروحية التي تحقق كينونته بعيدا عن استنساخ واستيراد المناهج الغربية التي يعيب عنها أنها متورطة في إنتاج متعلم لا يختلف كلية عن الآلة، فردا مغتربا في وطنه عاجزا عن صناعة مستقبله، لذا وجب تدارك هذا الأمر وإنقاذ الإنسان من انتحار أخلاقي لا مفر منه ما لم نفعل وظيفة التربية والتعليم على الأسس الصحية " **وعلى ذلك فإن المهمة الأولى للتربية لا يمكن أن تكون بعد تكييف الطفل مع نظام قائم ، يجعله يتمثل المعارف والحكم المهيأة لتطويعه له، كما سبق الأجيال السابقة أن فعلت، بل**

[1] نفسه، الصفحة نفسها.

إن مهمتها على العكس هي مساعدته أن يعيش في عالم يتغير بإيقاع لا مثيل، تاريخيا له، أي جعله قادرا على خلق المستقبل واختراع ممكنات جديدة "[1].

إن وظيفة ومسؤولية التربية المنوطة لها في ظل العصر الراهن وما يشهده من صراعات وتغيرات، ليس تلك التي كانت تؤديها بالأمس القريب والتي كانت تختصر في تزويد المتعلم بجملة من المعارف والنظريات العلمية، بل إن أهم مسؤولية ملقاة على عاتقها، ووجب على المختصين التربوين والمعلمين أن يتحملوها هي الحرص على جعل الغاية الأسمى بناء إنسان قادر على إدارة يومه، متمكن من التخطيط لمستقبله في عالم يعتريه الكثير من التعقيد.

ولقد ركز غارودي ونوه إلى الارتقاء بمستوى الغايات والأهداف التعليمية لا لشيء سوى أن ارتقاءها يعين دخولها صف الإنسانية دفاعا عن الهوية، وتحقيق لحضارة عالمية " **وهذه المشكلة لا يمكن أن تحل بعد بإصلاح ما لتعليم أي بتغيير الوسائل يتيح إدراكا أفضل للغايات المقصودة حتى الآن، بل بثورة ثقافية**

حقيقية تضع هذه الغايات مجددا موضع تساؤل، وتتوجه بالتماس، واكتشاف مشروع جديد للحضارة "[2]؛ فالإصلاح الذي يقصد غارودي لا يعنى بالوسائل بقدر ما يركز على الغايات، فكلما ارتقت الغاية وسمت كلما زاد جهد الإنسان في بذل وإحداث ثورة ثقافية تمتاز بفكر نقدي تجريدي، لما ترنو وترمي إليه ، وهذا ما يمنحنا بصورة مباشرة النظر في محتوى مناهجها ومحتوى وماهية أهدافنا وغاياتنا من التعليم الإنساني دون الرذوخ لأي سياسة بإمكانها أن تملي نظام لا يتواءم مع ما نطمح إليه.

إن التغيير والتعديل والإصلاح الذي نريده في محتوى المناهج التربوية يهدف جوهريا إلى إعادة إحياء التفكير النقدي الإبداعي الديمقراطي، وليس لإنتاج نسخة أخرى عنه، وإلى إيقاظ الطاقة الخلاقة المودعة والمكتسبة في ذات الإنسان ويتطلب ذلك ما يلي:

- أن يكون للثقافة الغير الغربية، في هذه التربية مكان مماثل للثقافة الغربية لإضفاء البعد العالمي.

- أن يكون للفنون والجمال مكان مماثل للعلوم والتقنيات.

---

[1] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص77.

[2] روجي غارودي: مشروع الأمل، دار الآداب، بيروت، ط1، 1977، ص104.

- أن يكون للانتقالية مكان كالتأمل في غايات وقيم .... المستقبل[1].

فهي إذن متوازنة بين الجانب المادي المتمثل في العلوم التقنية ، وبين الجانب المعنوي الروحي المتمثل في الفنون والجماليات، كل ذلك ضمن مناهج التربية التي نريد تجريدها وفق رؤية إنسانية تسمح للعقل بالانفتاح عن كل الثقافات الغربية وغير الغربية، كما أنها مقاربة لتشجيع الفرد والتعلم على الإبداع والابتكار بتنمية نمط التفكير النقدي والعقلي والمنطقي، بعيدا عن جاهزية المعلومات واستقبال النظريات دون تغيير أو تمحيص.

أما الموازنة الثانية التي تضمن للمتعلم نظرة تكاملية عن المعارف النظرية التي يتلقاها بإضافة وإدراج الجانب التطبيقي حتى لا تكون فجوة بينهما، لذلك " **إن الصلة بين الدراسة النظرية والعمل تسمح بتجاوز التعارض بين العمل اليدوي والعمل الثقافي، وأن الثنائيات والتسلسلات التي تتأتى منها يجب أن تمحى تدريجيا، إذ يقضي الطلاب جزءا متناميا من وقتهم في مكان العمل حتى لا يفصلوا أولا التفكير النظري عن العمل اليدوي، ثم ليقيموا اتصالا مع العلاقات التي تقوم داخل المنشأة** "[2]؛ لكي يكون للجانب النظري أهمية يجب أن يربط المتعلم بيئته ومجتمعه، لكي يمارس دوره الحضاري ويتفاعل بشكل ايجابي لحل المشكلات وتجاوز المعضلات مساهما في تغيير واقعه ومبادرا في تحقيق وجوده.

ويعرض غارودي خطته بشكل مفصل في كتابه كيف نصنع المستقبل، حيث يذهب للقول أنه من أجل إحداث تغير جذري في التعليم وجب القيام ب :

1/ تعليم القراءة:

كل شيء يبدأ مع القراءة، ومنها يكون الالتزام بأي مفهوم للثقافة، فالكلمة المكتوبة هي أداة لتغيير البيئة والجماعة، ووسيلة من وسائل نقل المعرفة، وتعلم القراءة لا يعني تهجئة الكلمات وإنما أن تعلم كيفية تفسير الواقع وفك شفرته وتبصر العالم وتصدعاته وتغييره[3]، فتمكن المتعلم من القراءة المقصود بها قراءة الواقع تجعله

---

[1] نفسه، ص107.

[2] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص ص171.170.

[3] نفسه، ص175.174.

يضع يده على مواطن الضعف ليقويها، والتواصل لكل التناقضات وأشكال الزيف التي تحيد العقل عن بلوغ الحقيقة، وبالتالي تنمية لنمط تفكيره بالبحث في عالم الأسباب وتحديد الغايات.

2/ تعليم التاريخ:

إن إدراج التاريخ ضمن المحتوى الدراسي مهم جدا، وذلك كونه يساهم في اختراع أساطير تؤسس للانسجام القومي، بالإضافة إلى عرضه للتاريخ الاستعماري وما بعد الاستعماري لقيم الآخر، لكي يتعلم المتعلم طريقة الحوار وهي ضمنيا دعوة إلى التلاقح الحضاري والانفتاح عن الآخر مهما كان، كون الإنسانية توحدنا، إن التاريخ الذي دعا غارودي إلى حذفه من المناهج التربوية ذلك الذي يحوي حقائق مزيفة لا تمت بأي صلة للحقيقة، فإنه يروج للنظام الأحادي، كما يعمل على إلغاء الانفتاح والتخاطب التاريخي بين الأمم، إذ لا يعترف بصف اسمه الإنسانية ذلك " **يجب أن يتم مادة التاريخ في التعليم بشكل جذري، لا يتعلق الأمر هنا بنقل المعلومات التاريخية، عن طريق الكتب المدرسية التي يعقبها بعضها بعضا وبنقل بعضها عن بعض، اعتمادا على نموذجين أو ثلاثة تتنوع من حيث طريقة عرض المادة، ولكنها تخضع جميعا لنفس المنطق، منطق الفكر الأحادي، فكر الأساطير المعبرة عن الأصل أو التكوين التاريخي للأمة، مما يؤدي في النهاية إلى تشكيل مواطنين ذوي فكر أحادي مبرر لصحة الوضع السياسي** "[1].

3/ تعليم الفلسفة:

يعطي غارودي أهمية كبرى للفلسفة في صناعة النهضة، لذا سبق وبيننا رفضه ونقده لفلسفة الوجود وترحيبه وثنائه على فلسفة الفعل المتعالية، التي تهتم بصناعة الغايات السامية، ودعا إلى ضرورة إدراجها داخل المناهج التربوية وتحقيق التوازن بين المعارف العلمية وبين الحقائق الفلسفية كما يسميها الحكمة التي خان الغرب أهدافها " **فمثل هذه الحكمة قد أصيب بالضمور في الغرب، فلا الفلسفة ولا اللاهوت قادرين على القيام بهذا الدور التكميلي للعام الذي يوفر الوسائل والحكمة التي تحدد الغايات** " [2].

---

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص183.

[2] نفسه، ص200.

وظيفة الفلسفة إلى جانب وظيفة العلم يحقق لنا عدم حياد هذا الأخير عن مسار الإنسانية في ظل تصاعده من علة لأخرى، نجد أن الحكمة هي الأخرى ترتقي معه من غاية لأخرى، حتى لا يستخدم العلم في تدمير أو مسخ الإنسان ، وإنما عليه أن يعمل من اجل ازدهاره، وذلك من خلال ضبط غايات إنسانية للعلم، كونه لا يمكنه أن يمد نفسه بها، في حين أن الحكمة تتيح لنا استخدام آخر للعقل[1].

والفلسفة ضمن المشروع الحضاري الإصلاحي لا تتعارض مع العلم ولا مع الدين رغم التباين الشديد بينهم، فغارودي يرى بالإضافة البعد الإيماني يكتمل العقل وتزداد حاجته " **إن الإيمان هو البعد الثالث لكل عقل متكامل، فلا العلم في بحثه عن الأسباب ولا الحكمة في بحثها عن الغايات يصلان إلى علة أولى أو غاية نهائية، يبدأ الإيمان مع الوعي الواضح بحدود العقل وحدود الحكمة ومن ثمة فهو صلة ضرورية لانسجامهما ووحدتهما هذا الإيمان ليس منافسا للعقل أو تحديدا له وإنما الإيمان هو تغيير عقل بلا حدود** " [2]؛ بإدراج العلم والحكمة والإيمان ينتج لنا إنسان متطور في الجانب التقني محتمي بالحكمة لعدم الحياد عن صف الإنسانية محققا تكاملا منقطع النظير، بالإضافة إلى البعد الإيماني الذي يمد التسامي للغايات والأهداف.

وفي الأخير نستنتج مما سبق في الفصل الأول أن غارودي بعد عملية النقد التي جراها على الموروث الغربي وبعد كشفه لمواطن الضعف والقوة استطاع أن يقدم بديلا كافيا بإمكانه أن يعيد صناعة إنسان متحرر من الاغتراب والاستسلام ،قادر على صنع الحاضر والمستقبل، كما استطاع أن يحدد المنطلقات العريضة لأي إقلاع حضاري، وجعل في مقدمة ذلك رأس المال البشري الذي لم يتجاوز في عرضه اختزال الحكم فيه ألا وهو البعد

---

[1] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص200.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

الإنساني لينتج عنه بالضرورة حضارة إنسانية تخدمه ولا تقف ضده، حضارة تعطيه قيمته كانسان لا يمكن مقارنته بالآلة بإمكانها أن تدخله هذه المكانة التاريخ العالمي بغايات سامية تخدم البشرية جمعاء.

ثالثا: دور الإسلام في حل أزمات الإنسان الحضارية

بعد أن تنقل غارودي بين كثير من الديانات والمعتقدات، استقر على دين الإسلام، هذا الأخير الذي وصل إليه بعد رحلة بحث وتحري، وبعد مدة طويلة من ممارسة عملية النقد والتقييم لكثير من الأديان

والإيديولوجيات وما احتوت عليه من أفكار.

من الإلحاد إلى المسيحية البروتستانتية مرورا بالشيوعية الماركسية وصولا إلى الإسلام، ويقول عن كيفية انتمائه وإيمانه بهذا الدين: " **أحب أن أقول أن انتمائي للإسلام لم يأت بمحظ الصدفة، بل جاء بعد رحلة عناء وبحث ورحلة طويلة تخللتها منعطفات كثيرة، حتى وصلت إلى مرحلة اليقين الكامل والخلود إلى العقيدة أو الديانة التي تمثل الاستقرار، والإسلام في نظري هو الاستقرار**"[1]، بمعنى أن دخوله في الإسلام لم يكن اعتباطيا أو في لحظة تعاطف، بل وصل إليه من خلال التأمل والتدبر والتمعن بل وصل إلى اعتقاد أن الإسلام هو الاستقرار بالنسبة إليه.

كان دخوله في الإسلام في الرابع من آذار مارس 1941 عندما كان من بين المعتقلين بسبب مقاومتهم لهتلر، وقد قام بتهجيرهم إلى الجلفة جنوب الجزائر، وكانت حراستهم بين الأسلاك الشائكة،وفي ذلك اليوم نظموا مظاهرة على شرف رفاقهم في الفرق الدولية الاستعمارية، وعصيانهم لقائد المعسكر جعله يستشيط منهم غضبا، وقد انذرهم ثلاثا إلا أنهم أصروا على عصيانهم، مما جعل القائد يأمر حاملي السلاح بإطلاق النار عليهم إلا انه رفض رغم التهديدات التي تعرض لها، وبفضلهم عاشر غارودي مدة أخرى من الزمن، ولقد استفسر منهم لماذا لم تطلقوا النار؟ فأجابوه بان ما ينافي شرف المحارب من الجنوب أن يطلق رجل مسلح النار على رجل اعزل[2]، فاحترامهم لشريعة الإسلام جعل غارودي يزداد إعجابه أكثر بهذا الدين الذي يحفظ قدسية الإنسان، بالإضافة إلى انه دين يحمي العديد من القيم الأخلاقية التي يفتقدها العالم اليوم بالأخص العالم الغربي. اهتم العديد من

[1] روجي غارودي: لماذا أسلمت، ص86.

[2] روجي غارودي: حوار الحضارات، ص5.

المفكرين والفلاسفة بقضايا الإنسان والمشاكل التي تحيط به، والعوائق التي تعترض طريقه كذات إنسانية تسعى لتشييد حضارة، ولا سيما في الوقت المعاصر، من بينهم نجد روجي غارودي أو كما يسميه البعض فيلسوف الإنسانية، لا لشيء سوى أن فكره ومشروعه الحضاري جاء ليتدارك ما غفل عنه الغرب من بعد إنساني، وما سببه هذا التجاوز من مشاكل وألام جعلت الفرد الغربي خاصة والعالمي بصفة عامة يعاني من أزمات حادة شغلته وألهته عن أداء دوره الحضاري ومسؤوليته الاتيقية إزاء وطنه ومجتمعه وأمته.

لقد تبصر غارودي الحلول النهائية لمشاكل الإنسان، والمراهم الشافية للأمراض التي فتكت به في عقيدة توحيدية هي الإسلام، بداية من اللاهدف للذي جعل الإنسان لا يدرك غاية وجوده مما ترتب عنه العشوائية في أفعاله وتصرفاته، لأنه تخلى عن الإيمان بفكرة وجود الله، وهذا الكلام يقتصر على كل ملحد يائس من الحياة، " **فهذا الوحي بالوحدة الإلهية (التوحيد) الذي يعطي لكل حياة ولكل شيء معنى بالنسب كعلاقته بالكل، ليس توحيدا جامدا توجبه الإيمان بالله واحد مجرد**"[1]؛ إضافة المعنى للحياة هذا ما أضافه الدين لمعتنقيه، في ظل المادية التي قضت على هذا الجانب وجعلت أسمى معنى يعيشه المرء في ظل النموذج الغربي هو النمو من اجل النمو ولا وجود لمعنى آخر غيره.

بالإضافة إلى أن الإسلام يضفي معنى للحياة، انه يخلص الإنسان من شعوره بالاغتراب، والدليل على ذلك أننا إذا رجعنا إلى الحضارة الإسلامية نجد انه " **قد ظهرت حيوية العقيدة الإسلامية أيام ازدهار الحضارة الإسلامية حيث حركت المسلمين لنشر الإسلام في العالم لإعلاء كلمة الله تعالى، ومثلما فعلت في الماضي، فان هذه العقيدة كانت بمثابة الدرع الواقي للمسلمين في معركتهم ضد الاغتراب في العصر الحاضر**"[2].

كما استطاع الإسلام أن يتجاوز احد المشكلات العويصة التي طالما عانى منها الغربيون مما جعلهم يبعدون الدين عن كل مناحي الحياة، وحصره فقط في المعابد والكنائس، وهي مشكلة فصل الدين عن الدولة ، كما يطلق عليه البعض، في حين " **يسمح الإسلام بوضع مشكلة العلاقات بين العقيدة والسياسة، علاقات بين .... للإنسان دون أن يخلطهما مع العلاقات بين الكنيسة والدولة، مثلما حدث كثيرا في أوربا**

---

[1] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص32.

[2] مصطفى حلمي: الإسلام والمذاهب الفلسفية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005، ص313.

وبخاصة في فرنسا "[1]؛ ومنه استطاعت العقيدة الإسلامية أن تجمع بين بعدين، الجانب العقدي والجانب الممارساتي أي بين العقيدة والسياسة، عكس ما حدث في أوربا الذين بسبب احتكار الكنيسة الدين جعل الأوربيين يستبعدون الدين في الممارسة السياسية.

أما بالنسبة لسياسة الطبقية والتمييز العنصري الذي أصبح العالم يخضع لها المجتمع، ليسيطر القوي

على الضعيف ويستغل الغني الفقير، لقد جاء الإسلام لنشر مبدأ العدل والمساواة حيث لا فرق بين ابيض واسود أو عزيز وذليل، بل كل إنسان في رتبة الإنسانية وجب معاملته من هذا الباب، بعيدا عن انتمائه وجنسه ولونه ودينه، وكون الإسلام " **يفضي إلى تساوي جميع البشر دون أي استفتاء، الأمر الذي جعل الإسلام دعوة لتحرير الشعوب المقهورة سياسيا واقتصاديا ودينيا** "[2].

اكبر عائد قدمه الإسلام للبشرية جمعاء وبالتحديد من اتخذه منهج حياة، هو إضفاء البعد الإنساني على كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، فقد خلص الاقتصاد من شعار النمو من اجل النمو ليجعله اقتصاد يحترم الإنسان وبقدسه ويميزه عن الآلة، اقتصاد يؤمن الحاجة المادية دون أن يستهلك إنسانيته، كذلك هو حال الشأن السياسي، فالإسلام بمبدأ التوحيد يرفض كل أشكال التسلط والاستعباد، بل يؤكد على ضرورة منح الإنسان الحرية وعتقه من كل القيود تحت أي مسمى، فالإنسان جاء ليسعد الإنسان لا ليكبله وجاء ليخدمه لا ليهدمه، غارودي من خلال مشروعه مشروع الأنسنة فيما يتعلق الأمر بمسالة الشأن الاقتصادي أن يقدم حلا للاقتصاد الغربي بطرح بديل وهو الاقتصاد الإسلامي ، يقول:" **يناقض مفهوم الإسلام للاقتصاد المفهوم السائد في الغرب، حيث لا يعني الاقتصاد سوى الإنتاج والاستهلاك كهدفين لذاتهما؛ إنتاج واستهلاك أكثر فأكثر وأسرع ما يكون لأي شيء تافها كان أو نافعا ، دون ادني رعاية للغايات الإنسانية، بينما لا يهدف الاقتصاد في ظل النظام الإسلامي إلى النمو ذاته ، ولكن إلى التوازن، مما يستبعد اقل تشابه بين الرأسمالية والنظام الجماعي، وبين النظام الاقتصادي في الإسلام، فهذا الأخير يتمتع بخصوصية أساسية، تتمثل في رفع الخضوع الأعلى للآلة، بل هو يحمي غاية في ذاته باعتباره تنظيما**

[1] روجي غارودي: لماذا أسلمت، ص87.

[2] روجي غارودي: لماذا أسلمت ، ص90.

للأهداف عقائدية وإنسانية سامية " [1]؛ من منظور الاقتصاد الإسلامي يتحرر الإنسان من عبودية المادية والخنوع لها بهذر النمو والتقدم، ليصبح هدف الاقتصاد ليس النمو من اجل النمو بل الإنتاج به ف تلبية حاجيات الإنسان واستهلاك ما يفيد وينفع، فهو بذلك يدافع عن الغايات السامية والأهداف الإنسانية للاقتصاد، كون أن الإنسان يحظى بنظرة تقديسية في ظل العقيدة الإسلامية ترفعه عن مستنقع الماديات بل تجعله في شكل متوازن بينها وبين الأبعاد الروحية.

أما في الشأن السياسي فالأمر يتشابه مع الشأن الاقتصادي في محاولة من الإسلام أن ينجح في التشريع لها، لإنقاذ البشرية من اندثار الإنسانية، والبعد الأخلاقي في أوساط النظم السياسية ، **فشريعته تنبذ الاستبداد والظلم والفساد كون الإسلام ينظم حياة الفرد والمجتمع، ويتضمن أسس النظام السياسي والاقتصادي**"[2]، وبهذا بكون الإسلام قدم حلولا تعصم الإنسان المعاصر من التخبط في الأزمات الفكرية والمعاناة المرضية

من كل أشكال الاغتراب المادي وأطياف الاستبداد وألوان الظلم والفساد على مستوى مجالات الحياة.

[1] روجي غارودي: لماذا أسلمت ، ص93.

[2] مصطفى حلمي: الإسلام والمذاهب الفلسفية، ص335.

الفصل الثاني

الحضارة عند علي شريعاتي

المبحث الأول: مفهوم الحضارة والثقافة

المبحث الثاني: دواعي المشروع الحضاري عند شريعاتي

المبحث الثالث: دور الإنسان في صناعة الحضارة

تمهيد:

يعتبر شريعاتي من رواد النهضة في العالم العربي والإسلامي،باعتباره من بين الذين عملوا على استرجاع مكانة الأمة الإسلامية بين الأمم فكان ابرز ما قدمه مشروع حضاري إصلاحي محاولا من خلاله تحرير الإنسان من كل القيود والعوائق التي تعترض طريقه في سبيل تقدمه وتطوره ،كما انه أراد بناء ذات إنسانية إسلامية تحقق النهضة الشاملة والتغيير المنشود اذن فما مفهوم الحضارة عند شريعاتي ؟وما هي ردة فعله اتجاه المنتوج الحضاري الغربي؟ وكيف نظر إلى مكانة الإنسان في مشروعه الحضاري ؟

المبحث الأول: مفهوم الحضارة والثقافة عند علي شريعاتي.

أولا– مفهوم الحضارة عند شريعاتي:

" **الحضارة ومشتقاتها من المفاهيم التي قلما لاقت كلمة أخرى مالا لقته من ترحاب، بلغ أحيانا حد الإجلال والتمجيد، وهذه الكلمة وعلى الرغم من كثرة استعمالها في النقاشات الفكرية، لا يكاد يجزم المتابع بوجود اتفاق أو شبه اتفاق على تعريف محدد لها، ولكن ثمة معنى مشترك رابط بين المعاني الكبيرة التي استعملت هذه الكلمة للدلالة عليها** "[1]؛ فكما سبق أن اشرنا في الفصل الأول إلى تعدد التعاريف والاصطلاحات لهذه الكلمة " **حضارة " بين الغرب والعرب، وفي الأوساط الفكرية والفلسفية، ولكن في الوقت نفسه توجد نقاط اشتراك كثيرة تجمعهم، وهي التي تمهد الطريق للوصول إلى النواة المشتركة** "[2]. يعتبر علي شريعاتي* احد المهتمين بالشأن الحضاري، والمنشغلين على المشاريع الإسلامية التي بإمكانها أن تساهم في إقلاع حضاري إسلامي بعد ركود ونكوص وتراجع دام مئات السنين، ولقد اجتهد كغيره من المفكرين في تقديم مفهوم للحضارة والثقافة رغم صعوبة ضبط المصطلحين، لا لشيء سوى لتعدد مجالاتهم

واستعمالاتهم.

---

[1] حبيب الله بابايتي: جدلية النظر والعمل، في التاسيس الإسلامي لأهليات الحضارة، تر حسن صافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2014، ص11.

[2] جميل قاسم: الهجرة إلى الذات علي شريعاتي، مركز الحضارة لتنمية الفكر، بيروت، ط1، 2010، ص69.

* مفكر إيراني من عائلة مجاهدة، أحد بناة الحركة الفكرية في إيران، كان شغوف بالأدب والفلسفة والتاريخ، درس في السوربون، حصل على الدكتوراه في تاريخ الإسلام وعلم الإجتماع.

بداية يقدم شريعاتي مفهوما عن الإنسان المتحضر قبل أن يتعرض لمفهوم الحضارة، ففي نظره أن " **الإنسان المتحضر ليس ذلك الإنسان الذي يمتلك الوسائل الحضارية، فمن الممكن أن يكون هناك إنسان متوحش يملك سيارة وثلاجة وغيرها من الوسائل الأخرى** "[1] ؛ إذن يتفق مع مالك بن نبي في هذه النظرة للمتحضر، فليس الذي يمتلك المنتجات الحضارية وخاصة المادية منها أن يحظى بلقب الإنسان الحضاري ، وهذا ما يصطلح عليه بن نبي باسم التكديس الحضاري

وبهذا المفهوم نستنتج أن شريعاتي يفرق بين الفاعل الحضاري المنتج المبدع وبين المكتفي بالاستهلاك والتملك، وهو بذلك يدفع الإرادة الإنسانية إلى ضرورة الإسهام الفعلي بالإبداع والتفنن في منتجات حضارية، التي قبل أن تكون مادية هي بالتحديد إبداعات عقلية ذات طابع روحي معنوي، نلمسها بعد ذلك في اللباس أو سيارة أو ثلاجة.

الإنسان المتحضر ذلك الذي يحظى باستعدادات وإمكانات نوعية ذات بعد معنوي وليس مادي، فالتحضر مثلا في تقدير شريعاتي ذهني وليس خارجي، لا يقاس بجملة من المظاهر الخارجية أو إبداعات مادية، بل يكتسي صفة روحية، كأن يمارس حديثه في الوسط الحضاري الذي يعيش به أو كما يسميه شريعاتي الأرضية الخاصة الصالحة والمثمرة "[2].

والسياق الذي قدمه شريعاتي للحضارة كان جراء إدراكه لمفهوم الكونية أو ما يسمى بالعولمة، فهو يرى انه بعد عالمي للحضارة دون هوية ولا جذور ولا منظور للذات، لذلك نرى انه في تقديمه لمعنى الحضارة يقرن بين معنى العودة إلى الذات أو الهجرة إلى الذات بالهوية الثقافية[3].

وفي تعريف صريح لشريعاتي يصطلح على أن : " **الحضارة هي عبارة عن حالة روحية ودرجة معنوية وفكرية، ويمكن أن نفهم هذه الحضارة من خلال طريقة التفكير والعقيدة والثقافة ودرجة الإحساس، وبعد النظر في الكون والضمير الاجتماعي ونسبة المعرفة الدينية، والإحساس بالمسؤولية والهدف، وكذلك الفكرة والمعرفة السياسية للأفراد، حتى لو كانت الحياة المادية والتكنولوجية في مستوى غير مطلوب** "[1]؛ فهو في مقياس حضارة أي شعب أو درجة تحضره يعطي الأولوية للمظاهر الفكرية على المنتجات المادية،

---

[1] علي شريعتي: تناريخ الحضارة، تر حسين نصيري، دار الأمير، بيروت، ط2، 2007، ص9.

[2] نفسه، ص93.

[3] علي شريعتي: الهجرة إلى الذات، ص235.

وهو ما يناقض العقلية المادية والآلية التكنولوجية التي يتبناها الغرب اليوم، وشعار النمو من اجل النمو الذي يتبناه العقل الغربي في تصوره للحضارة التي تنتج، فشريعاتي لم يتجاوز البعد الإنساني وهو البعد الروحي، كون الإنسان هو الفاعل الحضاري، فلا يمكنه إنتاج حضارة تتنافى مع طبيعته الإنسانية، فالفكرة والعقيدة والثقافة والضمير والمعرفة والمسؤولية كلها بإمكانها أن توفرت في الذات أن تبدع ابتكارات مادية ووسائل تسهل الحياة على الإنسان دون استيراد منتج حضاري، والتغني أننا وصلنا إلى غاية التحضر.

وبهذا القضاء على العقلية الاستهلاكية وخاصة النظرة التي يرى فيها الغرب اليوم أن العالم المتخلف ما هو إلا سوق استهلاكية عاجزة عن تأمين قوت يومها، وان تصنع ملابسها، وهذا لا يعني أن شريعاتي يجعل الحضارة تقوم على ركن روحي فقط، بل لديه نظرة تكاملية بين البعد المادي والمعنوي لتنتج لنا حضارة متوازنة.

شريعاتي يرى من زاوية أخرى أن الحضارة تتلخص في جملة البناءات " والعطاءات والذخائر المادية والمعنوية للمجتمع الإنساني، فالفكرة والمادة والمباني والمعارف والسيارات والمستوى العلمي والتكنولوجي ما إن تفاعلت إلا انتجت لنا حضارة إنسانية متكاملة، والحضارة قد تصل إليها عن طريق موروث حضاري من الماضي، وهنا قد تقول أن شريعاتي يؤمن بالتواصل والحوار بين الحضارات، عكس الصدام الحضاري الذي يقول به مجموعة من الفلاسفة، أو نحصل عليها من الآخرين، وهنا أيضا اعتراف مبطن بضرورة التلاقح بين الأفكار بين العرب حتى وان اختلفت انتماءاتها، او ما يسمى بالاعتراف بالآخر، كما أنها قد تكون نتيجة إبداع وابتكار وتفنن ذاتي، لا علاقة له بأي ماضي حضاري، بعيد عن تأثير الآخرين، مهما كان مساوى التحضر الذي يحظون به، أي إبداع شخصي خاص بإمكاننا أن ننسبه للحضارة التي ينتمي إليها هذا الإنسان

---

(1) علي شريعاتي: تاريخ الحضارة، ص94.

المتحضر[1].

لقد أدرج هذا التعريف في مشروع علي شريعاتي تمهيدا لمعنى أساسي محكم، وهو معنى الثقافة ، ولإظهار الفرق بين هذه الأخيرة وبين الحضارة نستعرض إلى ذلك فيما يأتي.

ثانيا: مفهوم الثقافة عند شريعاتي

والثقافة هي الأخرى من المفاهيم التي تعددت حولها الاصطلاحات من قبل المفكرين والفلاسفة اللغويين، خاصة وان العديد منهم لا يكاد يفرق بينها وبين مصطلح الحضارة ، لذلك نجد أن إبراز الفروقات بينهما أيضا اخذ حظا وافرا وجهدا لا يستهان به في اغلب المشاريع النهضوية التي تنشد حضارة إنسانية.

قبل أن نتطرق لمفهوم الثقافة عند شريعاتي ، سنتطرق إلى تعريفها عند جملة من المفكرين لكي يسهل علينا إظهار الفرق بينها وبين الحضارة كمفهوم.

" كلمة الثقافة Cultureالتي ظهرت في الفرنسية بمعناها الدقيق في القرن الثاني عشر، وتلتها في القرن الرابع عشر كلمات مثقف Culturateur ، ومزارعAgriculture ، لكنها لم تكتسب معناها المجازي كمعرفة، كتربية، وعلم إلا في القرن الخامس عشر، انطلاقا من مشتقاتها أيضاCultiven, Cultive, Incule :، وبشكل متواز يحتفظ المعنيين (زرع، ثقف) بكامل قوتها، ولن يتمايزا إلا بصنفي Cultural التاسع عشر و Culturelالقرن العشرون"[2].

تعريف تايلر للثقافة: يعرفها بأنها: " **هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع**"[3]؛ قدم تايلر مفهوم للثقافة انطلاقا من بعد انتروبولوحي؛ ومن منطلق أن الإنسان حامل لبعد

---

[1] جميل قاسم: علي شريعاتي الهجرة إلى الذات، ص235.

[2] رولان بريتون: جغرافيا الحضارات، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1993، ص20.

[3] نقلا عن: دنيس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الإجتماعية، تر منير السعداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007، ص31.

إنساني وهو البعد الاجتماعي، فلا يمكننا الحديث عن الحضارة .

الثقافة بعيدا عن تجمع أو مجتمع إنساني، كما يظهر جليا من خلال تعريفه أن مفهوم الثقافة عنده اخذ منحى روحي معنوي، كونها تتمثل في مجموعة من المظاهر الحضارية كالأخلاق والمعتقدات والمعرفة وغيرها.

إن قول تايلر بأن الثقافة يكتسبها الإنسان دليل على انه يؤمن بالقاعدة التي تقول أن الثقافة تورث كأي موروث حضاري، تنتقل من جيل لآخر ومن حضارة لأخرى، وهذا ما يأخذنا إلى بعد آخر وهو ضرورة الحوار الحضاري والتواصل الثقافي بين الأجناس والبشر، بعيدا عن مقولة الصدام التي يقر بها العديد من الفلاسفة والمؤرخين.

والثقافة عند تايلر تشكل لنا احد المرتكزات التي تقوم عليها أي حضارة ، إلى جانب المنتجات المادية والتكنولوجية التي هي الأخرى لا تقل أهمية عن المرتكز الأول، وما نخلص إليه إلى حد بعيد يتفق طرح تايلر مع الفكرة التي يتبناها ابن خلدون كون الإنسان مدني بالطبع، وان الحضارة تنتج لتفاعل الإنسان مع بيئته، وكذلك الأمر مع الثقافة التي لابد لها منه الاجتماع الذي يعني الطابع المدني أو ما يسميه ابن خلدون بالعمران[1].

تعريف حسين مؤنس للثقافة:

لقد ورد في كتابه الحضارة تعريف لكلمة الثقافة فقال: " **هي مجموعة المعلومات التي يقوم عليها نظام حياة أي شعب من الشعوب، فهي على هذا أسلوب حيته ومحيطه الفكري ونظرته للحياة، ولا بد أن تكون خاصة به، نابعة من ظروفه واحتياجاته وبيئته الجغرافية، وتطور بلاده التاريخي الحضاري، فهي إذن محلية**"[2]؛ فالثقافة هي منتوج مجتمعي يتعلق بنمط العيش والنظرة إلى الحياة وطريقة التفكير، ولها صبغة خاصة تسبح في ظروف خاصة، وتحت تأثيرات محلية كالبيئة الجغرافية والعامل التاريخي، وغيرها من المؤثرات التي تساهم في بناء صرح ثقافي لحضارة ما، وهي باختصار حسب نظر مؤنس تصور الشعوب

---

[1] حسين فوزي النجار: الإسلام وفلسفة الحضارة، دار التعاون، القاهرة، دط، دت، ص36.

[2] حسين مؤنس: الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المجلس الوطني للثقافة، والفنون والآداب، الكويت، دط، 1978، ص322.

للحياة وطرق السير فيها.

تعريف مالك بني: كما سبق واشرنا في الفصل الأول إلى تعريف بن نبي لمفهوم الحضارة، فعلينا الآن أن نتعرض لتعريفه لمفهوم الثقافة كونه من بين الذين أسهبوا في بيان أهميتها وأثرها في بناء اي منجز حضاري ، ولقد افرد لها مؤلفات خاصة بها تحت اسم مشكلة الثقافة ، وأيضا في مؤلفه شروط النهضة قال : " **بان الغرب يعرفون الثقافة بأنها تراث الإنسانيات الإغريقية اللاتينية، بمعنى أن مشكلتها ذات علاقة وظيفية بالإنسان، فالثقافة على رأيهم هي فلسفة الحياة**"[1]؛ فالإنسان بالدرجة الأولى يعتبر فاعل حضاري والمسؤول الأول عن ثقافته، خاصة وإنها ذات صبغة وراثية قابلة للاكتساب عن طريق الاحتكاك بين الشعوب، وتلاقح الأفكار وتبادلها بين العقول.

أما عند بني نبي تحديد القول معرف الثقافة " **أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على مذاهب المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته**"[2]؛ وهو تعريف عملي شامل، فالثقافة هي إذن احد ابرز مؤشرات الحضارة ، وتعتبر الوعاء الذي يحتضن فيه الإنسان المتحضر والوسط الذي يتفاعل فيه، بمعنى أنها تعنى بالإنسان كطريقة تفكيره وأحكامه التي تترجم بصفة واضحة إلى صفات وتصرفات وسلوكات نستطيع تقييمها من خلال تفاعل الإنسانية مع محيطها بطباعها وشخصيتها.

الثقافة عند شريعاتي:

بعد التعريج على مفهوم الحضارة عند شريعاتي وجدنا أنها لها مرتكزات تقوم عليها، المرتكز المادي والمتمثل في كل ما أنتجه العقل من اختراعات مادية كالألبسة والأسلحة، وكل ما له علاقة بالتقنية والتكنولوجية، أما المرتكز الثاني وهو البعد المعنوي الذي ينطوي على حملة المعلومات والمعتقدات والأخلاق وما إلى ذلك من مظاهر ثقافية، " **والثقافة عند شريعاتي هي عبارة عن مجموعة من الإبداعات الإنسانية المعنوية كالفنون والعلوم العلمية والإنسانية والخط والدب وغيرها، وكل ما له علاقة بالثقافة الإنسانية**

---

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة، ص88.

[2] نفسه، ص89.

فالوجه المعنوي للحضارة الإنسانية هو ما نطلق عليه اليوم اسم الثقافة، ككتابة الشعر والاعتقادات الدينية، فهي بذلك تختلف وتتمايز عن الحضارة بتوقفها على كل ما له صلة بالمظاهر المعنوية بعيدا عن الماديات التي افرزها الحضارة "[1]؛ وبين مفهوم شريعاتي للحضارة والثقافة يتضح أن المفهوم الأول عنده يأخذ بعد عالمي إنساني، بينما المفهوم الثاني فينحى بمنحى قومي محلي بمعنى كل المنتجات المادية أو المعنوية الحضارية تحمل بعد يتجاوز الإنسان ومجتمعه وصولا إلى العالم في حين أن الثقافة ترتبط بلغة شعب ما ومعتقداته، وتتعلق بشكل مباشر بنظرته للحياة وطريقة التفكير التي بناءا عليها تتحدد الممارسات الفعلية للإنسان " **فالحضارة بنظر شريعاتي تنتسب إلى البشرية جمعاء أما الثقافة فتخص لجماعية أو قومية معينة، فاللغة الفارسية تخص الإيرانيين، حتى لو ساهم فيها العرب والأتراك، والعربية تخص العرب حتى لو وضع كتاب نحوها سيبويه الفارسي، وهذه دلالة على ارتباط اللغة بالثقافة الخصوصية لشعب ما أو امة ما، أما المركبة الفضائية لابولو فهي لأمريكا ولكنها لا يمكن أن تكون لجنس معين او لقومية معينة، وإنما تعود للحضارة الإنسانية ، وهذا يعني أن الحضارة تخص البشرية جمعاء، بينما الثقافة تقصد جهات معينة قومية أو وطنية، لكونها منوطة باللغة، واللغة مسكن الكينونة الفردية والجماعية الإنسانية "**[2].

وبهذا يكون شريعاتي قد فض النزاع القائم بين مفهومي الحضارة والثقافة ، وانهي الجدال الناتج في إظهار الفروقات والاختلافات بينهما، خاصة عند ذهب القول بان الحضارة تقوم على جناحين الأول المادي والمتمثل في كل المنجزات التقنية والتكنولوجية، وكل ما له صلة بالماديات، والجناح الثاني المتمثل قي روح تلك المادة وهو الجانب المعنوي الذي يتلخص فيما يسمى بالثقافة ، واتضح الفرق جليا عندما أعطى للحضارة بعد عالمي إنساني، بينما الثقافة تحمل بعد قومي له علاقة ببيئة الفرد ولغته وكل الوسائل التي تترجم المعاني والمعتقدات الثقافية.

[1] علي شريعاتي: تاريخ الحضارة، ص22.

[2] جميل قاسم: علي شريعاتي الهجرة إلى الذات، ص236.

المبحث الثاني: دواعي المشروع الحضاري.

لا يخفى على أي مشتغل بالمشاريع الحضارية مدى تنازع الرؤى وتناقضها في تصوراتها للإنسان، والدور الحضاري المنوط له، بالإضافة إلى نوعية الأبنية الحضارية التي وجب أن يشيدها، ولا سيما في

العصر الحديث الذي امتهنت فيه منزلة الإنسان، ما اثر سلبا في فكرة الإنسان ذاته، وأدى إلى تشتته وضياعه وتمزقه، ولم تفلح الرؤية الغربية في تقديم مشروع حضاري متكامل للإنسان، يحيط بجوانبه ويستوعب كل أبعاده، وهذا ما جعل علي شريعاتي يبدع مشروع إصلاحي أكثر إحاطة وشمولية من النظرة المتجزئة التي يقدمها الغرب اليوم عن الإنسان ، فعلم على الاستيعاب منتجات الحضارة الغربية ونقدها، ثم البناء عليها[1].

علي شريعاتي من بين المفكرين الذين أسسوا مشاريعهم على منهجية تقدم رؤية نقدية غربيلية ، ثم القيان بعملية بناء نموذج جديد يتدارك كل الغيوب والنقائص التي وقف عليه حبر نقده، لذلك فان المتأمل للعصر الذي عايشه شريعاتي يجد مجموعة من الأسباب البارزة وجملة من الدواعي الخفية التي دفعته إلى الثورة على الأوضاع القائمة، والرغبة في تحرير الإرادة الإنسانية من اجل الإقبال على الحياة والطمع في تأسيس مستقبل يليق بالذات الإنسانية ويعطيها كل من الحرية والمكانة التي من خلالها تستطيع القيام بالدور الحضاري ، والمشاركة في تغير اجتماعي وثقافي، يمكن الفرد من إدارة دولاب الحضارة وتسهيل إقلاع حضاري للعالم الإسلامي، الذي لا زال يتخبط في مشكلة النهضة.

وإذا جئنا إلى تصنيف بواعث البناء الحضاري لشريعاتي، فهي تنقسم إلى محلية؛ أي نابعة من البيئة الجغرافية والحضارية للمسلمين أنفسهم، كالفهم الخاطئ للدين والاستعمال الذي يسيء إليه أكثر مما يحسنه ، لذلك سنفصل في الأسلوب الذي انتهجه لتطهير العقيدة من بعض الخزعبلات التي عملت على تشتيت الإنسان وغايته التي وجد من اجلها وهي الاستخلاف وإعمار المعمورة، وتنقية بعض الانحرافات التي عزلت الإنسان عن الدائرة التاريخية، وجعت الآخرة فقط همه ليكون هذا الدين فائدته تبرز في الآخرة، بينما الدنيا قد ابعد عن التأثير

[1] حنان فيض الله الحسيني: أثر الرؤية التوحيدية في سم ملامح الإنسان عند علي شريعاتي وعلي عزت بيجوفيتش، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد95، دت، 2019، ص68.

فيها منطق الزهد، كما سنفصل في ذلك، بالإضافة إلى المنتوج الغربي والنموذج الذي يسوق له في هذه الأيام، والمنطق الآلي والمادي الذي بات يسيطر على الذات الإنسانية.

ويحرمها من الفطرة وعيش المعنى أسيرة في غياهب الاستغراب، ولو كان مقيمة بالأوطان مفتقرة إلى الحياة ذات بعد إنساني هذا من جهة، ومن جهة ثانية سياسة التغريب التي تلقاها المسلمون ورضوا بها سواء بالقوة أو بالاختيار عن طريق الأنظمة السياسية أو الإرادة المجتمعية وذهنية التقليد الأعمى، واستيراد مل منتوج حضاري غربي سواء مادي أو معنوي.

أولا:أزمة الوعي الديني

" لم تكن أزمة البشرية في انهيارها الحضاري شرقا وغربا، إنها خلت عن احد من طراز العبقري أو الفيلسوف أو الحكيم أو العالم أو القديس أو الثوري، أو الفنان أو القائد، وإنما أزمتها تكمن في خلوها من طراز ما تسميه بالإنسان الواعي، وذلك الطراز الذي يصله فرد ما حينما يرتقي منزلة الوعي بالذات ، المجتمع، العالم، فيما يجب أن تكون عليه هذه الثلاثة "[1]؛ فالذات الواعية ما إن وجدت في المجتمع إلا وتفاعلت تفاعلا ايجابيا، سواء مع ذاتها أو مجتمعها أو العالم، فالوعي يعتبر من بين الركائز الأساسية والأعمدة البنائية التي يجب توفرها عند تشيد أي معلم ثقافي، أو برج حضاري، لا لشيء سوى أن الذات الواعية لا يمكن استغفالها أو استدراجها ولا إعلاءها تحت مسمى أي شعار، وتحت وطأة أي تزييف، ولو كان الإرادة المستعملة أقدس المقدسات عند الإنسان وعلى سبيل الذكر الدين مثلا.

الإنسان كائن متدين بالفطرة، والدين لديه ذو مكانة قدسية ونظرة لا تتساوى أبدا مع كل ما هو وضعي، فهذه الفطرة وهذه العقيدة لا طالما استخدمت منبرا لتمرير الكثير من الخزعبلات، والتي لا طالما استباحت باسمه العديد من المنكرات، ولقد كرست منهجية وضع الصفة الدينية على بعض المطابع الدنيوية، ولأنها تتصادف مع إنسان فاقد للوعي الثقافي، عاجز عن التصدي لهكذا مخططات، نتح لنا فكر ديني حطم الإنسان بدل أن يبنيه، عزل الفعل الإنساني بدل أن يحركه.

" ولعل من المفيد أن نشير ولو باختصار شديد إلى تكون الدولة الصفوية الإيرانية وعلاقة ذلك الحدث بقوة المذهب الشيعي والمؤسسة الدينية الشيعية في إيران، لان ذلك يشكل إحدى المسائل التي

[1] عبد الرزاق جبران: علي شريعاتي وتجديد الفكر الديني بين العودة إلى الذات وبناء الإيديولوجية، دار الأمير، بيروت، ط1، 2002، ص15.

تناولها علي شريعاتي بالبحث والتحليل النقدي "[1].

من المعلوم أن إيران كانت منذ العهد الأموي والى غاية القرن العاشر هجري مهدا لحركات متتالية، قامت بها فرق شيعية مختلفة، الذي أصبحت إيران مركزا لها، وقد قامت بها انتفاضات عديدة للشيعية الزيرية، الكيسانية، ثم أصبحت إيران مركز للحركة الإسماعيلية، وكان فكر هذه الحركات مزيجا بين التشيع والصوفية، كل هذا كان ممهدا لقيام الدولة الصفوية بإيران، تبلورت الحركة الصفوية وتطورت، ضمن الصراع مع المناطق السنية المجاورة، وعندما انتصرت تأسست الدولة الصفوية التي عملت على توحيد إيران ، وقامت بتثبيت الشيعة الامامية مذهبا رسميا للدولة، وشكلت الدولة مجاميع مسلحة تجوب المدن والقرى، وتفتك بكل من لا يبدي الولاء للشيعة، أو لا يلعن الخلفاء الثلاثة[2].

إن الصراع بين الحركات الدينية هو من بين بذور الفتنة التي تفتك بالمجتمعات السلامية تحت راية الدين، وذلك بسبب غياب فقه الاختلاف وسياسة قبول الآخر مهما كان البون في المعتقدات والمذاهب، وان استخدام القوة من اجل الولاء لمذهب الشيعة هو ضرب للعقل بعرض الحائط، وهو انحطاط عن رتبة الإنسانية التي من شريعتها الإحسان لمن يخالفك في الدين والملك، فكيف ببني جنسك ودينك وعرقك.

وفي هذا الجو من المعتركات المذهبية والصراعات الطائفية " **ثم تكون المؤسسة الدينية الشيعية الفائقة القوة والنفوذ في إيران، حيث تقدموا علماء الشيعة من البحرين والعراق وجبل عامر، وأسسوا مدارس دينية، وأصبحت أصفهان مركز المرجعية الدينية الشيعية الإمامية، ولعب كبار رجال الدين دور كبير في إدارة شؤون البلاد إلى جانب الملك، ولكن الملك نفسه اكتسب صفة دينية وتزكية من جانب رجال الدين، حيث بدا نوع من الاندماج بين الدولة والمؤسسة الدينية ، وهكذا تأسست المؤسسة كمؤسسة لصيقة بالدولة الصفوية** "[3].

---

[1] فاضل رسول: هكذا تكلم شريعاتي، دار الكلمة، بيروت، ط، 1987، ص1.

[2] فاضل رسول: هكذا تكلم شريعاتي ، ص ص13،14.

[3] نفسه، ص14.

فمن بين الأسباب التي جعلت شريعاتي يثور على المؤسسة الدينية هو لجوئها إلى عقد شراكة مع مؤسسات الدولة، فنحن المسلمين ليس لنا أشكال بين السلطة والدين كما هو الحال عند الأوربيين، وعلاقتهم المشينة مع الكنيسة، بل ما يعيبه شريعاتي ويوجه له أصبح النقد هو أن تتخذ المؤسسة الدينية كغطاء ديني تبريري حتى على السلوكات التعسفية، أو الانتهاكات التي تمارس ضد الشعب بغير حق، كإتباع مذهب الشيعة بالقوة، فهو استقلال للدين لاستباحة عرض الإنسانية وعدم القبول بأي انتماءات أو إيديولوجيات تختلف عن تلك التي تتخذها الدولة مذهبا وعقيدة، وهذا في الأخير تكون عواقبه انتشار مظاهر العنف التي تستنزف الجهد البشري في صراعات لا طائل من ورائها، بل تجره إلى نكوص حضاري كان في غنى عنه، وهو ما يفتح المجال إلى سياسة التطرف والغلو باسم الدين.

هذا لا يعني انه لا بد من فصل الدين عن السلطة وإنما وجب على رجال الدين تقديم الرأي السديد والشورى الحسنة وإبداء النصيحة للأمراء والملوك والحكام، وتوعيتهم حتى لا تشوه صورة الدين بسبب الاستعمال والفهم الخاطئ له.

ظهر في مؤلفات ملهم الثورة كما يسميه البعض علي شريعاتي مصطلح الاستحمار، وهو احد المصطلحات التي انفرد بها كما انفرد بن نبي بمصطلح القابلية للاستعمار، وهو احد المفاهيم التي تجعل من مشروعه الحضاري مشروع إصلاحي يهدف إلى بث روح الوعي ونشر ثقافة النباهة كون إن سلسة الاستحمار مورست بأقدس المقدسات وهو الدين، يقول في ذلك: " **فالاستحمار لديه، تزييف ذهن الإنسان ونباهته وشعوره، وحرف مساره عن النباهة الإنسانية ، فردا كان أم جماعة، فأي توجيه ودافع يفضي إلى سلب تلك النباهتين... دافع استعماري، حتى لو كان هذا الدافع من أكثر الأمور قدسية وأقدسها اسما ، أن أي عمل يقع في طريق هاتين النباهتين ما هو إلا وقوع في العبودية** "[1].

---

[1] علي شريعاتي: النباهة والإستحمار، تر هادي السيد ياسين، دار الأمير، بيروت، ط1، 2004، ص59.

لقد ثار شريعاتي من هلال مشروعه الحضاري عن كل دين يقتل الإنسان من مصف الإنسانية ، كل دين له وخزة تخديرية في عصب البعد القيمي الإنساني، لأنه يصرف النظر عن ذلك، فهو دافع استحماري يمتطي فيه

عقل الإنسان وشعوره وضميره باسمه الدين.

لا طالما كان الدين بيئة خصبة لكل القيم الإنسانية ، ولا طالما كان يضع في قلب محوره روح الإنسان وإنسانيته، ويجدر أن يكون الجرم في حق الإنسانية ليس من نبع الدين بل من فقه المتدينين الذين فهموا تعاليمه وتشريعاته في غير السياق الذي وضعت فيه، وبدافع التشدد بأحكامه قد يقع الإنسان فيما يتعارض مع إنسانيته.

ويفترض شريعاتي في كتابه دين ضد دين ذلك الفهم الذي يدعوا إلى الرضا عم الواقع بل أعطاه تبرير ديني تحت مسمى الرضا بالقضاء والقدر، وكل القراءات المغلوطة عن الدين بهدف تأييد رجال السياسة وأنظمة الحكم، بل لا بد أن تكون من مهام المؤسسة الدينية توفير مناخ يساعد غلى التغيير والإصلاح المجتمعي، لا تكبيل الإرادة الإنسانية عن التحرك إزاء النكوص الحضاري الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية على وجه الخصوص " **الدين التوحيدي انه يتفادى تبرير الوضع القائم تبريرا دينيا ولا يؤمن بمبدأ الرضوخ لأمر الواقع أو اتخاذ مواقف اللامبالاة حيال ما يحيط به، لاحظوا حركة الأنبياء سوف يتضح لكم أن الأديان التوحيدية خاصة في مراحل ظهورها الأولى تتسم عادة بطابع رافض للوضع القائم ونزعة ثورة وتمرد على كل جور وفساد، وهشا التمرد والطغيان يأتي مصاحبا مع العبودية والخضوع لموجد الكون، والانقياد لقوانين الوجود التي تتجلى فيها الإرادة والقدرة الإلهيتنان** "[1].

من هذا المنبر يوضح شريعاتي الوظيفة الأساسية والمهمة المنوطة بالدين اتجاه الوضع القائم أو المجتمع الإنساني بصفة عامة، بأن وظيفته ليست تبريرية، حيث أنها تسعى لتحسين الجو وتلطيفه من هلال الاعتماد على

[1] علي شريعاتي: دين ضد دين، تر حيدر مجيد، دار الأمير، بيروت، ط2، 2007، ص ص40،41.

بعض المقولات الدينية المجتزأة في المبنى المبتورة في المعنى، بل إن الغاية التي وجد من أجلها هي غاية الإصلاح والتغيير، سواء تعلق الأمر بالفرد أو الجماعة التي ينتمي إليها، والنزعة التي يتبناها شريعاتي هي نزعة ثورية قائمة على مبدأ عدم الرضوخ، وعلى مسلمة عدم الاستسلام لأي وضع يسود فيه الظلم والجور والفساد، ويضيف إلى هذا المعنى مفهوما آخر للبعد الثوري الذي يؤمن به، حيث يوضح أن هذا التمرد وإنشاء التغيير لا يتعارض مع المشيئة الإلهية، ولا يتنافى ولا يتنافى مع السنن الكونية، بل لا يخرج عن نطاقها، وكل ما في الأمر أن إرادة الإنسان لا تخرج عن الإرادة الإلهية، وهي رد على الذين يتبنون المذهب التصوفي، ويتمسكون بمبدأ الجبرية، وأن الإنسان مسير لا مخير، فالدين جاء ليحرر الإنسان من أشكال الاستعباد وكل أنواع .... أي مسمى وتحت أي راية، ومنه يكون الدين مساهما في تفعيل الذات الإنسانية وتحريرها من سجن الإنغلاق عن الذات، والوقوف مكتوفة الأيدي أمام واقع لا ترضاه.

وهم القضاء والقدر:

من العقائد الإيمانية التي أسيء فهمها وانحرف معناها لدى الكثير من المسلمين، وحاد عن جادة الحق والصواب، عقيدة القضاء والقدر، وهي أحد المعتقدات التي أثرت سلبا على إرادة الإنسان، وجعلته يؤمن بأنه كالريشة في مهب الريح، وأن مستقبله مكتوب في اللوح المحفوظ، لذلك ترشح في قناعاته روح الإستسلام ومبدأ الخضوع والخنوع، وأصبح تعامله سلبيا إزاء واقعه ومجتمعه وحضارته.

ويظهر أثر الاستسلام والخضوع لمبدأ القضاء والقدر في كون هذا السلوك " **عامل معيق لعملية التنمية، لأن امتلاك روح الاستسلام والخضوع أما الطبيعة سينعكس سلبا على التعامل مع الحوادث والواقع الاجتماعية والسياسية ... إن ثقافة القضاء والقدر ترى مسار جريان الأمور الاجتماعية خارج عن نطاق سيطرتها، وهي في العادة تتخلى عن جميع المسؤوليات الفردية الاجتماعية، وتسلم زمام إدارة القضايا المجتمع إلى عوامل ما وراء الطبيعة** "[1]؛ فالفهم الخاطئ للقضاء والقدر من طرف رجال الدين أو حتى عامة الناس عواقبه وخيمة على روح المسؤولية التي وجب أن تكون عند المؤمن بدرجة عالية سواء إزاء نفسه أو إزاء غيره، فالذات ترى نفسها مسيرة وأن مستقبلها قد كتب في اللوح المحفوظ تجعل منها ذات عاجزة متواكلة

[1] فيرز راد، أمير رضائي: دراسة اجتماعية في مفهوم التنمية الثقافية عند علي شريعاتي، مركز الحضارة لتنمية لفكر الإسلامي، بيروت، ط2، 2016، ص61.

ومتكاسلة، لا تأهب في إحقاق حق، ولا إبطال باطل، وما يؤثر أيضا على ميادين السياسة والاقتصاد والتنمية حيث أنه بدل أن يبادر ويتفاعل معها، يقف عاجزا مساهما في تراجع الأمة وتخلفها عن الركب الحضاري الذي لازال يبعد عن القرون من الزمن.

" **إن الاعتقاد بالقدر والقول بالجبر يسلب المسلمين الشعور بالمسؤولية، ويحرمهم من كل أنواع النقد، ويقتل روح المبادرة فيهم، لأن الجبر يعني الانصياع، إلى ما هو موجود، والخضوع لكل ما هو كائن ، في حين كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يشعرون دائما بالمسؤولية الاجتماعية، ويأخذونها على عاتقهم كمهمة أساسية ودائمية** "[1]؛ يبين شريعتي أن قدوتنا في فهم مسألة القضاء والقدر هم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، الذين عايشوه وفهموا الدين على أصوله، ومن مشاربه الصافية، ويتجلى فهمهم أنهم أخذوا على عاتقهم مسؤولية الصلاح والإصلاح، كمهمة لا تفرقهم مدى الحياة، على عكس ما هو سائد من ثقافة دينية في هذا العصر، وفي غيره من العصور، وأن النقد والمبادرة هي تعدي على الإرادة الإلهية وتجاوز للمشيئة الربانية.

كانت ردة فعل علي شريعاتي على هذه العقيدة الخاطئة ليس مضمونها، بل الذين أساءوا فهمها بأن بين وسلط الضوء والقضاء والقدر، الذي نريد أن نسلم به ، وهو أحد أركان الإيمان في الدين الإسلام، فلو طرحنا التساؤل " **هل نحن خلقنا مسيرين؟ بين بين، مسيرين إلى حد ومخيرين إلى حد، وأننا مسرين أن البستاني أو الخبير الزراعي مسير ومجبور على إتباع قوانين علم النبات بدقة، إذا أراد أن ينجح في مشروعه الزراعي، وتعود عليه الأشجار بغطاء سليم، وهو مخير بأن ينتخب الطريقة التي يراها مناسبة في تنظيم بستانه واختيار نوع الأشجار والنباتات التي يغرسها فيها، ومن ثم القوانين والقواعد الزراعية التي من شأنها أن تعود بثمر يانع، وطعم لذيذ ورائحة ذكية** "[2].

ومن هذا المثال يتضح المقال، فإرادة الإنسان لن تخرج عن الإرادة الكونية الإلهية، بل تتماشى وفقها وبالمجاورة معها، فمن بين السنن الكونية سنن التغير التي تحكم جميع العوالم وكل المخلوقات بما فيها الإنسان ، هذا

[1] علي شريعاتي: دين ضد دين، ص42.

[2] دنيا محمد بازركان: يسقط الإستحمار روائع أفكار علي شريعاتي، مركز الناقد الثقافي، دمشق، ط1، 2010، ص ص144،145.

الأخير الذي يملك حرية الاختيار والقدرة على التحكم في تصرفاتهم وخطواته، وبإمكانه أن يصنع المستقبل الواعد والتاريخ الذي سيذكره يوما في قائمة العظماء، يقول شريعاتي: " **وهكذا نرى أن صاحبنا البستاني مضطر لإتباع قوانين الطبيعة ذات الصلة بالنبات، ومختار في تطبيقها على ما شاء من النباتات ، وعلى النحو الذي يرتئيه هو لا غير، وكذلك الإنسان هو مختار في مجتمعه وهو مسير ومنقاد للقوانين الاجتماعية... وهذا برأيي هو معنى الحديث القائل لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين، انه بتعبير آخر اختيار مقيد وحرية مشروطة**"[1] .

" **والدين قد يتحول من دين يخاطب العقل والعاطفة ويلبي أشواق الناس وتطلعاتهم إلى دين مضلل، يسلب إرادة الإنسان ، ويفرغهم من جوهرهم الإنسان، ليجعلهم إتباع صاغرين أذلاء، ينكرون مسؤوليتهم الاجتماعية ويعلقون آمالهم وتطلعاتهم بالآخرة، وبذلك يخسرون دنياهم وآخرتهم** "[2]؛ شريعاتي ثار أيضا ضد المنطق الذي يقول بان الدين دين الآخرة، وما على الإنسان إلا أن يزهد في دنياه، فهذا التصور يجعل من الإنسان تابعا لغيره عاجزا عن التأثير في واقعه، متخليا عن الغاية التي من اجلها خلق وفي سبيلها وجد، بالإضافة إلى أن جوهر الإنسان هو الإرادة ، يسلب ويجعل من المرء يتساوى مع الجماد، في حين انه قد كرم بالعقل ومنح حرية الاختبار والقدرة غلى الفعل، والعمل من اجل تغيير الحاضر وتحريك الراكد منه لتمكين ذاته وأمته التي تعيش في غياهب التخلف، وواد التيه والضلال، في حين انه يوجد من بني جنسه في احد أطراف المعمورة من يعيش مستقبلا زاهدا ويحضى بحضارة عملية وعالمية.

يعتبر الفهم الخاطئ للدين والاستعمال السيئ له الذي غاب فيه الوعي الإنساني احد المحرضات الايجابية على إبداع مشروعه الحضاري الذي اصطبغ بصبغة إصلاحية تقويمية، فثار ضد رجال الدين الذين يعملون على ادلجة حقائقه لصالح رجال السياسة، وضد النزعة التبريرية للأوضاع الاجتماعية، بل أن تكون مهمة المؤسسات الدينية هي زرع روح التغيير وتعليق الآمال لبذل واستفراغ الوسع من اجل واقع أفضل ومستقبل أجمل.

---

[1] دنيا محمد بازركان: يسقط الإستحمار روائع أفكار علي شريعاتي ، ص145.

[2] نفسه، ص9.

كما أن شريعاتي، يرى أن الدين ليس مجاله الآخرة فقط بل الدين دين الدنيا والآخرة معا، وبهذا يكون قد أزال كل لبس ووضح كل سوء فهم وكشف كل تزييف في أي تمر تعلق بأمر الدين.

ثانيا: موقف علي شريعاتي الحضاري من الغرب:

إن المتتبع لمؤلفات شريعاتي الفكرية يقف على أن ملامح مشروعه الحضاري إنما ظهرت كرد فعل لما هو سائد من ثقافة غربية تحت اسم ما يعرف بالحضارة، هذه الأخيرة اكتسحت العالم بحكم التقدم العلمي والتقني الذي أحرزته في شتى المجالات، لا سيما الجانب القدري الذي ظهر في شكل نموذج حضاري أبدعه العقل الغربي في اعتقاد منه انه قادر على احتواء الإنسان ، وله إمكانية في استيعاب كل مشاكله، ونظرا للانبهار العالمي الذي ميز الساحة الفكرية والفلسفية، في المقال نجد شريعاتي وجملة من المفكرين والفلاسفة الذين عملوا عن الانفتاح على الحضارة الغربية وبدون انبهار ولا وقفة إعجاب، بل الانفتاح بعقل ناقد وميزان يضع الإنسانية معيارا له، شريعاتي مارس عملية النقد كمفكر، فاخذ ما يتناسب مع طموحاته الحضارية وطرح ما يتنافى مع الإنسان وفطرته الإنسانية.

لا احد ينكر إن رأس مال أي حضارة واهم ركيزة لا يستغني عنها أي بناء حضاري هو العنصر البشري، هشا الأخير الذي إن حرر ذاته وضاعف جهده وامن بقدرته على الإبداع بعيدا عن أي مستحضر حضاري، متجاوزا سياسة الاستهلاك صنع الكثير.

يراعي شريعاتي في القيمة لأي موروث حضاري وأي إبداع فكري مسألة الإنسانية ، فلا يمكن للإنسان أن يبدع ما يحطم جوهره وما يفتك بأهم ميزة كرم بها عن غيره " **فاليوم ونحن نعيش في عصر العولمة والحداثة وما بعد الحداثة، عصر سقوط كل المرجعيات، عصر غالب ما حولنا يسير نحو تهميش الإنسان وتأطيره واختزاله في جسده، وإنكار شقه الروحي الذي أصبح به ممثلا لله في الأرض وخليفته، يحمل الخصائص الأخلاقية لله سبحانه وتعالى، وموضع أمانته، وهو مسؤول عن إقامة العدل على هذه الأرض** "[1]؛ فالعولمة وما فعلته بالإنسانية جعلت كل نموذج حضاري يقدس الإنسان ويحفظ كرامته يرفض شكل الاختزال وقالب

[1] دانيا محمد بازركان: يسقط الإستحمار روائع أفكار علي شريعاتي، ص5.

التهميش الذي يجعل من الذات جسدا فستبعد كل ما يتعلق بالروح وبالبعد المعنوي تحت عقيدة الحداثة وما بعدها، التي فدت روح التقدم بروح الإنسان وجعلت منه آلة لا يختلف عنها في شيء.

أما عن موقف شريعاتي من الغرب بصفة عامة فانه يتحدد من طرحه للتساؤل أي سيء عمل بنا للغرب نحن المسلمون، نحن الشرقيون ؟ ومن هلال إجابته على هذا السؤال تتحدد نوعية العلاقة التي تربط الغرب بالشرق، يقول شريعاتي: " **استحقروا ديننا ولغتنا وأدبنا وفكرنا وماضينا وتاريخنا وكل شيء بنا، استصغروه إلى حد أخذنا نحن نستهزئ بأنفسنا، إما هم فقد فضلوا أنفسهم وأغروها ورفعوها إلى حد حتى صدقنا أن جهودنا جميعها وآمالنا ومساعينا ليست إلا اقربا وامتثالا ومماثلة وطاعة للإفرنج كي نستطيع تقليدهم في الأزياء والحركات والكلام والمناسبات** "[1]؛ فالغرب كل همه أن يجرد الشعوب من هويتها وتاريخها وماضيها من خلال سياسة الاحتقار والتحقير والاستصغار والاستهزاء، حتى يعتقد الإنسان الشرقي ويتوهم أن التحضر هو الامتثال للتقاليد الغربية وتتبع للأزياء في شتى المناسبات وتقليدهم في كل صغيرة وكبيرة وهذا الاحتقار هو ما يمهد لسياسة التغريب التي سنفصل فيها لاحقا.

وإذا عدنا إلى مفهوم الحضارة عند شريعاتي وأدركنا بعض المنتجات الحضارية التي يريدها شريعاتي في بنائه الحضاري ، يتضح لما جليا نظرته للحضارة الغربية، فهو يريد التأسيس لحضارة تخدم الإنسان والإنسانية، وتوازن بين الروح المادية والمعنوية، تستوعب الذات بمختلف أبعادها وتعتمد على جوهرها وهو الوعي في صناعة حضارة رائدة ونهضة شاملة في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكل ما يتعارض مع المذهب الإنساني لا يعترف به مهما كان فلسفة أو علم، حضارة كانت أم نهضة " **إن أي مسالة وقضية عرضناها عليكم فلسفية كانت أم علمية أم فنية، وان كانت قضية تقدم المجتمع والحياة فإنها إن كانت منحرفة عن الإنسانية والنباهة الاجتماعية فهي دعوة كاذبة غاشمة مزورة عاقبتها الذل والعبودية والغفلة** "[2]؛ فالبعد الإنساني والبعد الاجتماعي في الإنسان يعتبران عاملان أساسيان في صناعة مناخ حضاري تسوده القيم الروحية والأخلاقية، فالإنسان ما إن تحرر من المادية و.... التي يتميز بها جسده وما إن ارتقى بروحه ووصل مرتبة

---

[1] علي شريعاتي: النباهة والإستحمار، ص87.

[2] تفسه، ص110.

الإنسانية فان صورة الإنسان تكتمل، أما الجانب الاجتماعي دعوة إلى الابتعاد عن الانغلاق والتقوقع الشيء بتجاهل فيه الإنسان دوره الحضاري اتجاه مجتمعه والمسؤولية الملقاة على عاتقه إزاء تاريخه ومستقبله، فالاستخلاف وإعمار الأرض احد أحد المهام التي تعبر عن كينونته.

ما يعاب في النموذج الغربي هو ذلك التصور الذي يقدم عن الإنسان ولأنه محور أي نهضة حضارية والعمود الذي يؤسس عليه أي صرح نهضوي، هو تصور يقدم للإنسان بصورة مجهولة وبالتحديد الفلسفة الوجودية والملحدة منها، التي نفت للإنسان أصله وحتى جهلت مستقبله، والأجدر في هذا الكون أن يعرف المرء ذاته قبل أن يسعى لأي معرفة أخرى، بل يرجع شريعاتي إحباط الذات الإنسانية ويؤسسها إلى سياسة الجهل التي مورست ضده " **وهذا هو عين النقص الفجيع الذي حرم الإنسان هذا العصر من الفهم الصحيح لمعنى الحياة، ومفهومه الوجودي بالرغم من نجاحاته الباهرة في عالم العلم ... جعل الإنسان اضعف من الإنسان القديم في سيطرته على نفسه وأكثر جهلا منه**"[1] " **وليس مبالغا فيه لو قيل أن السبب الأساس في إحباط جميع الجهود العلمية والاجتماعية والإيديولوجية المبذولة في سبيل سعادة نوع الإنسان بصدق أو على الأقل إعطاؤه نوع من الشعور بالسعادة يكمن هنا، وهو أن الإنسان الذي هو الموضوع الرئيس لكل هذه الجهود والنجاحات قد بقي مجهولا أو منسيا شكل من الأشكال**"[2]؛ فشريعاتي من خلال دراسته في جامعة السوربون كان له احتكاك بالعديد من الفلاسفة الوجوديين، والبعض يراه من خلال بعض أفكاره انه وجودي بامتياز إلا انه ينتقد هذا التوجه الفكري في مسألتين، الأولى كون أن الإنسان يجهل نفسه فلا داعي أن يبحث في مجال آخر بعيد عن ذاته بعيدا عن حقيقته وجوهره وكينونته، والمسألة الثانية وهي روح الإحباط واليأس التي يحصدها المرء وهو في إطار بعض الانتماءات والإيديولوجيات على غرار ما تدعيه أنها تنشر سعادة الفرد وراحته.

إن الإنسان الذي يعجز عن طرح أسئلة مهمة تكشف له سر وجوده والغاية من خلقه داخل أي دين أو انتماء فكري أو إيديولوجي لا حاجة له بها، هذه الأسئلة لو اجبنا عليها عرف الإنسان ذاته وتعرف على وظيفته الحضارية التي تنتظره.

---

[1] علي شريعاتي: الإسلام ومدارس الغرب، تر عباس الترجمان، دار الأمير، بيروت، ط1، 2008، ص54.

[2] نفسه، ص54.

يمكن للإنسان المعاصر أن يعيش على النمط الذي يريده والشكل الذي يتصور، ولكن وجد نفسه عاجزا أمام سؤال كيف لي أن أعيش، لأنه يجهل الإجابة عن تساؤل أعمق وهو لماذا؟، فهذا النوع من الأسئلة الرئيسية

والمهمة في حياة أي إنسان لا يمكن أن يجد لها جواب في المجتمعات الرأسمالية، ولا يجرؤ على طرحها حتى في المجتمعات الشيوعية، ومن هنا يمكننا أن ندرك لماذا عجزت الإيديولوجيات الحديثة التي تسعى أن تحل محل الأديان، هي الأخرى الإجابة عن احتياجات الإنسان الأساسية، وبالتالي إن الإنسان قد وصل إلى درجة من التفاهة وإما انه أصبح رهن القيود والضغوط"[1]؛ هذا النوع من الأسئلة لا يمكننا بأي حال من الأحوال تجاهلها أو تجاوزها ، وفي اعتقاد شريعاتي انه لا يمكن للإيديولوجيات الغربية رأسمالية أو شيوعية أو غيرها أن تحل محل الأديان، لا شيء سوى أن الدين يحمل الإجابة عن أي تساؤل يطرحه العقل وللإنسان أن يفقه سبب وجوده ويدرك المسؤولية التي يجب أن يحملها تجاه مصيره، مادام يملك حرية الاختيار والإرادة في اتخاذ القرار بعيدا عن العبثية والدوغماتية التي تنشدها بعض الفلسفات الغربية.

يوجه شريعاتي انتقاد صريح ولاذع للمذهب الوجودي يقول:" **إن الوجودية وفي تبرير فلسفي للخلق غريب تماما، تعرف الإنسان بأنه نسيج وحده في العالم وجود ليس له أي خصلة أو خاصية معينة من قبل الله أو الطبيعة، ولكنه لما كان له القوة على اختيار فهو يضع نفسه بنفسه ويبدعها** "[2]؛ فالوجودية لا احد ينكر أن تمكنت من تحرير الإرادة الإنسانية ودفعتها للإنتاج والإبداع، إلا أن تفسيرها يبقى غريبا في قضايا تتعلق بالوجود، فنظرتها للإنسان على انه نسيج متفرد وذات مستقلة لا تمت صلة بالعالم ولا بخالق العالم، ورغم العجز الذي يعتري الإنسان إلا أنها تدعي له القوة، إن هذا التفسير يعتريه الكثير من النقص ، كونه تصور يعلي من صوت الذاتية دون أن يكون لها معنى بالنسبة للوجود أو أصله.

شريعاتي أسس مشروعه الحضاري بدافع الإعلاء من صوت الإنسانية التي استباحت حرمتها المادية الغربية، فجعلت من الإنسان آلة ونظرت إلى " **حرمة الإنسان وقدسيته وفضيلته الذاتية هباء منثورا، حيث**

[1] علي شريعاتي: الإسلام ومدارس الغرب، ص ص55،56.

[2] نفسه، ص70.

يصورونه كأنه نسيج حي والي لطيف يتجزأ إلى الأموات وعناصر بدائية ترابية "[1]، لذلك فان " **الانحراف الذي وقع فيه الفكر الغربي نحو الفلسفة المادية كان خطيرا، التفسير المادي للوجود، التفسير المادي للتاريخ، التفسير المادي للحياة** "[2]؛ والمادية تعني الفطام الكلي للإنسان من مشرب المعنى، وتكريس التشيؤ في كل ميادين الحياة، وهو بذلك اهتمام بالبعد الجسدي للإنسان ومساواته مع الآلة التي يصنعها دون إعطاء اعتبار لجوهره وهي الروح التي يحملها بين جنبيه، وبهذا تصبح ذات الإنسان عرجاء بدون البعد الإنساني منا يغضي بشكل مباشر إلى شعور الإنسان بالاغتراب، بحكم المادية التي سيطرت على حياته وكبلت روح الإبداع والتجديد فيه بقتلها للإنسانية واستعبادها لحريته.

الحرية هي الأخرى احد القضايا التي أعجب بها شريعاتي من منظورها الغربي، التي تعتبر من بين شعاراته اللامعة، واحد قضاياه المركزية التي يراها صفة ملازمة للإنسانية، وميزة لصيقة بها، ولا يمكن لذات واعية عاقلة أن تساوم أو تتنازع عنها مقابل أن تركن لأي شكل من أشكال الاستبداد ولأي نوع من الامتلاك، ففقه التمرد هو الذي ميز فكر شريعاتي ومنطقه الثورة الذي يجعله لا يرضى عن أوضاع لا تليق بالإنسان " **رأى في وجودية سارتر فلسفة للثورة والتمرد، خاصة فيما يتعلق بالإيمان سارتر بالحرية والإرادة الإنسانية ، هذا الإيمان الذي أوصل سارتر غالى حد القول لو أن شخصا مهما معاقا حركيا لو يصبح بطلا اولمبيا لكان هو المسؤول عن ذلك، هذا المفهوم للحرية الذي يفرض على الإنسان مسؤولية التمرد والرفض، هو بالتحديد البعد الذي رأى شريعاتي له دورا ديناميا وقوة دافعة للتغيير المجتمعي في مقابل الفلسفات البنيوية كالحتمية والمادية** "[3]؛ شريعاتي ينصف الفلسفة الوجودية ويؤيد طرحها حول قضية الحرية، لأنها تتناسب مع توجهه الرافض لكل أشكال الجمود والنكوص أمام متغيرات الواقع وتقلبات الحياة ، ولأنها تتوافق مع إيمانه العميق بوجوب تحرير الإرادة الإنسانية التي كبلتها العديد من الحتميات و الإيديولوجيات بقناع وهمي وقناعة مزيفة، لا تمت للحقيقة بأي صلة، ولا تهدي لجادة الصواب، فانعتاق حرية الإنسان من كل القيود وتحريرها من مختلف

---

[1] نفسه، ص76.

[2] أنور الجندي: الفكر الغربي دراسة نقدية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1، 1987، ص133.

[3] خالد عودة الله: دراسة في النقد الاجتماعي، رسالة ماجستير، بيزيت، فلسطين، 2006، ص35.

أشكال الاستعباد يضمن تغيير مجتمعي وإصلاح اجتماعي، يكفل للذات المساهمة في إقلاع حضاري ودعم تمكين إنساني يقود الحضارة الإسلامية إلى مقدمة قاطرة الركب الحضاري.

" **لم يمنع هذا الإعجاب بوجودية سارتر شريعاتي من الدخول معها في حوار نقدي، حيث انتقد شريعاتي مفهوم المعرفة البديهية أو الدارجة عند سارتر الذي يقوم بدور الموجه والمرشد للفعل الإنساني ، حيث رأى شريعاتي أن المعرفة البديهية لا تحتوي على تصور واضح للخير والشر، وغياب هذا التصور يعني غياب المرشد الأخلاقي والمعنوي للفعل الإنساني في الفلسفة الوجودية، وهذا يشكل العيب الأساسي في هذه الفلسفة حسب شريعاتي ، وقد اقترح الإيمان بالله كمصدر للقيم لمعالجة هذا العيب**"[1].

لعل طرح شريعاتي هذا وتصوره للفلسفة الغربية الذي تعامل معها بصفة انتقائية واستخدم معها الممارسة الغربلية لجل أفكارها معتمدا في ذلك المرجعية الفكرية نظرا لتكوينه العلمي والمرجعية الدينية بحكم انتمائه للدين الإسلامي جعل البعض يطرح عليه لقب المجدد الأصولي، أي جمعه بين الانفتاح عن الحضارة الغربية واخذ ما يخدم البشر والإنسانية، وفي الآن ذاته لا ينسلخ من انتمائه العقائدي ولا يتخلى عن أفكاره التي يؤمن بها، فثناؤه وإعجابه بالوجودية، لم يجعله منبهرا بها مقلدا لها في أدق تفاصيلها، مرحبا بكل معتقداتها، بل استل رأي سارتر للحرية بحكم انه استطاع وتمكن من تحرير الإرادة للذات الإنسانية إلا انه عاب عليها المعرفة البديهية كونها تفتقد لمعيار أخلاقي، ميزان قيمي يحتكم إليه الإنسان ويستدل به على ما هو خير وعلى ما هو شر، فالوجودية الملحدة تفتقر إلى مصدر لتشريع القيم، لذلك يقدم شريعاتي لها حلا في مشروعه الحضاري، ويعتبر الإيمان بالله والاحتكام لتشريع الدين تجاوزا لهذا المأزق الذي ينقص من شأنها كفلسفة حررت الفرد ودفعته إلى صناعة مستقبله وتقرير مصيره.

ويواصل شريعاتي حركة نقده ويتبع الفلسفات والإيديولوجيات لقيم نظرتها للإنسان ، فالماركسية هي الأخرى وقعت في مطبات المادية ، حين نظرت للذات كما نظر إليها الماديون على انه شيء مادي ثابت في عالم الآلة، بل يعرفه بأنه موجود في حال الصيرورة المتكاملة الذي يتحرك مع الديالكتيكية التاريخية، وبهذا التدبير ينقل

[1] خالد عودة الله: دراسة في النقد الاجتماعي، ص36.

ماركس الإنسان من الطبيعة إلى التاريخ، وهذا ما رفضه شريعاتي كون الماركسية عجزت عن الارتقاء بمقام الإنسان ، بل أنها حتى لم تجد له شرف أصيل جوهري، لان التاريخ أيضا في الفكر الماركسي يتبع حركة الطبيعة المادية ، فالإنسان في موقفه التاريخي وفي تحليله الحضاري يعود إلى الطبيعة الآلية نفسها عند الطبيعيين، ويؤخذ على انه

شيء مادي[1]، رغم نقل الماركسية الإنسان من الطبيعة إلى التاريخ، إلا أن شريعاتي تفطن إلى حقيقة وهي أن بحكم خضوع هذه الفلسفة للتغيير الديالكتيكي المادي فانه في نهاية المطاف لن يسلم الإنسان من التصور المادي الذي يختزل الإنسان في بعد واحد متناسيا بقية الأبعاد الأخرى التي ترمز إلى جوهره الحقيقي وهو البعد الإنساني.

ويقول في هذا المقام الفيلسوف شاندل: " **إن ماركس يحطم جميع القيم الإنسانية الجوهرية تحت أقدام عربة جبر الديالكتيكية المادية العمياء، ولكن ماركس السياسي والقائد يعبئ الناس للسلطة والانتصار بواسطة مدائحه للقيم إثارة**"[2]؛ لذلك " **فان شريعاتي يرى أن الماركسية بحاجة إلى بعد إيماني لتشكيل قاعدة أخلاقية للإنسان الاشتراكي، لتهذب فيه أنانيته وجشعه وتؤهله لبناء مجتمع المساواة ، فالماركسية حسب شريعاتي لا يمكنها أن تكون مادية فلسفية ومثالية أخلاقية** "[3]؛ فالبعض يرى أن الحضارة الغربية تحمل بذور فنائها واعتمدوا في هذا الحكم على افتقارها للجانب القيمي والى البعد الإيماني رغم توفر التطور التقني والبعد المادي، فالحضارة التي تعاني من تصحر القيم وافتقار المعنى فان مصيرها الزوال والظهور لان رصيدها الأخلاقي وبنكها القيمي أفلس.

" وعلى هذا النحو يجب أن لا يكون التوجه إلى الحياة توجها ماديا، في مجتمعنا هناك من يقول أن **الأموال ليس لها قيمة، ويقدم على أخذها وطلبها، إن المجتمع يجب أن يسعى ويجتهد من اجل الأمور الاقتصادية، لكن مع المحافظة على أصالة القيم المعنوية، ويجب أن يكون دائما مستعدا لان يضحي بمنفقته من اجل مصلحة الآخرين حتى لا تتولد طبقة برجوازية في المجتمع، فالإنسان يجب أن يكون إنسان بعيدا عن الماديات ويجب أن يكون إنسانا بالمستوى المطلوب بين النفوس، وينمي الفضائل**

---

[1] علي شريعاتي: الإسلام ومدارس الغرب، ص78.

[2] نقلا عن: علي شيعاتي: الإسلام ومدارس الغرب، ص ص78،79.

[3] خالد عودة الله: النقد والثورة، ص7.

المطلوبة والمعنويات الروحية والثقافة البشرية"[1]، بناءا على قول شريعاتي ووجهة نظره إلى العمودان اللذان يقومان عليهما أي حضاري وهما العمود المادي المتمثل في الجانب التقني والتكنولوجي، وكل ما له علاقة بالمادة كمنتوج حضاري، والعمود الثاني الذي يمثل الجانب المعنوي المتمثل في جملة العلوم والثقافة والفنون يبدو انه لا ينكر المادة ولا يزهد فيها بل ينبه الإنسان إلى عدم إهمال أصالة القيم الأخلاقية والمعنوية في عمق اجتهاده لتحصيل الأمور الاقتصادية لأن حس الإنسان الخلقي والديني والجمالي وقلقه على الأسئلة النهائية الكبرى يعجز الفكر

المادي عن إيجاد تفسير لها، وكونه ينكر الفكر فهو يسقك كل ما له علاقة بالفنون والأخلاق والأحاسيس ، فعبارات مثل القتل شر هذه اللوحة جميلة وقلق الإنسان بخصوص مصيره في الكون لا معنى لها من منظور مادي، تماما مثل عبد الله رحيم الله موجود، فكلها عبارات لا يمكن للمنهج العلمي أن يفسرها[2].

وجه غارودي نقده المادية بناءا على الآثار التي تنجم وتترتب عنها كونها تتسبب في أزمة الاغتراب ، فهي احد الأزمات التي تعصف بالإنسان وإنسانيته نتيجة استعباد المادة والإله له، ونتيجة ابتعاده عن الدين، كما أن " **موضوع الاغتراب ذو ارتباط وثيق بالوجودية، ذلك أنها تهتم بالحياة والوجود الواقعي الملموس للفرد، فترى أن الوجود يسبق الماهية، وان الإنسان خالق نفسه وصانعها، على ضوء الاختيار الحر، فهو الذي يقرر مصيره وسلوكه وانطلاقا من اختياره هذا والمسؤولية هذه يدخل الوجودي في دوامة من الوحدة والقلق والغربة عن العالم** "[3]؛ فالوجودي يعاني من وحش الاغتراب وليي هو وحده بل كل من يخضع لنظام إيديولوجي وينتمي لتوجه فكري وتكون المادة هي عقيدته والصراع والنزاع من اجل التملك والكسب هو ديدنه، لذلك قال شريعاتي : " **إن أول خطوة في طريق بناء الذات هي أن تقوم بتقوية هذا الهاجس أو الخوف الداخلي في ذواتنا من اجل أن نسقط فريسة الاغتراب* عن الذات** "[1]؛ فأول تحدي ومكسب يحققه

---

[1] علي شريعاتي: تاريخ الحضارة، ص ص98، 88.

[2] عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط1، 2002، ص56.

[3] لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2013، ص ص4،5.

* الاغتراب: ظاهرة نفسية اجتماعية عامة، تزايد الاهتمام بها في السنوات الأخيرة نظرا لأعراضها التي بات تهدد الإنسان في مختلف مجالات حياته، خاصة وأنها مرتبطة بالتطور السريع الذي يعيشه المجتمع الإنساني. جديدي زليخة: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد8، الجزائر، جوان، 2012، ص346.

شريعاتي في بنائه للذات الإنسانية هو أن يكسر حاجز الاغتراب الذي يساهم في إفلاس أخلاقي يفقد الإنسان به معنى الحياة والإيمان ويقع في فخ الحضارة التي راج عنها ان تتجسد في مظاهر تقدم الجانب التقني والتكنولوجي

بهدف تسخير الآلة للإنسان تحقيقا لسعادته إلا أن إهمال الجانب المعنوي يجعل الإنسان حبيس القيود المادية وسجين بعض الإغراءات التي تروج لها الرأسمالية وغيرها من الأنظمة التي تسلك نفس النهج وتتبع نفس الأثر لتعطي لنا في النهاية شاتا ببعد واحدة وروحا مكبلة بأغلال الاغتراب عاجزة عن الإبداع والتأثير متكاسلة عن إضافة شيء لرصيد الإنسانية.

ثالثا: سياسة التغريب والتبعية والتقليد:

أمر البلدان العربية الإسلامية وبلدان الشرق الأوسط بشكل ... بإحدى أسوء مراحل تاريخها، فالصراعات السياسية والمذهبية تتخوصم الأمة ، ومظاهر التبعية والعجز لا تزال هي السائدة، ومهما كانت الصراعات على المستوى السياسي مريرة مهما كنا عاجزين عن تقديم حلول لها فان العمل على الصعيد الثقافي يجب أن لا يتراجع في أولوية اهتمامنا "[2]؛ فالمفكر والفيلسوف هو ذلك الطبيب الحضاري الذي لا ييئس في ظل ظروف التعتيم السياسية ولا يعجزه الوضع الفكر على الصعيد الفكري بتقلباته وتناقضاته، لأنه الترياق والبلسم الذي تنتظر منه أمته وصف العلاج لها لما تنتظره من غيره، وترجو منه وضع يده على الجروح التي تنزف من كياتها وتنسف وجودها لإعادة إرجاعها إلى سكة الحضارة والنهوض بها من جديد.

ولعل احد أهم الأسباب والمبررات التي جعلت المفكر شريعاتي ينتفض ويثور ضد الواقع الذي ساد فيه احد سياسات الاستعمار وأخطرها على الإطلاق هي سياسة التغريب، هذا ما دفعه إلى نسج بناء حضاري يؤمن بالأصالة ويوقن بالانفتاح، لكن ليس ذلك الذي يفقد فيه المرء شخصيته ويتنازل فيه عن هويته وينسلخ فيه من عقيدته، بل انفتاح مشروط يتوافق مع ايديولوحية الذات ويتوازن مع ما يحفظ إنسانيتها ويحفظ حقوقها بعيدا عن كل إشكال الاستبداد التعسفي والاستلاب الحضاري.

---

[1] علي شريعاتي: بناء الذات الثورية، تر إبراهيم دسوقي، دار الأمير، بيروت، 2005، ص23.

[2] فاضل رسول: هكذا تكلم شريعاتي، ص؟

فما دفع شريعاتي للثورة ضد الوضع القائم هو سياسة التغريب والاستعمار الحديث الذي كان يشاهده في ارض وطنه وفي البلدان العربية والإسلامية بشكل عام، أما في إيران تزامنت فترة شريعاتي وسطوع نجمه في الستينات مع تحولات مهمة في الشأن السياسي الإيراني، حيث بدا نشأة عهده بالانفتاح السياسي، وهو ما أدى إلى تعميق تبعية إيران وتقريب اقتصادها وتوسيع الاستثمارات الأجنبية وتضخيم مؤسسة الجيش وتوثيق رباطها بالولايات المتحدة "[1]؛ رغم أن شريعاتي يؤمن بعالمية الإنسان من منطلق عالمية الإنسان إلا انه لديه تحفظات إيديولوجية رغم اطلاعه على الحضارة الغربية واستيعابه لها إلا انه ينكر على الملك شاه انفتاحه السياسي وسياسة التغريب التي عرضها لبلده، ولم يقتصر نضاله على المستوى المحلي مستوى بلده بل " **إن شريعاتي يطرح معركة تحرر بلداننا الإسلامية، بل والشرق والقارات الثلاث على نطاقها الأوسع، فهو لا يراها معركة تنحصر في الإطار السياسي أو الاقتصادي، بل أساسا في الإطار الحضاري ، أن السيطرة الاقتصادية والسياسية نفسها تعتمد على سيطرة حضارية فرصت عبر العنف وأجبرت على بقية العالم على تقليد ممشاة الغرب، وذلك في حد ذاته يفتح أسواق الشرق بأكملها أمام سبيل بضائع الاستهلاك، كما يفتح الطريق أمام تحطيم الشخصية الشرقية** "[2]؛ يبدو جليا أن شريعاتي يدرك يقينا أن معركتنا مع الغرب ليست معركة سياسية واقتصادية بل هي حضارية حتما، لان حسمت الأخيرة جاءت المعركتين السابقتين تباعا لها، لذلك نجد أن نضال شريعاتي كان نضالا فكريا بواسطة قلمه وكتبه، وهذا ساهم بشكل غير مباشر في تحريض العقول غلى الثورة كما يسميه البعض ملهم الثورة.

لقد رفض الاستعمار الحديث الثقافي الغربي جملة وتفصيلا، وكشف زيف الانفتاح الذي يدعيه بعض أشباه المتحضرين الذين لديهم عقدة نقص من الشخصية الإسلامية ..... يمشون على استحياء، لا لشيء سوى أن الغرب احتقر هويتهم واستصغر تاريخ حضارتهم، فجعلهم دون وعي منهم مجرد أسواق استهلاكية، يتحكم في

[1] جميل قاسم: علي شريعاتي الهجرة إلى الذات، ص93.

[2] فاضل رسول: هكذا تكلم شريعاتي، ص80.

ثقافة ونوعية استهلاكها على حساب الفائض الإنتاجي الذي يعاني منه بلده، فهذا ما جعل شريعاتي وكل من له روح الحمية الوطنية والغيرة على عرض دينه أن يثور ويقول لا لكل مظاهر الاستبداد وكل أشكال الادلجة، فشريعاتي رفض تغريب إيران وتغريب كل الشعوب الإسلامية التي لها باع في الإسهام الحضاري، وفي التاريخ الإنساني حافل بالمنجزات الحضارية والنماذج التي منعت الحدث على الصعيد الفكري.

وهذا الاستعمار لم يكن صدفة جلبها القدر، بل هو نتاج دراسة الغرب لشخصية الشرقي من خلال العلوم المتطورة التي ابتكرها، ومن خلال النظريات التي توصل إليها " **قام الاستعمار بجهود علمية متصلة بعلم الاجتماع، ومعقدة جدا وغامضة لكي يضع أشباه متحضريه في الأمم الإسلامية المتحضرة في الهند والصين بطريقة تجعلهم يعتبرون التقدم والعصرية نقيضين للتقاليد والتاريخ، وباسم الواقعية والتقدم يقومون بإلغاء ماضيهم ومحو تاريخهم، ويهربون منها بحقد وكراهية شديدين دليلا على العصرية وتقدم الفكر** "[1]؛ بحكم أن شريعاتي احد المتمرسين في علم الاجتماع، وقد حصل على دكتوراه في علم الاجتماع الديني، استطاع أن يكشف السياسية التي ينتهجها الغرب من تقديم قشور العصرنة ومن محاولة لطمس الهوية للإنسان الشرقي بإلغاء تاريخه وماضيه في سبيل نيل لفت المتحضر أو المتقدم.

ويثير شريعاتي من خلال كتابه العودة إلى الذات أن سياسة التغريب إذ مست عامة الناس فهي كارثة، ولكن إذا شملت فئة المفكرين والسياسيين، فهنا الأمر أكرث لان " **الابتلاء بالتغريب عند المتعلمين والمفكرين الحادين جدا هو الذي احدث كارثة قومية وشللا اجتماعيا عميقا، فالفئة الأولى من البشر صاروا أشياء ، فان التغيير والتحديث والتبديل والاوربة عندهم في الجسم، فهم ليسوا إلا أجساما، وما لديهم وضعوه تحت السيطرة الغربية، أما الفئة الثانية فهم فكر، وعندما يشك الفكر ويفقد القدرة على التحليل والتحرير والاختيار، ويتحول إلى صورة .... الآخرين، فالأمر مصيبة مسيئة وسوداء، يطرأ عليهم نوع من الاغتراب الثقافي، وهو أسوا أنواع الاغتراب**"[2]؛ بمعنى أن المفكر هو صمام الأمان للمجتمع والجيش الفكري الذي يحصن قلعة القرارات ومصفوفة الاختبارات، وهو الذي يدافع عن الهوية إذا طمست والعقيدة إذا شوهت، فكيف

[1] علي شريعاتي: العودة إلى الذات، ص151.

[2] نفسه، ص132.

إذا كان الطبيب معلولا فمن للأمة ومن للإسلام الذي يتصدى لسياسة التغريب والاغتراب الثقافي، الذي يصنف على انه اخطر سلاح واخطر ورم يمكنه أن يفتت روح القومية ويعصف بالشخصية الإسلامية.

ومنه يبين أن المثقف هذا اليوم في البلاد المتأخرة أينما كان في أمريكا اللاتينية، أو في آسيا القصوى أو في الشرق الأدنى لا فرق في ذلك بحكم إن المجتمعات المتأخرة لها مصير مشابه، ولأنها تواجه قوة مشابهة هي الغرب، وفي زمن مشترك أي تتزامن في هذا التصدي الذي تقوم به، والمفكر عندنا إما أن يختار الفكر أولا أو الحضارة من غير فكر، والمقصود بها هو ما يخرجه المتحضرون لنا، ولقد كشفت طيلة السنوات الغابرة إن المجتمعات التي بدأت من نقطة عقائدية، وتحركت بعد تحقيق وعيها الفردي والاجتماعي، قد تصدرت اليوم القدرات التي تصنع الحضارة العالمية، أما تلك المجتمعات التي اقتدت بالحضارة الغربية وبدون وعي اجتماعي أو شعور إنساني بالوعي الفردي وبدون عقيدة هي مجرد نهضة كاذبة، قد ضلت مسخرة للحضارة الغربية ، مستهلكة على الدوام، خاضعة للذل والعبودية تحت سيطرة الغرب[1]، فالحضارة ليست استهلاك لمنتجات غربية ولا تقليد لها بل هي نابعة من وعي فردي واجتماعي محركها العقيدة، روحها الوعي، أما استيراد ما ينتجه الغرب وتقليده هو مجرد نهضة مزيفة يغشاها الصراع والاستبداد، فمن بين المبررات الفكرية والمولدات الحقيقية لمشروع شريعاتي سياسة التغريب والتقليد في ضمنه وفحواه وكتب بالخط العريض بناء الذات الإسلامية الواعية الثائرة على كل جمود فكري أو انقياد استعماري أو استلاب حضاري ، رافضة للتبعية الغربية والاستعمار بشتى أنواعه وتعدد أشكاله.

المبحث الثالث: الإنسان ودوره في المشروع الحضاري عند شريعاتي

أولا : الذات الإنسانية عند شريعاتي

1- مفهوم الإنسان:

[1] علي شريعاتي: النباهة والاستحمار، ص ص68،69.

شريعاتي من بين المفكرين الذين أعطوا للإنسان قيمته وحفظوا كرامته في مشاريعهم الحضارية، لأنه يدرك تمام الإدراك أن أي تغيير اجتماعي أو تمكين حضاري على الصعيد الفردي أو الاجتماعي وحتى العالمي تصنعه الذات الإنسانية من اجل تشييد وانجاز بناء حضاري صالح لمستقبل الإنسانية، الذات ما إن توفر فيها الوعي النفسي والاجتماعي وتحررت إرادتها وأدركت حجم مسؤوليتها إزاء أمتها استطاعت أن تقود قاطرة النهضة، وتتصدر بذلك أمتها الحضارات، كونها عنصرا فاعلا وعاملا مؤثرا في معادلاتها، والعنصر البشري

هو رأس مال أي إصلاح مجتمعي لشتى المجالات ومختلف القطاعات.

كلما ارتفعت مكانة الإنسان وارتقت روحه إلى شغف الإنسانية، استطاعت أن تحدث ثورة وتفجر الطاقة الكامنة من اجل تحريك المياه الراكدة وإزالة النكوص والجمود والتراجع، هذا الداء الذي يعاني منه جسم الأمة العربية الإسلامية، لذلك وجب إعادة صياغته معنى الإنسان وتبين دوره ووظيفته الريادية على كل المستويات التربوية والسياسية والاقتصادية، فتحرك الإرادة وطموحها لبلوغ مظاهر التقدم والرقي والتحضر يؤدي الى تفعيل المشروع الإصلاحي ومن ثمة الأمل في انبعاث وميلاد حضاري من جديد.

شريعاتي احد أهم المثقفين الإسلاميين الذين عملوا غلى الدفاع عن هوية المجتمع الإسلامي وثقافته وأصالته مع انه كان من الذين انفتحوا عن الحضارة الغربية إلا انه كان يستميت من اجل حفظ أمته من التغريب ويفتخر بانتمائه للإسلام، ويتغنى بالذات العربية الإسلامية، لذلك نجد في العديد من مؤلفاته مصطلح الذات

مشكلات الحضارة برمتها وأزمات الانحطاط والانهزام وكل مظاهر التخلف إنما مردها لمشكلة أساسية، المشكلة الأم لكل ما ذكر ألا وهي مشكلة الإنسان، ففي " **كل يوم وبالقدر الذي تتضح فيه حقيقة الحياة أكثر فتدثر، وتتسع سلطة الإنسان على مظاهر الكون وتسخرها لخدمته، ويتم تذييل العقبات أكثر فأكثر، فان هذه المشكلة تضحى أكثر تعقيدا وأكثر إبهاما، بل وحتى تظهر بصورة فاجعة هذه المشكلة هي مشكلة الإنسان نفسه** "[1] ورغم انه في كل يوم تتم الإجابة بواسطة العلم على أسئلة الإنسان إلا انه يبقى هذا

[1] علي شريعاتي: الإنسان والإسلام، ص140.

السؤال ما هو الإنسان ؟ مطروحا أكثر من غيره، كما نرى اليوم في الغرب، حيث أنهم وصلوا إلى هذه الأزمة قبلنا وأكثر منا، ويشعرون أكثر منا بفاجعة " **لا ادري ما هو الإنسان** "[1]، الذي أحاط ... بمثقفينا إلى حد ما بناءا على هذا، فالموضوع الأساسي للإنسان العصر هو الإنسان نفسه، ما هو؟ ومن غير الممكن أن تحل أية مسألة قبل أن نصل إلى تعريف واع ومنطقي وصحيح عن الإنسان.

وفي بحثنا عن تعريف كلمة إنسان يقصد به جوهر ماهيته التي تميزه ويتفرد بها عن فيرى تعريف يليق

بمقام الإنسان ويجدر بنا أن نعرض معنى الذات الإنسانية للقاصي والداني دون خجل لأنه المعنى الأقرب والأرقى من بين كل الاجتهادات التي قدمت من اجل إظهار هذه الماهية، فانطلاقا من المفهوم الذي يتركب عن الذات وبناءا على المعنى المترتب عنها تتحدد الوظيفة الكونية الواجب القيام بها كمسؤولية أخلاقية تفرض على صاحبها الإبداع والإنتاج والتأثير بعيد عن كل أشكال العزلة وكل قيود الاستعباد والعبودية.

يعرف شريعاتي الإنسان في قوله: " **حينما تقول الإنسان بمعنى مفرط والإنسان بمعنى الجماعة، وهذا يعني أن الإنسان الفرد به سنة ثابتة علمية لا تتبدل، وكذلك الإنسان المجتمع والإنسان، الحضارة والتاريخ، والمراد من السنة، مجموعة النواميس العلمية المدخرة في صميم الإنسان ، كشعور وبنية فيزيولوجية وفي صميم المجتمع كبيرة وعلاقات، ويكفي المؤرخ أو عالم الاجتماع أن يضع يده على هذه النواميس والسنن ليتمخض عن ذلك ولادة علم الإنسان وعلم الاجتماع والتاريخ** "[2]؛ فشريعاتي عرف الإنسان على انه يخضع لمجموعة من السنن والنواميس شانه شان المجتمع والتاريخ، هذه النواميس لا تعرف سبيلا للتغيير ولا تنتهج طريقا للتبدل، بمعنى أنها ثابتة مثلها مثل السنن الكونية التي تحكم عوالم الموجودات، ويمكن للإنسان أن يبدع علما يدرسه وعلما يخدم مجتمعه وتاريخا يصنع حضارته من خلال دراسته لهذه السنن، ففقهها يسمح للعقل بالإبحار في عمق الذات والكشف عن أسرارها ومن ثمة إمكانية التغيير فيها وتحقيق إصلاح اجتماعي ونهوض حضاري يستوعب الفرد لمختلف أبعاده.

---

[1] نفسه، ص140.

[2] علي شريعاتي: معرفة الإسلام، ص87.

" والإنسان بمعنى البدن والروح بمعنى المجتمع يخضع لسلسلة قوانين محددة تأبى التبدل والتغير "[1].

وهذا ما يذكره القرآن الكريم وما ينص عليه الإسلام فيما يتعلق الأمر لنظرتهما للإنسان والمجتمع، شانهما شان أي شيء في عالم الطبيعة، وبذلك يكون مكان للأعذار الواهية ولا بوسع المعجزة أو الصدفة أو النبوغ الطارئ أن يغير مجرى التاريخ، أو يحدث انعطافة حادة في مسار المجتمع ، بحكم أن كل من التاريخ والمجتمع يجريان على شنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل " [2]؛ فلسفة التغيير لتجسد انطلاقا من وعي الذات بالقواعد

الثابتة التي تحكم حركة التاريخ والنواميس التي تشير قاطرة التطور والتقدم، هذا الوعي الذي يضمن لها معرفة مداخل الإنسان ومنافذ مجتمعه الذي هو بصدد التفاعل مع تركيبته البشرية ودراسة أبعادها التي تشكل منطلقات للنضال الاجتماعي والسياسي والثقافي على اختلاف الأصعدة التي تتطلب إسهامه الفعلي.

ندد شريعاتي بضرورة حل " **مسألة إنسانية الإنسان وكيفية كون الإنسان وكيفية سيرورة الإنسان قبل أي مسألة أخرى، هذا أساس كل مسالة سواء أردنا بعد ذلك ان تكون دينين أم غير دينين اشتراكيين أم غير اشتراكيين، تقدميين أم غير تقدميين أم رجعيين، أي شكل نريده نتبعه بعد ذلك يجب أن تحل هذه المسألة لنا جميعا قبل كل شيء**"[3]؛ فموضوع الإنسانية هو الموضوع الذي يوحد كل الطوائف ويجتمع عليه مل الإيديولوجيات وتتفق حوله كل الأنظمة الفكرية، وتزاح أمامه كل أشكال التعصبات، وهي قضية وطب الفصل في أمرها نظرا للانتهاكات التي تعرضت لها بفعل المادية الغربية، لذلك وجب إعادة رد الاعتبار والاتفاق على معنى محدد للإنسان يليق بمقامه كمخلوق مؤهل للاستخلاف وككائن وجب عليه وضع مقام أمنه مقام الشهود الحضاري بل الإنساني

2- بناء الذات الثورية:

[1] نفسه، الصفحة نفسها.

[2] نفسه، ص ص87،88.

[3] علي شريعاتي: معرفة الإسلام ، ص142.

فلسفة التغيير عند شريعاتي تقوم على بناء الذات وفق منطق الثورة والتحرر من كل أشكال الاستعباد والاستبداد وبعثها في كل أوساط الانحطاط والانهزام، لتكون ذاتا فاعلة ومفعلة ثارة ومؤثرة بهدف وضع أرضية صلبة للانبعاث الحضاري الغربي بعيدا عن كل الرؤى الساذجة التي تدعو إلى تبني النموذج الحضاري الغربي.

ذاتا متحررة من السجون التي تقيد إرادتها، ومن كل أنماط الاستحمار بشتى وسائله سواء باسم الخرافات التي تتبنى بعض العقائد المزيفة عن الدين أو بالاستحمار وامتطاء العقل باسم الحضارة من اجل الترحيب بسياسة التغريب ، والفعل الثوري له أبعاد على الصعيد الشخصي والاجتماعي، ويتطلب ... علميا وفكريا واعيا لينتقي من الدين ما هو أصيل وما زيف عنه، ومن الحضارة ما هو إنساني وما ينتفي مع ذلك.

بناء الذات عند شريعاتي جاء كرد فعل عن سياسة التغريب التي مورست ضده " اليوم وقد اخرج الغرب كل البشر من قواعدهم الذاتية والثقافية ومن قدرتهم على التوالد الذاتي والانفعال الداخلي وجعلهم في صورة عبيد محتاجين أذلاء ضعفاء ملتصقين مقلدين"[1]؛ لذلك كانت صرخة شريعاتي مدوية ورد بإسهام حضاري بإدراج آلية بناء ذات إسلامية أصيلة ضمن مشروعه الإصلاحي ويقولها مصرحا: " **إن منطلقنا هو الذات الإسلامية نفسها وينبغي أن نجعل شعارنا هو العودة إلى هذه الذات نفسها لأنها الذات الوحيدة القريبة منا من بين كل الذوات، وهي الثقافة الوحيدة التي لا تزال حية حتى الآن** "[2].

إن بناء الذات على فقه ثوري من منظور شريعاتي يقوم على تصدي لكل فلسفة تدعو إلى الانعزال والانغلاق عن الناس حيث تتقدم العلاقة مع الآخر وهو شكل من أشكال الانعزال الذي يحطم إرادة الإنسان ورغبته في التغيير والتمكين على عكس الوظيفة التي ارتضاها له الإسلام كونه خليفة الله في أرضه، يسعى لأعمار الأرض ودفع عجلة التقدم والتطور نحو الإمام، لذلك " **فان بناء الذات عبارة عن إعداد الذات ثورية في صورة أصل وأصالة وهدف، أي أن يوهب الجوهر الوجودي للذات تكامله** "[3]؛ فبناء الذات يعتمد على الجوهر الإنساني الذي يمتاز به عن غيره من المخلوقات هذا الجوهر الذي يمده بالإرادة الفاعلة ويغرس فيه روح التغيير وعقيدة الإصلاح بتفعيل الموروث الحضاري مع متغيرات العصر لتحقيق عملي وعلمي يتناسب مع السنن الكونية والنواميس الاجتماعية وبناء الذات يستدعي ما يلي:

---

[1] علي شريعاتي: العودة إلى الذات، ص.37.

[2] نفسه، ص50.

[3] علي شريعاتي: بناء الذات الثورية، ص ص16،17.

1- على الإنسان أن يعي انه صاحب دور ومهمة أساسية في المسيرة التاريخية وفي تغيير نظامه الاجتماعي

2 -إن الإنسان لا يستطيع أن يبقى مخلصا وصادقا في ثورة اجتماعية حتى النهاية ووفيا لها، إلا إن كان ثوريا قبلها ومتناسقا معها.

3- أن الإنسان بمعناه الفردي والجماعي ليس على الدوام وليد بيئته، بل الإنسان يستطيع أن يكون من صنع نفسه، أي يكون شريكا في بناء ذاته "[1].سنة التغيير هي من السنن الكونية ويمكن للإنسان أن يتفاعل معها بتحرير إرادته وترشيد وعيه وتحميل ضميره مسؤولياته إزاء مجتمعه وأمته، لذلك وجب صناعة ذاته وتزويدها بالمعارف والثقافات وإطلاق العنان لها من اجل صناعة المستقبل المنشود وتحقيق التطور المرغوب في مختلف مجالات الحياة.

الدين هو احد ابرز العوامل المحفزة للفكر الثوري خاصة الدين، الذي يرفض أن تكون وظيفته تبريريه الذي لا يرضى أن يكون تحت رحمة وشفقة بل استبداد واستعباد رجال السياسية وغيرهم من أصحاب السلطان والجاه، فالدين ما جاء ليحرر الإنسان ويجدد طاقته الإبداعية ويمده بأواصر الدعم والتقوية لتحقيق حياة كريمة وضمان آخرة مرضية " **يؤكد شريعاتي أن الدين جاء لخدمة الإنسان لا لتسخيره وإذلاله وجعله مخلوق مسلوب الإرادة، انه يتمسك بالدين سلاحا في صراعه الاجتماعي وصراعه ضد الطبيعة** "[2]؛ فالدين دائما يعتبر ملجأ الأمان ومقر السلام للإنسان، بل محرك ذاته ومدبر إرادته ليكون قائدا في أمته رائدا في إصلاح مجتمعه، بل يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام احد أعظم أنواع الجهاد والعبادات التي يرضى بها الله عز وجل عنه هذا الدين الذي يمكن أن نسميه دين ثوري بامتياز كونه " **دين يغذي أتباعه ومعتنقيه برؤية نقدية حيال كل ما يحيط بهم من بينة مادية أو معنوية ويكسبهم شعور بالمسؤولية تجاه الوضع القائم يجعلهم يفكرون بتغييره ويسعون لذلك فيما لم يكن مناسب**"[3].

وخلاصة القول في حديث شريعاتي عن الذات انه أراد بناء ذات قوية الشخصية متسلحة بسلاح الوعي والفكر، لا تخضع لذهنية التقليد أو القابلية للاستعمار كما يسميها بن نبي، خاصة في مواجهة الغرب الذي يعمل وفق سيق مدروسة هدفها سلب الهوية والعبث بسمة تقديس التراث، يتعدى على تاريخ ولغة وثقافة الإنسان

---

[1] نفسه، ص18،19.

[2] فاضل رسول: هكذا تكلم شريعاتي، ص35.

[3] علي شريعاتي: دين ضد دين، ص40.

الشرقي ويخدعه بأكبر لعبة هي العصرنة، الذات التي يريد صياغتها شريعاتي ذات تستمد يقينها من الدين الإسلامي دين أضاف العديد من التجارب الحضارية إلى رصيد الأمة الإسلامية بل حتى الرصيد

المبحث الثاني: الاصلاحات السياسية والاقتصادية عند شريعاتي

يعتبر الاقتصاد والسياسية والاجتماع احد أهم الأصعدة التي تحتاج للنضال الإنساني من اجل تحقيق

النهضة الشاملة لأي بلد، وخاصة في الدول النامية واخص بالذكر الدول العربية الإسلامية فهي بحاجة إلى تحديث وإعادة هيكلة وتنظيم بالإضافة إلى أنها تتطلب اصلاحات عميقة واستراتجيات مدروسة، كون أن المفاهيم والسياسات التقليدية قد طغت عليها بل إن كل القرارات المتعلقة بالتنمية والتطور ترتبط بصورة مباشرة بالغرب وباقتصادها الذي تتباه جملة وتفصيلا بالإضافة إلى التسيير السيء لهذه القطاعات، وعجز واستغلال أنظمة الحكم لخيرات الوطن التي يحكمون والنصب وسوء التسيير الذي عطل من عجلة التقدم والتنمية في شتى مجالات الحياة.

1- الإصلاح الاقتصادي:

إن مسألة الاقتصاد من بين المرتكزات ومن أهم المؤشرات التي يقاس بها تقدم الدولة أو تخلفها، وذلك من خلال الأنشطة والممارسات الاقتصادية ، كما أن قضية الإصلاح الاقتصادي تترجم مدى وغي الاقتصاديين والخبراء ومدى سعيهم في تحقيق الرفاهية للمجتمع، حيث أن عملهم يرتكز من خلال حملة الإصلاحات التي يرمموا بها الاقتصاد على تنويع الاقتصاد المحلي وعلى تنويع منتجاته، بالإضافة إلى توفير مناصب الشغل بصورة غير مباشرة، فان حل المشاكل الاقتصادية هو لمثابة الترياق السليم للعديد من المشكلات الاجتماعية كالبطالة والفقر وغيرها.

ظهرت بوادر الإصلاح الاقتصادي وخاصة في العالم العربي والإسلامي بسبب الرؤية الغربية والأنظمة الاقتصادية التي تحاول فرضها بقوة على الشعوب والتي بفداحة سلبياته وتجاربها الفاشلة قد شوهت المجتمع الإنساني وجعلت منه مجتمع جل همه هو النمو من اجل النمو، متجاوزة بذلك البعد الإنساني ، بالإضافة إلى النهب والاستغلال من طرف الحكام والسياسيين للمجال الاقتصادي وتقديمهم للمصالح الخاصة على حساب العامة، فبين سياسة مستبدة وسياسة تغريبية تحاول اكتساح النظام الاقتصادي للدول النامية ناهض وانتفض شريعاتي لأنه نظام يخلق الطبقة قي المجتمع ويعطي أولوية المادة على كل شيء " **فالنظام الاقتصادي لا يوجد فيه**

ارتباط كلي بين المسائل الاقتصادية والمسائل المعنوية، فحينما تنظر إلى الطبقة البرجوازية في أوروبا نرى أن فنهم وفكرهم وفلسفتهم تأخذ جانب مجرد ذو بعد معنوي كالمعاناة الغير معروفة والعذاب الروحي وغيرها، أما الطبقة العاملة التي تعاني من الفقر والاحتياج والأمراض، فإنهم يفكرون ويبحثون دائما عن الحياة المادية والعينية الملموسة، فهم لا يعانون من هموم مبهمة وعذاب ليس له عنوان كما هو الحال عند البرجوازيين، لان النار التي تحرقهم واضحة والآلام التي يعانون منها كذلك "[1] ؛ فالنظام الاقتصادي الأوروبي خلق لنا فجوة وهوة كبيرة بين أفراد المجتمع من ناحية المستوى المعيشي، فأصبح لدينا طبقتين، طبقة البرجوازيين والتي رغم توفر كل الماديات إلا أنهم يعانون من الاغتراب الروحي وآلام لا يعرفون لها عنوان، وطبقة العمال التي تفتقر لوسائل الإنتاج همها تحصيل لقمة العيش تزيح ا لم الجوع.

الإصلاح الاقتصادي الذي أدرجه شريعاتي في مشروعه الحضاري وبحكم انه ليس من طبقة الانتهازيين ولا البرجوازيين، لذلك كان يحس بمدى معاناة الطبقة العاملة، فعمل على الانتصار لها والبحث عن عدالة اجتماعية تحفظ لها كرامتها، بل تحفظ مكانة أي إنسان، وتضمن له حياة رغيدة خالية من الآلام، وهذا لا يعني أن البرجوازيين يعيشون في سلام بل إنهم يعانون من خواء في المعنى وفقدان للراحة النفسية " **فعلى قدر ما تحرر المرء من الحرمان، الاضطراب، القلق المعنوي والفلسفي، وغلى قدر تحرر من أسئلة ماذا آكل؟ ماذا شرب ؟ من أين .... الماء بدخل في قضية من أنا ؟ ولماذا أعيش ؟** "[2].

يقدم شريعاتي حلا لهذا الاغتراب المادي والروحي لكل من الطبقتين البرجوازية التي تعاني الاغتراب والغراب الروحي ولطبقة العمال التي تشكو العذاب المادي، فيقول : " **وفيما يتعلق بالأسئلة الاقتصادية يمكن محوها من قراءة الإنسان أنها أسئلة من العذاب الاقتصادي والفلسفي والمعنوي والعارض الاقتصادي يمكن معالجته بتطبيق العدالة الاجتماعية والمساواة ومحو التفاوت الطبقي** "[3]؛ فلتجاوز العذاب المعنوي علينا تجاوز الأسئلة المتعلقة بالعذاب الاقتصادي ذو البعد المعنوي كونها تساهم في تأزم الحالة النفسية للإنسان

---

[1] علي شريعاتي: تاريخ ومعرفة الأديان، ج1، تر حسين النصيري، دار الأمير، لبنان، ط1، 2008، ص458.

[2] علي شريعاتي: الإنسان والتاريخ، ص95.

[3] نفسه، ص98.

وتدخله في متاهات هو في غنى عنها، أما العذاب المادي فينصح شريعاتي بضرورة تحقيق مبدأ المساواة والعدالة والقضاء على الفكر الطبقي.

احد تداعيات المشروع الإصلاحي الاقتصادي على المستوى المحلي سياسة شاه السياسية والاقتصادية التي تسمح للولايات المتحدة بالتدخل في الشأن الداخلي للبلد، ويعتبر القناة الأساسية التي سمحت بذلك ووصل الأمر إلى منح إيران عائدات بيع البترول للغرب، وفي المقابل كان الغرب يمنح الشاه حق الالتجاء إليه في حال حدوث أي طارئ، فكانت بذلك سياسة مقايضة على حساب البلد ومحاولة لإرضاء و.م. أ بدل التفكير في مصلحة الشعب والوطن لذلك ثار شريعاتي ولم يتردد في فضح سياسة التغريب التي يتعرض لها بلده وانتزاع حق المواطنين الاقتصادي وهم في أمس الحاجة إليه "[1].

ولان النظام الاقتصادي الغربي قد رفع شعار النمو من اجل النمو بدل أن يكون شعار يخدم الإنسانية قبل البعد الجسدي وبدل أن يكون فرصة لخلق مناصب الشغل وحل المشاكل الاجتماعية كالبطالة مثلا لجا إلى استخدام الآلة بدل الإنسان ليخلق بذلك عدم التوازن في السياسات الاقتصادية ففي القرون المعاصرة القدرة الحاكمة التي حكمت وحلت محل جميع القدرات الاقتصادية أي المؤسسات الإنتاجية والتوزيعية حيث أن الماكنة تختل في مل يوم محيط اكبر بنسبة لحياة الإنسان حتى أصبح تجاوز الآلة على محيط الإنسانية تجاوز غير منطقي وإنساني "[2]؛ فما يستوجب ضرورة الإصلاح الاقتصادي هو هذا الاعتداء الذي يحدث بحق الإنسانية والمجرم الأساسي هو الآلة هذا الاختراع الذي انصبت منعكساته وآثاره سلبا على حياة الإنسان فتسبب لنا تضخم في الإنتاج مما يؤدي إلى حدوث خلل في قانون العرض والطلب بالإضافة إلى انتشار ظاهرة البطالة بسبب عدم توفر مناصب شغل كون الآلة قد حلت محله هذه الاختلالات عرقلت حدوث توازن اقتصادي يضمن النمو الإنتاج والاستثمار.

إن الاقتصاد الذي ينحاز إلى الآلة غلى حساب مبتكرها ومخترعها لهو اقتصاد مادي بحت لا يمت للإنسانية صلة يسيء لها أكثر ما يحسن ويهدم أواصرها أكثر ما يبنيها، وهو أيضا يكرس المادية التي طغت

---

[1] محمد حسين هيكل، مدافع آية الله: قصة إيران والثورة، دار الشروق، بيروت، ط6، 2002، ص ص30،31.

[2] علي شريعاتي: تاريخ الحضارة، ص ص408،409.

في عصرنا الحالي بشكل قد يعجز المرء في ظله أن يذكر أهمية القيم الأخلاقية قي المعاملات الاقتصادية أو التجارية.

ففي ظل هذا التطور الرهيب للآلة والتقنية وهذا التجاوز قد سلب للإنسان معنى وجوده، فبدل أن تكون الآلة خادمة له أصبح سجينا لها بل أخذت مكانه وقدمت بديلا بحيث يمكن الاستغناء عنه وهذا التجاوز يفتك بطبقة العمال بل يقضي عليها ولا يلحق ضرر لطبقة مالكي وسائل الإنتاج، كونه المستفيد الأول من النمو السريع وكل العوائد والفوائد والأرباح تصب في رصيدها، في حين العمال على قدر الشقاء الذي

يعانون منه وعدد ساعات العمل التي تفوق الجهد إلا انه تم استبدالهم بالآلة ليتحول عناءهم إلى فقر وجوع وعجز عن سد ابسط حاجيات الحياة الاقتصادية الذي يريده شريعاتي هو ذلك الذي يصمم ويبدع ويخلق ويحدث في نفسه ثورة وتغيير متجاوزا كل الأمراض النفسية التي قد تنجر من استخدام الآلة ويلفت الانتباه إلى ضرورة معرفة الأمراض التي قد تسببها الآلة قبل استيرادها من الغرب[1].

أصالة الاستهلاك:

" هناك بحث يسمى أصالة الاستهلاك أو أصالة المصرف، حيث أن المنتجين وأصحاب رؤوس الأموال يكونوا مجبرين على إتباع هذا الأصل والعمل إن استهلاك الإنسان يكون على تكليف: المصرف والاستهلاك الأساسي والمصرف والاستهلاك الفرعي أو ما يسمى التفنن وهناك فرق كبير بين هذين النوعين من الاستهلاك "[2]؛ رؤية شريعاتي بالنسبة لمسالة الاستهلاك انه يدعو رؤوس الأموال والمشاريع أن ينتهجوا مسلك الاستهلاك والمصرف الأساسي بمعنى إنتاج واستهلاك الضروري الذي يسد حاجيات الإنسان التي لا يمكن الاستغناء عنها والابتعاد عن الاستهلاك الفرعي هذا الذي يروج له الغرب من خلال الإعلام فيخلق حاجة يمكن الاستغناء عنها ويجعلها ضرورية عند الإنسان الشرقي وهذا ما يجعل سوقا استهلاكية للمنتجات الغربية لا غير.

2- الإصلاح السياسي:

[1] علي شريعاتي: تاريخ الحضارة، ص110.

[2] موريس دوقرجيه: مدخل إلى علم السياسة، تر كمال الأناسي وساكيبي الدروبي، دار دمشق، دمشق، دط، دت، ص17.

لقد أصبح الإصلاح السياسي مطلب ضروري وملحا لكل امة تعاني القهر والاستبداد السياسي على مستوى أنظمة الحكم وكل شعب يعاني من كل أشكال الظلم والطغيان الذي يمارسه الحكام لمجرد الوصول إلى سدة الحكم، وشريعاتي كان من بين الثائرين على نظام الملك شاع المستبد في بلده إيران ولم يكن يخشى في الله لومة لائم مادام ينشد العدل والعدالة ويحارب الظلم والفساد، لذلك نجد أن تاريخه حافلا بالانضمام للحركات

التحررية والنضالية مليئا بدعم القضايا العادلة فكل همه أن يسود الاستقرار وطنه ويحقق التقدم والتطور المنشود

للحصول على امتيازات لتدخل الأهواء ومراعاة المصالح الفردية على المصالح العامة والشعبية في اتخاذ بعض القرارات الحاسمة في حياة المواطن مما يتسبب في ثورة ضد النظام الحاكم مطالبا بحقه رافضا سياسة الظلم والتعسف مناضلا ضد أشكال الفساد ليحقق العدالة الاجتماعية ويحصل على حقوقه كما يؤدي واجباته.

الإنسان كائن مدني بطبعه والوعي السياسي بالمعنى الأفلاطوني للسياسة لا بمعناها .... اليومي يعني شعور الفرد بمرحلة المصير التاريخي والاجتماعي للمجتمع، وعلاقته بالمجتمع والمقدرات الراهنة بالنسبة إلى مجتمعه، وعلاقته المتبادلة بأبناء شغبه وأمته وشعوره بانضمامه وارتباطه بالمجتمع وشعوره بمسؤوليته كرائد وقائد في الطليعة من اجل الهداية والقيادة والتحرير والحركة الشاملة تجاه شعبه وأمته، الأمر الذي يجعل هذا بمثابة مسؤولية ثانية للإنسان[1].

هذا هو المنظور الشريعاتي للإنسان المدني والمناضل السياسي الذي من بين ميزاته انه يدرك تمام الإدراك أن قضية الإصلاح السياسي هي احد القضايا التي يجب العمل غليها من اجل الوصول إلى حكم رشيد، ويتم ذلك بوعيه بمصير أمته كما يعتبر الفكر من بين الآليات التي تسهم إسهاما فعليا في تحقيق الحركة الإصلاحية " **فإرهاصات الأزمة الفكرية بدأت في التاريخ الإسلامي عندما حدث الفصل والانفصال بين السلطة السياسية والعلماء المثقفين الذين اضطروا إلى الانعزال عن الحياة السياسية وعدم مواكبتها واستمر التردي إلى أن وصل إلى حالة من الجمود الفكري المعرفي وتعطل العقل المسلم عن وظيفة الإنتاج والإبداع ومواجهة التحديات**"[2]؛ من اخطر الظواهر الفكرية هو انتشار مرض عضال بما يعرف بالعلمانية المعرفية إن

[1] علي شريعاتي: النباهة والاستحمار، ص ص89،90.

[2] .....

صك التغبير وهو انعزال طبقة المثقفين ورجال الفكر الساسة لينتج لما بعد ذلك سلطة سياسة لا تفقه في شؤون البلد والشعب شيئا هذا من جهة ومن جهة ثانية حتى طبقة المعارضة أن كانت من يتولاها عامة الشعب ، وإذ افتقرت إلى عقول مفكرة واعية بمعنى الوعي السياسي فان الإصلاح لن يتم بالمفهوم الشامل الذي يدير دولاب التقدم والحضارة من جديد، وهذا ما نشهده اليوم في العالم الإسلامي والتاريخ حافل بالشواهد على تلك المحطات التي اعتزلت فيها السياسية من طرف العلماء والمفكرين، وكيف أدت إلى تردي على مستوى العمل السياسي وكيف أجهضت العديد من المحاولات الإصلاحية وأقبرت في بدايتها، فالأزمة السياسية وحتى الاقتصادية والاجتماعية إنما منبعها الأم الأزمة التي شلت هذه القطاعات بإحكام .

وإذا عدنا إلى شريعاتي فنجده من بين المفكرين الذين اعتلوا منصة النضال السياسي والعمل على إصلاحه فلقد " **هيأ أرضية مناسبة تماما للعمل الثوري وصرح بالتشيع العلوي في مقابل التشيع الصفوي التقليدي وصار وحده جيشا يقاتل الغرب والتشبه وعبادة الشاه والمفكرين المزيفين ويقف بالمرصاد للعملاء في لباس رجال الدين ووعاظ السلاطين واستغلال دين ضد دين** "[1]؛ فشريعاتي مذهبه شيعي، ولتصوره أن الدين محرك كل إصلاح مهما كان فكريا أو سياسيا أو اجتماعيا، فلقد عمل على نقد التشيع الصفوي كونه يؤمن بعقيدة الزهد والاكتفاء بالمواضيع التي تخص عالم الأخير، ذاك الزهد يضعف من إرادة الإنسان ويمنعه من المشاركة في النضال السياسي، وصرح بتأييده للتشيع العلوي كما انه وقف في وجه دعاة التقليد والإفرنجيين المتشبهين بالغرب والمزيفين من المفكرين ووعاظ البلاط الحاكم الذين يبررون أفعالهم السياسية ليعطوها بعدا دينيا كاستحمار العقول وامتطاء لنباتهم ويقظتهم الفكرية، كما انه هاجم كل من يستغل الدين في مآرب سياسة بحتة ما انزل الله بها من سلطان.

يقول شريعاتي مبينا سياسة التغريب التي ينتهجها الغرب وتمارسها السلطات المستبدة على الشعوب الضعيفة بان نزع التسيس من الناس ليس أسلوب وليد اليوم اكتشفه المستعمرون والسلطات الاستبدادية المعادية للشعوب من اجل أن يبقي الحكم في أيديهم، وذلك عن طريق ترويج الفنون الهابطة والإفراط في ممارسة الجنس، أو جعل الشعوب النامية أسواق استهلاكية تعبد منتجاتها، أو إثارة مشاكل حقيرة في الحياة الاقتصادية وما الى ذلك من وسائل تحاول لها صدف الأذهان عن التفكير في مصير الناس والمجتمع[2]، وهذا ما يعرف في المجتمعات

---

[1] علي شريعاتي: محمد (ص) خاتم النبيين من الهجرة حتى الوفاة، تر أبو علي الموسوي، دار الأمير، بيروت، ط2، 2007، ص25.

[2] علي شريعاتي: بناء الذات الثورية، ص76.

العربية الإسلامية وما يصطلحون غليه اسم سياسة الإلهاء التي تمارس ضدهم من طرف الغربيين الذين لهم أقدام للحكم في أنظمة الشعوب الضعيفة ومن طرف النخب السياسية باعتمادهم على بعث كم هائل من استراتجيات مدروسة، تقوم بإثارة معارك تافهة ثانوية في حياة المواطن فتجعله يتفاعل معها ليغفل بعد ذلك عن التفكير في مصيره وفي مصير أمته كظاهرة الاختطاف مثلا، أو تدبير مسرحية واقعية تجسد عتق جسدي أو دموي، هذه الأزمات والمشاكل الاجتماعية تجعل الإنسان يغض الطرف عن كثير من القرارات السياسية والمواقف التي لا تخدم دينه ووطنه وأمته.

" فالمسؤولية التي يلقيها شريعاتي على عاتق كل مصطلح سياسي واجتماعي تجاه مجتمعه تكمن في توظيف كل إمكاناته ومواهبه التي تجعل منه إنسان مما تساهم في تكوين دراسة نفسية على درجة من الوعي لكي يرفض أساليب الظلم والاستبداد وان يكرس مبدأ العدالة "[1].

يواصل شريعاتي عملية تقده للنظام السياسي الغربي الذي يصفه بأنه نظام استبدادي دكتاتوري متعصب عقائديا وينظر لحكم الحزب الواحد والأحادي للعالم، وبالتالي ما هو في الأخير إلا نظام ميكانيكي سبيله وشعاره كثرة الإنتاج وتحقيق التقدم وتلخيصه من مظاهر مادية لا غير، وكلها أنقاض على الإنسان باعتباره إرادة قدسية حرة وخلاقة وتصبه في قالب كشيء اجتماعي في جهاز عنيف شامل وهو ابرز نموذج للتغرب السياسي والفكري عن الذات الذي كان ماركس يتحدث عنه حول الإنسان البرجوازي بشدة "[2]، افتقار نظام الحكم للقيم والأخلاق والجانب المعنوي للإنسان يجعل منه يمارس سياسات ضده وتحقق في الإنسان التزمن الميكانيكي وتجعل يتبنى قاعدة المادة من احل المادة ما يجعله يقع أسير الاغتراب والعوز الروحي.

الرأسمالية تعرض نفسها على أنها جنة الأرض وبوابة الحياة من خلال التسلح العلمي والتجهيز بالتكنولوجيا الساحرة الحديثة، لكن في حقيقة الأمر قد أسرت الإنسان بين عجلات النظام الميكانيكي الثقيلة القاسية وسيادة التكنو بيروقراطية التي لا تعرف الرحمة والإنسان تحت غطاءها ما هو إلا حيوان اقتصادي بامتياز عليه أن يرتفع في هذه الجنة فلسفتها الاستهلاك وشعارها الليبرالية أي فوضوية الإنسان المقيدة والديمقراطية، أي انتخاب أشخاص قد انتخبوا ماهيتك من قبل والسعي وراء الربح والأنانية هي الهدف "[3]؛

---

[1] علي شريعاتي: النباهة والاستحمار، ص11.

[2] علي شريعاتي: الإسلام ومدارس الغرب، ص85.

[3] نفسه، ص95.

من بين الإغراءات التي يعرضها النظام الرأسمالي هو التغني الدائم بالديمقراطية ورفع شعار حكم الشعب وإرادته في تحديد جل خيارات وقرارات السلطة الحاكمة في حين أن الواقع يقول عكس ذلك فعلا الشعب هو الذي ينتخب من يمثله لكن كل من يتحدث باسمه يحدد ماهيته بمفرده دون شورى او استشارة ليكون المطمع هو السعي وراء الربح والفائدة ومراعاة المصالح الشخصية هذا ما تكرسه الليبرالية الوطنية وتجعله مكسبا لكل من يتشبه بها ويحذو حذوها.

ثالثا: دور الايدولوجيا في بناء الحضارة

الايدولوجيا احد مرتكزات الحضارة من منظور العديد من المفكرين والمختصين في الشأن الحضاري ، لذلك أعطوها أهمية كبرى ضمن المشاريع الحضارية الذين اشتغلوا على صياغتها من اجل مناهضة حالة الاغترابية التي يعيشها العالم الغربي والإسلامي، والاجترار اللامحدود للمنتجات الغربية المادية والمعنوية منها، لذلك فالايدولوجيا من منظور شريعاتي تعمل على الاستقلال بالشخصية الذاتية والحفاظ على ثوابت الهوية الوطنية والدينية، التي تمثل الذات العربية الإسلامية وتحفظ وجودها ببعده الاجتماعي والتاريخي، وبفضلها بإمكانها أن تستعيد مكانتها الحضارية وإسهاماتها الفعلية في إبداع حضارة ونهضة شاملة تفيد الإنسان وتخدم الإنسانية.

وقبل أن نشرع في تفصيل دور الايدولوجيا وإسهاماتها الحضارية التي تقدمها من منظور شريعاتي نتعرف على مفهومها .

لا يوجد تعريف موحد ومتفق عليه لمفهوم الايدولوجيا ، فالبعض يعرفها على أنها عملية إنتاج للمعاني والرموز والقيم في الحياة الاجتماعية، الأفكار التي تساعد على شرعية قوة سياسية، كما يوجد تعريف آخر ينص على أنها مجموعة من المعتقدادت الموجهة نحو الفعل، العملية التي من خلالها تتحول الحياة الاجتماعية إلى حياة محايدة[1]؛ تعمل الايدولوجيا على تصوير المعاني التي من شانها تقوم بتحريك الفعل الإنساني لصناعة

---

[1] خالد عودة الله: النقد والثور، ص66.

حياة اجتماعية مستقرة ذات بعد إنساني.

أما عند شريعاتي فقد حدد لنفسه مهمة بناء إيديولوجيا وثقافة تعمل على الوصول بالجماهير الإيرانية إلى حالة الثورة التي شكلت عنده الهاجس الأساسي، هذه الثورة من بين غاياتها الإطاحة بنظام الشاه، لكن لها غايات أخرى تفوق هذه الأخيرة وهي أن تقوم ببناء مجتمع على أسس جديدة، وللوصول إلى حالة الثورة، فان شريعاتي كما يرى انه على المفكر أن يوصل التناقضات الاجتماعي إلى وعي الناس، وهذا الوعي أطلق عليه اسم الوعي الإيديولوجي وهو كفيل بان يحرك الناس نحو الفعل الثوري التحرري، وإما الذي يمكن المفكر من القيام بهذا الدور فهو اتصال الجماهير بما هي قادرة على فهمه والتفاعل معه، وذلك بالاستناد إلى الثقافة المحلية، هذه الثقافة التي يتوجب على المفكر العودة إليها فيما يسميه شريعاتي العودة إلى الذات"[1]، عمل شريعاتي على بناء وعي إيديولوجي الذي من بين إسهاماته هو تقصير الثورة في إيران وإسقاط نظام مستبد نظام شاه، هذا على البعد المحلي، لكن شريعاتي يرى أن للوعي الإيديولوجي غايات أخرى كأن يوصل المفكر التناقضات الاجتماعية إلى الناس أي يطلعهم على الوضع القائم بمتغيراته لكي يحرر العقل ويدفعه إلى رفض كل وضع لا يرضى عنه، هذا الوعي لكي يصل ويحقق الغاية يجب أن يكون من صلب الثقافة المحلية للجمهور المخاطب، وما يتوافق مع بيئتهم ونمط أفكارهم، وهذا ما يدخل في إطار إيديولوجيا التي ينتمون إليها.

" **اعتقد شريعاتي أن التغيير العقائدي هو شرط مسبق لتحقيق التغيير الاجتماعي، فالتغيير يجب أن يتبلور أولا في ضمير البشر، وإلا فانه لن يتخذ أبدا شكل حركة اجتماعية ، كما وجد فيه تأكيدا على أهمية الإيمان بحتمية انتصار العدالة وانتهاء القهر على أيدي حركة الجماهير التي تسرع من حركة التاريخ، وبالتالي عبر شريعاتي عن اقتناع بجدلية التفاعل والعلاقة بين البنية الفوقية والتحتية وبين النظرية والمجتمع**"[2]؛ فلا يمكن أن يكون مبعث أي تفسير اجتماعي ومحرك أي إرادة إنسانية مجرد صدفة تاريخية، بل وراء كل حركة اجتماعية أو تحررية خاصة التي تأخذ بعد إصلاحي عقيدة وإيديولوجيا حررت الإنسان

---

[1] خالد عودة الله: النقد والثورة، ص60.

[2] وليد عبد الناصر: إيران دراسة عن الثورة والدولة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1997، ص17.

من كل القيود وضخت في داخله روح الانتصار للعدالة، وإنهاء عهد الاستبداد والاستعباد، فالوعي بصفة

أو بأخرى يسرع من حركة التاريخ، ويدير دولاب النهضة في الاتجاه الايجابي.

فما يجعل الإنسان يصمد أمام ضرائب التغيير ليس تلك الشعارات السطحية ولا حتى تلك المصالح التي يحصدها وراء كل ذلك، بل إيمانه العميق بأهمية ما يقوم به في سبيل تحقيق ذاته وفي عمق المسؤولية التي يتحملها إزاء مجتمعه.

فالمهمة التي أوكلها شريعاتي لنفسه هي بناء وعي إيديولوجي محرك الشعوب وسبيل لأنقاضهم من استعباد كل الأنظمة المستبدة، كتلك التي عاشتها إيران في عهد الملك شاه، بالإضافة إلى ذلك شريعاتي أراد كشف سواد بعض الترويجات الإعلامية التي ينتهجها الغرب باسم حقوق الإنسان والدعوة العالمية، لكن في حقيقة الأمر ما هي إلا محاولة تريد سلب الهوية العربية الإسلامية من الإنسان الشرقي وطمس الهوية وشخصيته وأبعاده عن دينه وتاريخه "، وعلى أساس هذا الفهم وضع شريعاتي أهم نظرية في فكره الحي الثوري وهي نظرية العودة إلى الذات ومرة أخرى وبعدما يقرب من مائة سنة من السيد جمال الدين الأفغاني والكواكبي ومحمد عبده، يثبت علي بن محمد شريعاتي أن المسلم الصادق المؤمن العارف بأصول الفكر الإسلامي والمتفهم جيدا لا يمكن أن يحول وجهه عن الإسلام ولن يرضى عنه بديلا، وان الحضارة الغربية مهما كانت عالمية ومسيطرة ومتسلطة لا يمكن أن تصلح للمسلم الحقيقي بل إن المسلم الحقيقي يستطيع أن يدرك نقاط الضعف في الحضارة الغربية وان يستغلها لصالح الإسلام "[1]؛ ويتضح لنا أن نظرية شريعاتي المسماة العودة إلى الذات تحمل في طياتها مدى أهمية الايدولوجيا في تحريك الفكر الثوري الذي ينتج لما فاعلية حضارية، فهو بهذا ليس ضد فكرة العالمية بل انه من المنفتحين على الحضارة الغربية ، إلا انه يريد أن يكون هذا الانفتاح بوعي وبأخذ ما يتناسب مع احتياج الإنسان الحضاري ، وما يتوافق مع طبيعة بيئته ودينه، والايدولوجيا التي يتبناها شريعاتي للمسلم الحقيقي هي الإسلام، فلا يمكن أن تقوم للحضارة الإسلامية قائمة بعيدة عن هذا الدين، ومنه نستنتج أن تصور شريعاتي للايدولوجيا بأنها تشمل أيضا الدين، كما أنها لا تختص باسم فقط، فمشروع العودة إلى الذات يشمل كل الديانات والتوجهات،

[1] علي شريعاتي: العودة إلى الذات، ص ص10،11.

فأي وعي إيديولوجي مهما كان نوعه، فانه قادر وبإمكانه تحريك متبنيه والذين ينتموا إليه وإدخالهم في دائرة التاريخ ، وتقرير مصيرهم ومصير الأمة التي ينتمون إليها.

يقول شريعاتي فيما يتعلق بنظرية العودة إلى الذات وعلاقتها بالايدولوجيا بأن :" **كل من يريد أن يكون موفقا في هذا العصر أو عنصرا مفهوما في المجتمع عليه أن يكون ذا نمط فكري يصل به إلى النجاح ، عليه أن يرفع لافتة فكرية، وكما يقول الكتاب التقدميون اليوم: على كل فنان أو كاتب أن يحدد انتماءه الطبقي وهذا قول صادق للغاية، فان على كل فرد أن يحدد قاعدته الاجتماعية وأية جماعة ينتمي إليها، بحيث يجد له مؤيدين محددين ومتميزين في المجتمع، وكل شاعر أو مفكر أو كاتب أعلن عن قاعدته الاجتماعية قائلا: إنني متدين أو مفكر علماني أو اعتنق إيديولوجيا كذا أو بجناح كذا، سوف يفهمه الناس ببساطة ويدركون ما يقول، وبالتالي سوف يجد من يؤيدونه في فكره** "[1]؛ وبالتالي فان مشروع العودة إلى الذات لن يتكفل به المتدين فقط، بل هو مسؤولية كل كاتب ومفكر وشاعر وفنان، يحمل هم أمته، وجب عليه أن يصرح بانتمائه الفكري وارتباطه الإيديولوجي ، هكذا يشكل قاعدة رصينة يعرف من خلاله مؤيديه ، وأيضا من باب أن يسهل فهمه ويعتنق فكره، ويستمات من اجل الدفاع عن أفكاره، هكذا تتحرك الشعوب وتستطيع أن تساهم في صناعة مستقبلها مع ما يتوافق مع ذاتها وهويتها.

وعلى كل حال فان شعار العودة إلى الذات شعار لم يطرح في عالم المتدينين فقط، بل أيضا يطرح في أوساط المفكرين التقدميين العلمانيين، ففي إيران مثلا هم من بين الأوائل السابقين الذين طرحوا هذا المشروع، مشروع العودة إلى الذات ، ولا يعتبر واحد منهم نمطا دينيا، فهم من بين ابرز الشخصيات البارزة في الحركة الفكرية العالمية ، ومن القادة المعادين للاستعمار في العالم الثالث، وممن ينعمون بقبول كافة الأجنحة، إذا جئنا لإيران لنطرح مثلا هذه القضية فإنما تطرح على أساس بالنسبة إلى شريعاتي مثلا على انه مفكر ديني، وبالنسبة لغيره على انه مفكر علماني، وكلاهما يشترك في المسؤولية الاجتماعية [2].

---

[1] علي شريعاتي العودة إلى الذات، ص ص17،18.

[2] نفسه، ص ص26،27.

" وعندما نتكلم عن شريعاتي لا بد أن نتكلم عن الإسلام الايدولوجيا بما يعنيه هذا المصطلح، من ثورة وفكر وحضارة وحاكمية، ومن هنا طرح شريعاتي مفهومه الموحد من خلال ثلاث طرق:

1- فهم الإسلام فهما متكاملا، وعدم الاقتصار على فهم الأمور التي تتعلق بحياة الفرد فقط، بل فهم الاقتصاد والسياسة والمجتمع والتاريخ، ومتطلبات العصر من منطلق الإسلام ذاته، لأنه عقيدة متكاملة لكل زمان ومكان "[1].

فتصور شريعاتي للإسلام باعتباره دين وإيديولوجيا بامكامها تحرير الإنسانية، وتفعيل قدراتها على التغيير والإصلاح هو تصور متكامل وشامل، لا يقتصر على الأمور الفردية الشخصية، بل هو دين يعني بكل مناحي الحياة كالسياسة والاقتصاد، كما انه يؤمن بان الإسلام كعقيدة صالح لكل زمان ومكان، وهذا ما يؤهله ليكون محرك الذات لصناعة المستقبل، وله القدرة على استيعاب الإنسان ومشكلاته الحضارية باختلافها وتنوعها وتفاوتها.

2- أن يطهر الفكر الإسلامي من عناصر الجمود والركود، سواء التي التصقت به عبر عصور التغلق أو التي ادخلها الاستعمار"[2] ؛ أي القضاء على الفكر الزهدي خاصة ذاك الذي استغله الاستعمار على وجوب قبوله من باب الإيمان بالقضاء والقدر، أو أن الدين دين آخرة بينما الدنيا هي لغيرنا.

3- أن يصبح الإسلام ثقافة جماهير، كل الجماهير، وان يخرج من احتكار بعض المتجرين بالدين، الذين جعلوا منه دكانا للاسترزاق، يروجون به أفكارا حسبوها ديننا عن علم أو جهل، ليسقطوا الأهداف السامية للدين الحقيقي "[3]؛ فالدين عموما والإسلام خاصة ليس حكرا على فئة دون أخرى كما هو الحال في الدين المسيحي، وما فعلته الكنيسة من سياسية حرمت فيها المنتسبين للمسيحية من التعامل المباشر، ليس فقط مع النصوص الدينية بل حتى مع الإله، جعلوا بينهم وبينه واسطة، فالإسلام دين الجماهير كما هو الحال عند شريعاتي.

فالدين والايديولوجيا احد مركبات البناء الحضاري في مشروع شريعاتي الإصلاحي، كون أن المفكر لا بد له من واجهة فكرية، يستطيع من خلالها أن تكون له طبقة اجتماعية متميزة، تؤمن بأفكاره وتتبنى

---

[1] علي شريعاتي، دين ضد دين، ص؟؟

[2] نفسه،...

[3] نفسه.

توجهاته وقراراته من اجل الانعتاق من كل التسويقات العالمية وأشكال الاستعمار الغير المباشر، التي تحاول استلاب الذات الإسلامية ، وأبعادها عن دائرة التأثير والتمكين، فقالب ما يكون الدين احد البواعث التي تساهم في تغيير النظم السياسية ، والمحفزة على ضمان تحولات ديمقراطية لصالح الشعوب المستعمرة، والتي تعاني من القهر والاستبداد، خاصة العقيدة التي تحث على الانقياد لن يكون إلا لله ولأوامره، كما الحال عند الدين الإسلامي.

ملخص القول:

أن شريعاتي في تصوره للإصلاح السياسي نابع من تصوره لمفهوم السياسة والتي تعني " فلسفة بالمعنى الواقعي للكلمة راقية وديناميةوهدف الدولة في فلسفة السياسة تغيير البني والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية وحتى بناء العقائد والأخلاق والثقافة والسنن الاجتماعية وبشكل عام إقامة القيم الاجتماعية على أساس رسالة ثورية وفكر تغييري وباتجاه تحقيق المثل والقيم والتطلعات المتكاملة وقيادة الجماهير باتجاه التعالي وبالنتيجة تحقيق الكمال لا السعادة، الحسن لا الراحة، الإصلاح لا الخدمة الرقي لا الرفاه الخير لا القوة الحقيقة لا أمر الواقع في كلمة واحدة بناء الجماهير لا إرادتهم وحفظهم.

الفصل الثالث

مكانة الإنسان الحضارية بين غارودي وعلي شريعاتي

المبحث الأول: مواطن الاتفاق بين غارودي وشريعاتي

المبحث الثاني: مواطن الاختلاف بين مشروع غارودي وشريعاتي

المبحث الثالث: استنتاج

تمهيد:

لقد عمل كل من غارودي وشريعاتي ضمن مشاريعهم الحضارية على إعادة بناء الذات الإنسانية واشتغلوا على تحرير إرادة الإنسان وتحديد أدواره الحضارية ومسؤولياته الإصلاحية إزاء المجتمعات والأمم بل بل ذهبوا إلى ابعد من ذلك لحلق رؤية تغير العالم وتوحده ،وبعد عرض كل فكر غارودي وشريعاتي قد يتبادر إلى أذهاننا التساؤلات التالية :ما هي أوجه الاتفاق التي يُجمع عليها كل فكر كل من غارودي وشريعاتي ؟وفيما تكمن مواطن الاختلاف ؟

المبحث الأول: مواطن الاتفاق بين غارودي وشريعاتي

أولا: الرؤية النقدية للغرب

بعد الموجة الحضارية الغربية التي اكتسحت العالم نظير التقدم والتطور الذي شهده الغرب في مختلف المجالات الفكرية والسياسية والاقتصادية، وكل مناحي الحياة، بالإضافة إلى مصاحبة كل ذلك تطور رهيب على مستوى التكنولوجيا والتقنية، هذا ما أدى بالبعض إلى الانبهار بالأشكال الحضارية للنموذج الغربي، ورحب بها جملة وتفصيلا، رافعا شعار بعض المصطلحات التي أفرزتها الحداثة، كالعولمة والعلمية والعقلانية والديمقراطية آملا الالتحاق بركب العصرنة.

وفي المقابل، نجد أن هناك العديد من الفلاسفة والمفكرين والمنشغلين على مشاريع حضارية، تريد أن ترتقي بالإنسان وتدخله إلى دائرة الفاعلية وصناعة التاريخ والمستقبل، قد فحصت جيدا مخلفات الحضارة الغربية، وتوصلت ووقفت على حجم الآثار السلبية، وفضاعة بعض التشوهات الإنسانية على الصعيد الفكري والواقعي، الذي تسببت فيه بشكل مباشر وغير مباشر المركزية الغربية، وكما يصطلح عليه البعض باسم الهيمنة الاستعمارية، كون أن هذه الأخيرة حاولت فرضت ثقافتها بالقوة والإكراه، والاستعمار المباشر وغير المباشر، وهذا ما دفع بالبعض إلى استلال سيوف النقد والتقويم، واتخاذ مواقف صريحة وجريئة اتجاه الغرب.

1- يتفق كل من غارودي وشريعتي في إطار العلاقة بين الأنا والآخر بضرورة الانفتاح الحضاري، ووجوب التقاء وحوار الحضارات، خاصة المتقدمة منها، إلا أن نظرتهم للغرب كانت متقاربة، فهم لم ينكروا الإيجابيات التي حققها على العديد من الأصعدة، إلا أنهما رفضا الأحادية القطبية التي تحكم العالم، ويترأسها الغرب، كونه سياسة

تحرم الحضارات اللاغربية من المشاركة بتجاربها في سياق التبادل الحضاري، كالحضارة العربية والآسيوية والإفريقية، رغم ما تمتاز به من أبعاد قيمية وأخلاقية ونجاحها في بعض المجالات الحياتية.

رغم أن الغرب عمل على إيجاد وخلق تبريرات منطقية وفكرية للسياسة التي ينتهجها في تعامله مع الشعوب الأخرى غير الغربية، إلا أن غار ودي وشريعاتي عملا على تشريح هذه السياسة وتعريتها من كل الأقنعة، وفضح الإيديولوجيا التي ترمي إليها، يقول غارودي: " **لقد آن الأوان أن نعي بأن نمط الغرب هذا الذي يقودنا إلى حياة لا هدف لا، وإلى موت يحاول تبرير نفسه بنموذج من الثقافة والإيديولوجيا، يحمل في ذاته بذور من الموت** "[1]؛ فالغرب يحاول إقناع العقول أنه في سبيل التقدم والتطور تستباح كل الوسائل والآليات، وهذا ما أوقع الغرب في فخ النمو من أجل النمو، أو نظرة الاستعلاء وممارسة التسلط، ناتجة عن سيطرتها للأسواق العالمية، وقوتها العسكرية والتقنية، وهذا ما أدى بها إلى فرض نموذجها الحضاري باعتباره النموذج الفريد، الذي يحوز على جانب كبير من الصحة، وفي الجهة المقابلة لذلك عملت واشتغلت على محو الحضارات الأخرى، لكي تنفرد بالتمركز العالمي بمفردها.

" **إن الامبريالية الاقتصادية اليوم، لا يمكنها أن تقول نحن جئنا لننهب أمولكم ولنقضي على دينكم ومعتقداتكم، فهم يقولون نحن جئنا من أجل إصلاح أرضكم وتعمير بلادكم، لهذا فإن الاستعمار شعار أوجدته الامبريالية، وهذا الشعار هو الإصلاح والتعمير والبناء وجلب الحضارة للمناطق المنحطة والمتخلفة** "[2]؛ فشريعاتي اصطلح على هذا النوع من الاستعمار غير المباشر باسم الاستحمار، كونه استغفال غربي للعقول العربية والإسلامية، ورفع شعار التبشير الحضاري، في حين أن حقيقة تعامل الغرب مع الشعوب المختلفة هي طمس الهوية، وسلب الشخصية الإسلامية، وجعل العرب والمسلمون مجرد أسواق استهلاكية ، لفائض منتجاتها الاقتصادية التي عانت التضخم في أسواقها.

---

[1] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص20.

[2] علي شريعاتي: تاريخ الحضارة، ص23.

2- ومن أوجه الاتفاق أيضا، أن النموذج الغربي وتصوره للحضارة يفتقر للبعد الإنساني، ويعاني من إفلاس أخلاقي رغم التطور الكبير الذي أحرزه، وتصحر من كل بعد ديني أو روحي، وهذا ما جعل بعض المفكرين بالقول بأن هذا النقص في الجانب المعنوي، هو الذي يجعل الحضارة الغربية تحمل بذور فنائها وحبل مشنقتها ، لأن المادية التي تكرسها في نهاية المطاف من يعتنق منطقها الفناء والاندثار.

لقد استطاعت الهيمنة الغربية من خلال نموذجها الثقافي أن تحول الإنان إلى سلعة أو شيء، وذلك من خلال استبداله بالآلة التي طغت على الحيز الإنساني، وتسببت في العديد من مشاكله وأزماته، ومن بينها وأخطرها أنها أصبحت بديل عنه في المصانع والمعامل، كونها تنتج أكثر وبدقة أكبر من اليد العاملة، وبالتالي انتشا ظاهرة البطالة، لتضفي بصورة غير مباشرة إلى ظهور الطبقية الاجتماعية، وعدم توزيع الثروات ووسائل الإنتاج بصورة عادلة، والآثار السلبية للمنطق الآلي الذي اكتسح المحيط البشري، لم تتوقف في الشق الاقتصادي فقط، بل تعدت إلى اخضاع كل شيء لتطور التقنية، من أجل السيطرة العالمية الشاملة، يقول شريعتي مؤكدا ذلك: " **لقد ألحقت الآلات اليوم ضعفا بقابليتنا وقدراتنا، بسبب اعتمادنا عليها، فلقد ألحقت الآلة الطابعة مثلا ضربة بقدرتنا على الخط الجميل والفن الجميل...، والآلة اليوم لم تكن تلحق أضرارا بهذه الجوانب فقط، بل ألحقت أضرارا بعواطفنا وأحاسيسنا الإنسانية** "[1].

فافتقار نموذج حضاري لقيم الإنسانية هو ضربة موجعة لشبكة العلاقات الاجتماعية، التي تعتبر شرطا للنهضة الحضارية، فالتصور الغربي كرس الفردانية واكتفاء الإنسان بذاته، والسبب في حدوث انفصام بين ما هو شخصي وما هو اجتماعي ينتج عن ذلك تمجيد للذات، والاقتناع بتفوقها، دون إبداء الحاجة لغيرها، وهذا ما يفكك الإنسان ويجعله عاجز عن التأثير والفاعلية والإسهام في بطالة حضارية، ومنه فهذا الذي يهدر قيمة التواصل مع الآخر بغض النظر عن عقيدته وتوجهه وانتمائه، هو " **مفهوم لا رحمة فيه للعلاقات الإنسانية قائم على فردانية لا تنتج لها لا تولد إلا مجتمعات تزاحم على الأسواق ومواجهات وعنف** "[2].

---

[1] علي شريعاتي: تاريخ الحضارة، ص ص430،431.

[2] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص؟؟

ويؤكد كل من شريعاتي وغارودي على مآلات وآثار غياب البعد الروحي، وفرض المنطق المادي الآلي، البعيد كل البعد عن القيم الأخلاقية خاصة المتمثلة منها بالاعتراف بالآخر والتواصل معه، إلى ظاهرة إنسانية قد تسحق الذات بفردانيته، وهي مشكلة الاغتراب؛ هذه الأخيرة التي يفقدها جراءها الفرد أهم بعد يملكه، وهو ما يعبر عن جوهره وهو البعد الإنساني، ليختزل في قالب يحمل فقط البعد المادي (الجسم)، " **فمن العجب أن تكون المادة هي الهم الأكبر في عصرنا الكبير، والإنسان لا شيء بالنسبة لها، لينتج لنا منطق عبيد ومعبود؛ أي يستعبد الإنسان من طرف المنطق المادي، ويغترب عن نفسه** "[1].

3- ونجد أن غارودي يتفق مع شريعاتي في طرحه لمسألة الحرية عند الغرب، هذه التي تعتبر من بين قيم الحداثة، التي لا طالما تغنى بها المنتسبون للغرب، وحتى المعتنقين له من العرب والمسلمين، من أجل الإغراء والترويج لتبني الفكر الحضاري ومنتجاته، فهي حرية مزيفة، والمتأمل فيها يجد أن هناك فجوة وانفصام بين ما هو نظري وما هو واقعي، **والدليل على ذلك انتشار سياسة الاستعمار، وتوسعه على المستوى العالمي خاصة في القرون المعاصرة، وكل يوم يمر تضعف فيه الحرية ويتزلزل موقعها، لأن غياب الحرية وصل لأعلى درجاته**[2]، و هذا ما يوقع الغرب في تناقض، كيف لحضارة تتغنى بالحرية ووجوب الديمقراطية أن تقوم هي ذاتها بسلب هذا الحق للشعوب الضعيفة، واستعمارها وممارسة سياسة الإكراه وقوة الفرض عليها، فهي جردتها من أغلى ما تملك، وفي الوقت ذاته ساهمت في انتكاسة إنسانية لاستخدامها لأبشع وسائل الاستعمار، وسياسة العنف غير مبرر أخلاقيا.

كما أن الحرية عند الغرب قد عرفت تملص من كل قيد أخلاقي وانفصال عن كل تشريع قيمي، " **والحرية عندهم أن تفعل ما تشاء، وتأكل ما تشاء، وتلبس ما تشاء، وتعتقد ما تشاء، وتنام مع من تشاء ، فإذا كان هذا هو الحال فما النتيجة ؟ النتيجة على هذا الأساس أن الإنسان مارس كل شيء تحت مسمى الحرية، وزادت معدلات الجريمة والقتل والسرقة والاختطاف... هذا كله، وأكثر موطنه البلاد الراعية والداعية للحرية** "[3]، و " **العائق الرئيسي اليوم لهذا المقصد هو تضليل الليبرالية الاقتصادية، التي**

---

[1] علي شريعاتي: الإسلام ومدارس الغرب، ص102.

[2] علي شريعاتي: تاريخ الحضارة، ص ص406،407.

[3] ناصر بن سعيد بن سيف السيف: أسسس الحرية في الفكر الغربي، ط1، 2018، ص14.

تزعم أنها متطابقة مع الحرية الإنسانية، في حين أنها حرية الأغنى و الأقوى في افتراس الأفقر والأضعف "[1].

4- أما عن منظور كل من شريعاتي وغارودي بالنسبة لمسألة الفلسفة الغربية وبالتحديد الفلسفة الوجودية ، فإنهما بأهميتها في تحرير الإرادة الإنسانية، وأنها نوع من الوعي الذي أعاد الاعتبار إلى الذات وإعادة تمركزها كأولى الاهتمامات التي وجب الاهتمام بها في طرحنا الفلسفي والفكري، هي فلسفة حركت الإرادة وساهمت في انعتاقها من الجبرية والمادية التي طغت على الفكر الغربي آنذاك، وبالتالي أعلت من صوت الذاتية في ظل الاختزال التي شهدته الفلسفات السابقة عنها.

لذلك ينبه شريعاتي إلى ضرورة أن يوجه الإنسان نفسه عن تلك الفلسفة المصيرة والحماقة التي عمت الوجود، بحث أن كل الحقائق الموجودة أصبحت جزءا من تلك الحماقة المطلقة، والفلسفات المتمثلة بفلسفة كامو وسارتر التي تعني العبث والحماقة والضياع، وفلسفة سارتر التي لا تحترم الخلق واسماء، وتقول لا يوجد شعور في كل الوجود، وأن جميع الناس خلقوا بدون معنى، لذا فعلى الإنسان أن يفكر هو، وأن يجد لنفسه الطريق الذي ينقذه ويسير عليه[2]؛ فشريعاتي يراها بمثابة فلسفة تاهت في قضايا الوجود، حتى وصل بها الحال إلى طرح قضايا حمقاء لا ترقى للطرح الفلسفي، كما أنه يعيب على فلسفة الوجود، الفلسفة الملحدة التي عند سارتر تلك التي جعلت بداية الإنسان ونهايته عدم، وهي مدعاة لليأس، وطرد لكل المعاني التي قد يعيش الإنسان في كنفها.

ما يجسد الوجودية إقرارها بأن " **الوجود سابق عن الماهية** "[3]، لكن قولها بأن الإنسان لم تتدخل أي قوة في خلقه وفي خلق وجوده هذا الإلحاد الذي ينافي الفطرة السوية للإنسان، كونه كائن متدين بالفطرة، ويحتاج إلى خالقه، فهو بمفرده ضعيف في هذا الكون ومنطقه مشجع على روح العبثية في الحياة، كون الإنسان يجهل بداية

---

[1] روجي غارودي: نحو حرب دينية، ص20.

[2] علي شريعاتي: تاريخ الحضارة، ص ص426،427.

[3] علي حنفي محمود: قراءة نقدية في وجودية سارتر، المكتبة القومية الحديثة، طنطاء، دط، 1996، ص32.

خلقه ومصيره، فالدين والإيمان بوجود خالق يجيب على الكثير من الأسئلة والإشكالات التي طرحها الإنسان وعجز العلم في الإجابة عنها.

ثانيا: السمة للإنسانية للحضارة

لقد امتاز كل من غارودي وشريعاتي بخاصية الانفتاح على الحضارات والاستفادة من تجاربها، لكن هذا الانفتاح يكون بوعي، ما يتواءم مع الخاصية الإنسانية، ورفض وطرح ما يتعارض ويتنافى معها، فبعد اتفاقهما على الموقف النقدي من الخاصية المادية التي طغت على الحضارة الغربية، حاولا تدارك ذلك في مشاريعهم الحضارية، لذلك اعتبرا خاصية البعد الإنساني ضرورية في تشييد أي بناء حضاري.

إن الغاية من كل بعث حضاري أو نهضة شاملة في مختلف مجالات الحياة، كالمجال الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي هي خدمة الإنسان وتحقيق سعادته وتوازنه، كما يمكن إضافة هدف أسمى هو تحرير رادته من كل أشكال الاستعباد والخضوع والنكوص لأي كان، سواء كان الأمر شخصا أو دولة أو مادة، فالإنسانية التي قام عليها مشروع كل من غارودي وشريعاتي إنما جاءت لتحقق إنسانية الإنسان، المتمثلة في جوهره وهو البعد الروحي أو المعنوي، أو ما يصطلح عليه بالجانب القيمي من الحضارة، فما دام الإنسان هو صانع الحضارة، فلا بد أن تكون نتائجه تخدمه وتخدم روحه، وتحترم إنسانيته التي يتفرد بها عن بقية المخلوقات.

لقد أجمع كل من غارودي وشريعاتي على أن شعار النمو من أجل النمو الذي رفعه الغرب اليوم، هو أول سلاح يفتك بالإنسانية ويضرب بأركانها، كونه شعار يراعي المصلحة المادية إن لم نقل الشخصية على حساب الإنسان، لذلك وجب العمل **على تحقيق عالم آخر ينمو بالوجه الإنساني كما ينمو بالوجه المادي**[1]، بحكم أن العالم الذي رسمه النموذج الغربي قد ساهم في تأزيم الإنسان وإحداث شرخ وتصدع خطير في مسألة التنازل عن البعد الروحي للذات، مما أدى إلى التسبب في خواء عاطفي ووجداني، كاد أن يساوي بينه وبين الآلة في كل شيء، لذلك يؤكد المسيري على أن " **هناك جانب آخر للطبيعة الإنسانية متجاوزا للطبيعة المادية وغير خاضع لقوانينها، ومقصورا على عالم الإنسان ومرتبط بإنسانيته، وهو يعبر عن نفسه من خلال مظاهر**

[1] روجي غارودي: في سبيل حوار الحضارات، ص10.

عديدة، من بينها نشاط الإنسان الحضاري، الاجتماع الإنساني، الحس الخلقي، الحس الجمالي، الحس الديني "[1]؛ هذا الجانب الروحي الذي ينطوي على الأنشطة الفكرية ويهتم بالجانب العلاقاتي

بين البشر، ويعنى بالأخلاق والجماليات والبعد الديني، كلها تمثل وتترجم جوهر وحقيقة الذات الإنسانية.

يتفق كل من شريعاتي وغارودي كذلك في أن أي حضارة ترتكز على عمودان، أو ترفرف من خلال جناحان؛ أحدهما مادي والآخر معنوي، فلا أحد ينكر على الحضارة الغربية أنها خطت خطوة عملاقة فيما يخص البعد المادي، إلا أن العائق الذي يعترض طريقها وأصبح يهدد بفنائها هو تقصيرها وتفريطها في القيم والأخلاق والمعنى من كل نشاط سياسي أو اقتصادي أو فكري، " **والحقيقة أن الحضارة تسعى على رجلين هما: التقنيات والقيم، ولا يمكنها أن تسعى على رجل واحدة أو تترك لرجل أن تسبق الأخرى مسافة كبيرة، بيد أن هذا الخلل بدأ يظهر واضحا في الحضارة الأوربية المعاصرة، حيث بات الإنسان يتوجس خيفة من تداعيها، إذا هي استمرت في تقدمها، معتمدة على التقنيات بالدرجة الأولى، فإذا كان شرط قيام الحضارة واستمرارها هما القيم والتقنية، فإن جوهرها هو وضع التقنية في خدمة تحقيق القيم، فن دون ذلك تنتهي حضارة الإنسان إلى تدمير ذاتها بذاتها، والحق أن التقنية من دون القيم عمياء، والقيم من دون التقنية عرجاء** "[2].

ومنه فجوهر الحضارة هو ذلك التوازن الذي يضعه الإنسان وهو بدوره يحفظ له حضارته من الانهيار والاندثار، التوازن بين التقنية والقيم، فليس عيبا أن يتقدم المرء في مجال التكنولوجيا والآلة، بل على العكس، أحد مظاهر التقدم وأحد ترجمات التحضر، بل ما ينقص من شأن الحضارة الإنسانية هو تصحرها من جانب القيم، فجميل أن تجمع بين كليهما، والأجمل أن تسخر التقنية وتجعلها تحت خدمة القيم.

من بين مواطن الاتفاق أيضا بين فك شريعتي وغارودي، هو القول أن الإنسانية تقوم على فكرة لإخاء الإنساني والتعايش السلمي وقبول الآخر ونبذ الصراع والتعالي وكل أ\كال الاستبداد والاستعمار والعنصرية،

---

[1] عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص12.

[2] تيسير شيخ الأرض: إرادة الحضارة، دار فاضل، دمشق، دط، 1991، ص ص79،80.

فكلاهما نبذ الرأسمالية والامبريالية والاستعمار الذي طغى في القرن العشرين، لا لشيء سوى أنهم ضد الإنسانية، بل يضعون الإنسان في مصف البهيمية التي يحكمها نظام الغاب، الغاب يأكل الضعيف، والغني يستولي على الفقير باسم راية الحضارة، لذلك نجد غارودي في كتابه مشروع الأمل قد أزال كل مساحيق التجميل عن السياسة الغربية، قال: " **إننا نريد أن يكون لحياتنا معنى، ولتاريخنا هدف، نريد ان يشارك كل منا في اكتشاف ذلك المعنى وتحقيق هذا الهد، نريد أن يضع الجمع تاريخ الجميع، وأن لا يفرضه بعض الأفراد، وليس من الممكن تعديل النظام بإصلاحات جزئية، بل يجب أن تغير مبادئه وبناه تغيرا جذرا** "[1] ؛ فهو يرفض أن يكون الغرب هو من يملي لنا كيف نعيش، وأن ينفرد وحده بصناعة التاريخ، لذا وجب تغيير النظام الذي ينتهجه الغرب في تعامله مع الشعوب جذريا، " **ولا يمكن للاقتصاد ولا السياسة أن يكون لهما وجه إنساني إلا إذا كان لهمه وجه مكشوف غير مقنع** "[2].

فمن " **بين المبادئ الأساسية للعالم الإنساني، هي مبادئ النهضة المتمثلة في الرأسمالية والاستعمار، ونزعة إنسانية تحت على الانغلاق على الذات، كما أن القضاء على الرأسمالية يعني محاربة اقتصاد السوق الذي يرتكز على ربح بعض الأفراد واستغلال الجماعات، وسوء التعامل مع الطبيعة، والقضاء على جميع مخلفات الاستعمار** "[3].

ولكي تضخ روح الإنسانية على أي حضارة سيطرت عليها الهيمنة المادية، وجب إعادة صنع شبكة **علاقات اجتماعية، وأن نعمل على خلق مبادرات يتم خلالها صياغة الأهداف الإنسانية لكل نشاط اجتماعي على جميع المستويات، كالاقتصاد والثقافة والسياسة، هذه المبادرة تأخذ على عاتقها مسؤولية التنظيم والتسيير، لكي لا تحيد هذه المجالات عن الصياغ الإنساني الذي حدد لها** "[4].

فالاقتصاد الذي حاد عن الإنسانية عندما رفع شار النمو من أجل النمو، وجب إعادة النظر في

---

[1] روجي غارودي: مشروع الأمل، ص ص137،138.

[2] نفسه، ص62.

[3] نفسه، ص138.

[4] نفسه، ص ص138،139.

منهجيته وسياسته، ليعطي للإنسان قدسيته، بالإضافة على النظام السياسي الذي من بين ما ينبغي أن يكون عليه،أن يساهم في إرساء معالم الديمقراطية الحقيقية والعدالة الاجتماعية بين كل البشر، هكذا من شأنها أن تحافظ على الأطر التي رسمت لها، وأن لا تحيد عن صف العد الإنساني، **كما هو الحال عند الإنسان الغربي الذي أنتجته حضارته بلا هدف، كالآلة في إنتاجه واستهلاكه، وهدفه الوحيد أن ينتج أكثر فأكثر،ويجعل من النمو المقياس الوحيد والفارق بين الدول المتحضرة والمتأخرة** " [1]، في حين " **أن الإنسان بمعنى تلك الحقيقة السامية التي علينا نحن البشر أن نسعى للوصول إليها، نسعى لنجسدها، فهو عبارة عن المميزات السامية التي هي بمثابة المميزات النموذجية التي يجب أن نحصل عليها، بناءا على هذا الهدف فإن هدف البشر أن يكون إنسانا** "[2]؛ والحضارة الإنسانية لن تحقق إنسانية الإنسان إلا إذا حررته من هوس الإنتاج مثله مثل الآلة، وجعلت من عقائده أن يكون إنسانا بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

ويصل شريعاتي الذي أبحر في موضوع النباهة الإنسانية، بالإضافة إلى النباهة الاجتماعية التي تربطهما صلة وثيقة، إلى أن كل ما يصرف فعلي وممارستي على أن أكون إنسانا مهما كان المسمى وتحت وطأة أي عذر يعتبر عدو للذات الإنسانية، وعدو للإنسانية، كذلك الحال بالنسبة للملهيات التي تشتت اهتمامي على تحمل المسؤولية الأخلاقية إزاء مجتمعي وبني جنسي، والتي تفصلني عن دائرة التأثير، ما هي إلا محاولة لتأخير الركب الحضاري للأمم، **فالنباهة نباهتان؛ نباهة نفسية ونباهة اجتماعية، وعدوي أنا كإنسان وعدوي نحن كمجتمع إنساني أو عقائدي أو شعبي، أو كطبقة لا فرق، كان العدو كشخص أو أداة كالآلة مثلا، قد يسلبوا منا النباهتين النفسية والاجتماعية، حتى لو أبدلونا بهما جهلا أو فقرا أو ذا، بل حتى لو كان البديل معرفة على كل فهو عدو هذا العدو، إذا أعطانا معرفة فلسفية أو فنية او علمية، واستلب منا عوضا عنها النباهة النفسية وأيضا الاجتماعية، أو عمل على تضعيفهما فينا، فهو عدونا نحن وعدوي أنا** [3]؛ فكل ما يسلب من الإنسانية يعتبر عدوا لأنه اغتصب حقيقة جوهرية وبعدا في الإنسان لا يمكن تجاوزه تحت أي مبررات فكرية أو منطقية، فالإنسان تتحقق ذاته بالبعد الروحي، وترجمته للقيم الأخلاقية في تفاعله مع بيئته ومجتمعه، ولأنه صانع

---

[1] أنور الجندي: حضارة الإسلام تشرق من جديد، دار الانصار، القاهرة، دط، دت، ص14.

[2] علي شريعاتي: الإنسان والإسلام، ص151.

[3] علي شريعاتي: النباهة والاستحمار، ص91.

البناء الحضاري وجب عليه إقامة حضارة تكرم إنسانيته فتحرره لا تستعبده، تبث فيه الأنس ولا تذبحه بسكين الاغتراب، فسياج المشاريع الإصلاحية والنهضوية و مدى تمسك الفرد بعقيدته وتاريخه وقيمه، وبداية الانهيار الأخلاقي والاجتماعي إنما هي مبشرات بالانهيار الكلي للحضارة وأفولها الذي يعدم وجودها.

ولقد أشاد كل من شريعتي وغارودي إلى الحضارة الإسلامية وبعض الحضارات الغربية التي وجب التعميق في دراستها لإنتاج النموذج المتوازن للبناء الحضاري بشقيه المادي والمعنوي، فهي من بين الحضارات التي لم تبخل على الإنسان بإنسانيته، خاصة " **فلسفة الإنسان في الإسلام، فهي ترى أن الإسلام موجود ذو بعدين، ويجب أن يكون له دين ذو بعدين أيضا، حتى يتمكن من تغذية كلا البعدين المتضادين، تغذية المجتمع الإنساني وروح الإنسان، حتى يتمكن الإنسان من العيش بشكل متوازن ومتعادل، هذا هو دين الإسلام** "[1]؛ فالدين الإسلامي يصور الإنسان ببعديه المادي والمعنوي، كما أن **الدين** يعمل على تغذية كلا الجانبين، فلا فاعلية بدون إيمان، ولا زهد من غير عمل، يشكل صورة متوازنة عن الشخصية الإسلامية.

كما أن غارودي يثني على الحضارة الإسلامية وعلى غيرها من الحضارات الغربية التي تحمل البعد الديني، الذي بدوره يغذي الجانب الروحي في الإنسان، ويشهد بأنها تجربة يمكن الإقتداء بها، فيقول: " **إنها شهادة على تجربة كونية تشمل الكرة الأرضية بأسرها، شهادة فرح بالمعنى الإنساني التي حملته إلى ثقافات لاغربية، وأناس من آسيا ومن الأصقاع الإسلامية، ومن إفريقيا ومن أمريكا اللاتينية، إنها شهادة تتناول ما بحثت عنه، وما اعتقد أني اكتشفته في كل ثقافة من هذه الثقافات، لدى كل إنسان من هؤلاء الناس شهادة بالطابع الإلهي** "[2].

---

[1] علي شريعاتي: الإنسان والإسلام، ص29.

[2] روجي غارودي: في سبيل حوار الحضارات، ص11.

المبحث الثاني: مواطن الاختلاف بين مشروع غارودي وشريعاتي

أولا: الأبعاد الحضارية لمشروع غارودي وشريعاتي

1- العالمية عند غارودي:

إن تصور غارودي للحضارة بعد إيمانه العميق بضرورة الأنسنة للمشاريع الحضارية يأخذ بعدا عالميا

، متجاوزا بذلك كل أنماط الإيديولوجيا، وكل أشكال القوميات العرقية والدينية والفكرية، ليرسي دعائم مجتمع إنساني عالمي تشارك فيه كل الشعوب والطواف والدول والأمم في مختلف مجالات الحياة، كالمجال الفكري والسياسي والاقتصادي.

فبعد أن نقد غارودي المركزية الغربية وهيمنتها على العالم، أقر بأن هناك فضل كبير في الساحة الحضارية من الحضارات اللاغربية، ومنه جاءت فكرة حوار الحضارات، التي تدعو إلى ضرورة التواصل بين الشعوب المختلفة، للقضاء على الانغلاق والتوقع والجمود والانعزالية من جهة، ومن جهة أخرى التخلص من كل أشكال الحروب والاستعمار والتعصبات، وبشكل أخص التخلص من النظرة الاستلائية للغرب التي يكنها لبقية الأمم، ويقول غارودي في ذلك : " **إن ادعاء كون الحضارة الغربية اليوم هي الحضارة الإنسانية العالمية المتحكمة في العالم، ينم عن نظرة استعلائية مخالفة لحقائق التاريخ والواقع، طلك أن تاريخ الكون لم يجسد في تاريخ الغرب فقط أوربا وأمريكا، ... كما الحضارات الأخرى من أدورا وتأثيرات أساسية لا تنكر في الساحة العالمية، وفي الحياة الإنسانية المعاصرة** "[1].

لذلك نجد أن غارودي يميز بين العالمية والعولمة فيقول: " **ليست وحدة العالم هي الوحدة الامبريالية الناجمة عن عولمة منافقة، ولكنها الوحدة المتناسقة لكل الشعوب وكل المجتمعات، وتلك الوحدة هي البنيان الذي يمكن أن يكون وحده بنيان الله، ويصبح هدفنا الأول كبشر ذوي عقيدة أن نكون نحن بناة** "[2].

---

[1] أحمد جاسم ابراهيم الشمري: مشروع حوار الحضارات أبعاده ومستقبله، مجلة بابل للدراسات الإنسانية، العدد4، دت، 2016.

[2] روجي غارودي: الإرهاب الغربي، ج1، تر داني الطوخي وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2004، ص19.

بالإضافة إلى ذلك يفصل غارودي في مسألة التداخل بين العالمية التي يريدها بعدا حضاريا لمشروعه الإنساني، وبين كلمة النظام العالمي الجديد، والمقصود الذي يرمي إليه من خلال تأسيسه كون أن " **النظام العالمي الجديد الذي يتحدث عنه في وسائل الإعلام الإعلامية يعني حضارة واحدة مسيطرة مانعة لما سواها ، أما النظام العالمي المنشود فهو يقوم بالفعل على التعايش بين البشر** "[1]؛ فهذا التمييز والتفريق لنوضح معالم النظام العالمي الذي ينشده غارودي، فهو نظام هدفه القضاء على كل أشكال الصراع والتحكم والسيطرة، بل وكل ملامح العنف والتمزق والصدام، ليطرح حل الحوار الحضاري بهدف التعايش السلمي ، ويلخص غارودي ذلك في قوله: " **قد لا نحتاج إلى دليل لنثبت أن البشرية مرت بفترات من الصراع المتواصل بين الحضارات، فالحروب المتعاقبة والدمار الناتج عنها يكفي دليلا واضحا على وجود الصراع بين الحضارات، وبالمقابل فالحوار الحضاري والتواصل بالعلاقات الثقافية والسياسية، كان له دور كبير في التعايش السلمي بين كثير من الحضارات، والأصل في علاقات الشعوب والأمم هو التعارف والتحاور** "[2]؛ الانتحار الكوني الذي قد يؤول إليه العالم هو بسبب التصارع والتناحر، آن الأوان لإعادة تشكيل مجتمع ذو بعد عالمي، يسوده الأمن والاستقرار والسلام لكل الشعوب والأمم، **بما في ذلك الشعوب المضطهدة حاليا ، فجزء كبير من الاضطهاد يعود سببه الرئيسي إلى الانقسامات، نتيجة الحروب والخلافات التي تشنها وتدعمها سادة العالم اليوم، فالمهمة الأولى هي وضع حد لهذا التمزق عن طريق التفاوض السلمي، يشكل كل هذه الصراعات التي خدمت القاهرين** "[3]؛ ففي البعد العالمي للحضارة حتى القضايا والمشاكل التي تعاني منها الأمم على الشكل المحلي، تصبح من مهام العالم الموحد، الذي تجمعه قضايا مشتركة ومصير واحد وموحد، تتساوى فيه القوى بمعنى يختفي نظام الغاب الذي يجسد القوي يأكل الضعيف، فالمبدأ العالمي يتكامل مع المبدأ الإنساني، بحيث " **هذا المبدأ يفضي إلى تساوى البشر دون استثناء** "[4].

من بين البديهيات التي يؤسس عليها النظام العالمي الغارودي هو النظرة المتساوية لكل الأفراد والشعوب والأمم، كون هذه النظرة هي من تشرع الحوار وتضفي مشروعيته، ففيه تتساوى لرتب وتتوحد المقامات من أجل

---

[1] محمد جعرير: أسس حوار الحضارات في الإسلام، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد14، جانفي 2018، ص17.

[2] نفسه، ص17.

[3] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص117.

[4] نفسه، 90.

الدخول في دائرة حضارية مصيرها مشترك، ويوجد ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا.

ففكرة العالمية عند غارودي انبثقت أساسا من فكرة حوار الحضارات، هذه الأخير الذي له العديد

من الدواعي التي سبق وأن أشرنا إليه، فالحوار يضمن التلاقي والتلاقح بين المشاريع الحضارية، لتخرجها من بوتقة الانعزالية وانحصارها على الذات إلى فسحة إنسانية، لتستفيد منها كل ذات أرادت صناعة مستقبل يليق بمقام الإنسانية ويحفظ كرامتها، ومن ثم يوفر السعادة والراحة المعنوية والمادية التي طالما لهث الفرد وراءها دافع أي ثمن في سبيل تحقيقها، " **وبهذا الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروع كوني، ينسق مع اختراع المستقبل، وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع، إن التجارب الحالية في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، تجارب غاندي وتجربة الثورة الثقافية الصينية، تجارب نيريري في الجماعية في إفريقيا ، مثل تجارب لاهوتي في التحرر، تتيح لنا أن نرسم من اليوم الخطوة الأولى لهذا المشروع الكوني في القرن الواحد والعشرين، مشروع الأمل** "[1]؛ فغارودي لم يستثن في مشروعه الكوني أي ثقافة مكن الثقافات العالمية، ولا أي إيديولوجيات قومية، ولا حتى أي ديانة من الديانات الشعبوية، إنه يرمي إلى تأسيس عالمية تتجاوز الأجناس والأعراق والانتماءات، تستفيد من كل التجارب والخبرات الإنسانية في مختلف الميادين والمجالات، وبهذا يكون قد خطى أول خطوة وأرسى أول الدعائم لفكرة المجتمع العالمي الكوني، ويأخذ غارودي هذه المسؤولية على عاتقه ويؤكد أن هذا الأمر ليس مجرد شعار أو تداعيا طوباويا، لذلك قال: " **إن الأمر ليس أمر اصطناع طوباوية لا أساس لها من الواقع، بل أمر وعي ما تصبوا غليه آلاف المجتمعات المتشاركة والطوائف على اختلاف أنماطها المتنوعة، وهي تسعى كل منها لمصلحتها إلى أن تغير الحياة، إن الأمر هو أن نعف القاسم المشترك بين تطلعاتها، وأن نفتح آفاق إمكانات جديدة** "[2]؛ وهو رد منه على كل من انتقده في هذه الفكرة العالمية، وبأنها ضرب من ضروب المثالية، وقد يستحيل تجسيدها على أرض الواقع لا لشيء سوى أن العالم ينقسم على العديد من الطوائف والعديد من الديانات، والكثير من الأطياف الفكرية والتوجهات الغربية، كيف يمكن

[1] روجي غارودي: في سبيل حوار الحضارات، ص10.

[2] نفسه، ص10.

لعالم واحد أن يحتويه لمختلف تناقضاته، فيرشد غارودي منتقديه إلى حل جوهري؛ وهو أن نبحث عن القاسم المشترك الذي يجمعنا أكثر مما يفرقنا، ويوحد مصيرنا ولا يشتت تكتلنا ، كما أنه يضمن الحفاظ على الهوية الثقافية لكل المجموعات السكانية.

إنه مشروع يتسم بنظرة ثاقبة للمستقبل، نظرة تخدم الإنسانية بالدرجة الأولى، يصف غارودي مشروعه قائلا: " **يتسم مشروع حوار الحضارات بنزعته المستقبلية من خلال توظيفه لبناء مستقبل أفضل للإنسان، إذ هو أكبر من كونه مشروعا آنيا، بل هو رؤية لمستقبل إنساني أفضل، ومن هنا تبلورت فلسفة الحوار الحضاري، والمتمثلة في إيجاد أرضية مشتركة للقاء والتفاهم والتكامل بين المجموعات السكانية ذات الهوية الثقافية المختلفة** "[1]؛ فالأرضية العالمية تحفظ الهوية الثقافية ولا تطمس التنوع والاختلاف الحضاري، بل تهدف إلى التشاركية بدل سياسة الإملاء التي كانت تحكم العالم.

" **وهكذا يساهم كل شعب من خلال ثقافته الأصلية في أنسنة الإنسان ونموه وتقدمه الحقيقي في الإنسانية** "[2].

ومن بين ضمانات نجاح إقامة حضارة عالمية وإنسانية **مشتركة قوامها النهوض بالإنسان والارتقاء بذاته ومن ضلالتها ووحشيتها روحيا وأخلاقيا، لا بد لكل الحضارات المعاصرة أن تلتزم بالشروط الأساسية في مشاركتها' من بينها حفظ الإنسان من دمار الجهل ونيران الحروب، وتوفير عالم يسوده التعايش والسلام والمساواة والكرامة والحرية، ومنه فالمشروع العالمي الناجح هو الذي يتقي بالبشرية من عنف الهيمنة إلى عنفوان التعايش السلمي**" [3].

---

[1] أحمد جاسم إبراهيم الشمري: مشروع حوار الحضارات أبعاده ومستقبله، ص119.

[2] روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ص182.

[3] أحمد جاسم إبراهيم الشمري، مشروع الحوار الحضاري أبعاده ومستقبله، ص123.

ويبدو أن هناك تداخل كبير بين الحضارة الإنسانية والسمة العالمية، بحيث أصبحت الإنسانية صفة لصيقة بكل مشروع حضاري ينشد البعد العالم في تأثيره وإفرازاته، لذلك وجب علينا إبراز الفروقات التي تفصل بين البعدين، كل حضارة تتغنى بالإنسانية هي حضارة عالمية، والعكس ليس صحيح، لذلك " **لا بد لنا من أن نتخذ الاحتياط اللازم، لئلا نخلط بين الحضارة العالمية والحضارة الإنسانية... فالحضارة العالمية هي التي**

تنتشر في مناطق المعمورة كلها، أو جلها، ولكن من دون أن تأخذ سيادة القيم مبدأ لها كالحضارة الأوربية المعاصرة، في حين أن الحضارة الإنسانية هي الحضارة العالمية ذاتها، وقد سادها مبدأ القيم في علاقات الناس ببعضهم البعض، أفراد وجماعات وأمم، كالحضارة التي نتطلع لقيامها في المستقبل "[1].

إذن فالحضارة التي تكتسح العالم وتأخذ من القيم أحد مبادئها هي حضارة إنسانية عالمية بامتياز، أما الحضارة التي تتربع على كل شبر من الكرة الأرضية دون إعطاء اعتبار لمبدأ قيمي، فالإنسانية لن تكون ضمن سماتها بل من دواعي الحضارة العالمية هو استعادة إنسانية الإنسان، وإعادة الاعتبار للأخلاق والقيم الإنسانية.

لقد استل غارودي البعد العالمي للحضارة من الإسلام، الذي يراه أنه أساس كل بعث حضاري ومرتكز كل نهضة إنسانية، فكونه دين عالمي احتضن كل الثقافات، ووحد بين الأعراق والأجناس تحت راية التوحيد، وفي الآن ذاته قد أعلى من قيمة الإنسان، بل هو مقدس باعتباره خليفة الله في أرضه، ومن بين الطاعات التعبدية إعمار الأرض وخدمة الخلق، كما أنه يدعو على التعايش السلمي بين الأديان باختلافها وتنوعها.

" **إن الإسلام يملك مفهوم الحضارة الوحيد الذي تطلع إليه الدنيا كلها، وهو القادر على أن ينقل الناس من البشرية الضالة إلى الإنسانية الراشدة، وذلك هو التوحيد والرحمة والعدل والإخاء الإنساني والتحرر من الوثنية في العقيدة، وعبادة القيصر، والمادة في المجتمع** "[2]، تعتبر الحضارة نموذجا كونيا، تستقي رسالتها من دين عظيم هو الإسلام، هذا الأخير الذي استطاع أن يزاوج بين العالمية والإنسانية التي قل ما تجتمع في رؤية الحضارات السابقة عنها، أما المتأمل في تاريخ الحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها، يجد أنها قد اتسعت لتستوعب كل الشعوب باختلاف ألسنتهم وألوانهم ودياناتهم، يقول طه جابر العلواني: " **في الماضي قد**

[1] تيسير شيخ الأرض: إرادة الحضارة، ص109.

[2] أنور الجندي: حضارة الإسلام تشرق من جديد، ص14.

شهدت الدنيا... في إطار عالمية الإسلام الأولى التي استوعب حوض الحضارات القديمة في العالم الوسيط، وضمنت شعوبها على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وعروقهم وأديانهم، حين أخرج الله العربي للناس كافة حاملا القرآن المجيد، يخرج به من يشاء من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومكن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، فأدى العربي هذه المهمة التاريخية دون استعلاء ذاتي ومن غير أنانية فردية أو قبلية أو قومية، لأن القرآن قد أخرج العربي من مطلقة الفردي ليلبي الجماعة المؤلفة "[1].

ثانيا: القومية عند شريعاتي:

إذا كان البعد النظري والمدى التصوري لغارودي، لمشروعه الحضاري يأخذ بعدا عالميا، يشمل أصقاع الأرض ومختلف شعوبها ليوحدها وينظم صفوفها، بدعوة تشاركية لصناعة مجتمع عالمي ينبض الإنسانية، ويعلي من شأن ذاتها، ويوحد المصالح الاقتصادية والسياسية والثقافية، فإن شريعتي ومن خلال التأمل في مشروعه النهضوي ودواعي قيامه نجده، يختلف في الرؤية ويخالف غارودي في بعض الأفكار، ولا سيما فكرة العالمية، كونه في المرحلة التي يعيشها العربي والإسلامي لازالت بعيدة عن هذا الطموح المغري، كونه هدف كل إنسان غيور على إنسانيته وكل مسلم يؤمن بعالمية دينه وإسلامه ورسالته، لذلك يتبنى البعد القومي للحضارة.

أما عن موقف شريعتي من العالمية والبعد الكوني للحضارة، فأنه لا ينكره ولا يناقضه إن قلنا أنه يؤمن بالقومية، بل يتبناها، لكن وفق مراحل اشترط مرورها على كل من يطمح إلى الوصول إليها، كما سنبين ونوضح ذلك في اللاحق من عرضنا.

بعد أن سبق وتعرفنا عن الدوافع الفكرية لمشروع شريعاتي الحضاري، يتضح لنا أنها كانت ممهدة لهذا الموقف الذي ينص على وجوب أن تتبنى الأمم السائرة في طريق التطور، والساعية لتحقيق النهضة البعد القومي لأفكارها، وأن تكون منطلقاتها والأرضية التي تشتغل عليها نابعة من وضعها الفكري والاقتصادي والسياسي ،

[1] طه جابر العلواني: الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الهادي، بيروت، ط1، 2003، ص9.

وعليها أن تعرف وزنها بتحديد نقاط قوتها، فتعمل على تعزيزها، وتتعرف على نقاط ضعفها فتشتغل على تقويتها، ولأن شريعاتي محسوب من الأصولية المنفتحة فإن قوميته تختلف عن القومية ذات الطابع السلبي التي

تعرف، لتكون هي بذاتها ممهدة لفكرة العالمية التي سحرت العديد من عقول المثقفين والحضاريين وأصحاب المشاريع الصلاحية والتغيرية.

والقومية عند شريعاتي تعني تبني الأمة لحكم مستند على استقلالها وأصالتها وحرية شعبها، في تحيد مصيره وفي اختيار كيفية حياته السياسية وشكله الاقتصادي، في ضوء الساحة العالمية التي يكتسحها الاستبداد والاستعباد، لتكون القومية سياج واقي في مواجهة الامبريالية المسيحية والبابوية الكاثوليكية[1]، فالقومية إذن هي نتيجة لفعل حضاري ينهض بالأمة، فيها يتحقق الاستقلال وينعم بالحرية في اختيار نمط الحياة التي يريد أن يعيشها، بعيدا عن الإملاءات الغربية والهيمنات الاستعمارية، لقد كشف زيفها رغم الثغرات المغرية التي كانت ترفعها، والإغراءات المسيلة للعاب التي تغنت بها.

ويبدو كذلك أن القومية فكرة تبناها شريعاتي ومن هم على شاكلته، ليس كخيار بل كرد فعل عما يجري في الساحة الفكرية والواقعية، لتكون قرارا حتميا لا خيارا إراديا، وهذا ما دفع شريعاتي ليقول بملئ فيه : " **القومية وهي مدرسة فكرية وتقدمية، وأنا شخصيا أؤمن بها إيمانا راسخا** "[2].

ولعل ما جعل شريعاتي يؤمن بها إيمانا راسخا هو وقوفه على بوادر ظهورها وموضع بذورها، وما حققته من نتائج إيجابية في بعدها الحضاري، يقول شريعاتي في كتابه العودة إلى الذات مبينا سبب ومبرر تبنيه للبعد القومي: " **كانت القومية حركة تقدمية مضادة للامبريالية وكان شعارها هو الاستقلال السياسي والقومي والحركة الدينية في مواجهة سيطرة الكنية الكاثوليكية، وإحياء اللغة الأم في التعليم والتربية والأعمال العلمية وحتى الدينية، وترجمة الإنجيل إلى اللغات القومية في مواجهة ادعاء الكنيسة أن اللغة اللاتينية هي لغة الله، وأن الإنجيل هو كتاب الله، وذلك حتى يخرج الإنجيل من احتكار رجال الدين...ومن هنا كانت القومية في ذلك العصر سلاحا ضد الامبريالية وضد الاستبداد، وحركة تقدمية وثقافية** "[3].

---

[1] علي شريعاتي: العودة إلى الذات، ص346.

[2] علي شريعاتي: مسؤولية المثقف، ص79.

[3] علي شريعاتي: العودة إلى الذات، ص346.

اتخذ شريعاتي من القومية بعدا لمشروعه الحضاري، نظرا لتشابه الأوضاع التي عاشها والظروف التي شهدها مع الأجواء الفكرية السائدة في العصور الوسطى، التي عانت فيها الشعوب الغربية من سيطرة الكنيسة على الدين بشكل عام وباحتكارها للكتاب المقدس وفرض لغته لا تفقهها كل الشعوب، ليكون الاستبداد باسم الدين كما هو الحال تماما عند شريعاتي، الذي ثار ضد رجال الذين يمتهنون ويشغلون العقيدة الإسلامية ، ويشرعوا لممارسات سياسية منحرفة ومستبدة بحق الشعوب، لذلك عمل على تحريره من كل الخرافات وغربلته من كل الادعاءات التي أبعدت معتنقيه عن أداء الغاية الأساسية من الوجود.

كما أن القومية صمام أمان سياسة التغريب التي شهدها البلد الإيراني بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة، نظرا للسياسات التي باتت الهيمنة الغربية تفرضها بالقوة عن طريق الضغط أو بالعرض عن طريق سياسة الترويج وخلق الاحتياج والإغراء، لذلك أخذ شريعاتي في قلب مشروعه الحضاري موقفا مشرفا وصريحا من الغرب وفلسفته وسياسته، فكانت أرائه في الغرب إصلاحية تقويمية، بينما على مستوى وطنه تأسيسية بنائية.

ومن هنا كانت القومية الجديدة ليست واقعا مجردا قائما بذاته، بل هي رد فعل واعتراض يتحقق ضد السياسة الاستعمارية والامبريالية السوداء المميتة في المجال السياسي والاقتصادي والثقافي، التي هجمت على كل مجتمع يزخر بتاريخ وثقافة وشخصية معنوية ومادية تسمى الأمة، فيقوم بنفي خصائصها الوجودية والماهوية ومحور وجودها القومي، ويغير على ثروتها ويقتل تاريخها ويحتقر ثقافتها ودينها، ويمرغ في الطين أبعادها الاجتماعية وملامحها الإنسانية، حتى تجد نفسها فاقدة لكل محتوى إنساني وشخصية ذات غنى معنوي، ومن هنا تتسلم وتخضع وتخنع للذل والتبعية، فالبعد القومي للحضارة يساعد الأمة في استرداد وجهها والدفاع عن نفسها[1].

البعد القومي رد فعل عن الاستعمار، ومحاولة لإنقاض الشعوب من التبعية والانصهار الكلي في النموذج الغربي، ليعزز الشعور بالانتماء والانفراد بالشخصية والولاء للمجتمع والأمة والهوية، هذه الأخيرة

---

[1] علي شريعاتي: العودة إلى الذات، ص244.

التي تعرضت للانتهاك من طرف جهلة الغرب، فعمل على طحن وجودها واستغلال ثروتها وطمس شخصيتها والاستهزاء بتراثها، فكيف لعالم تعرض لهذا النوع من التعامل أن يؤمن بضرورة إقامة مجتمع ونظام عالمي يوحد الأعراق والأجناس والأمم بموازين القوى المختلفة، وبالرتب الحضارية المتفاوتة.

إن القومية كتوجيه حضاري تدعمه الإيديولوجية، لا يعني عند شريعتي مبدأ الانغلاق والانعزال عن الآخر والتقوقع والالتفاف حول الذات، ولا هو التحزب والتعصب للتاريخ واللغة والجنس أو حتى التراث، فمثل هذه التصورات لا تبني نهضة ولا تشيد حضارة، لا على المستوى القومي أو حتى العالمي، بل تشنق المشروع الحضاري لحظة انبعاثه، فالمآلات المنجزة عنها تعمل على تشتيت الجهود وتمزيق الآراء وطحن الأفكار، وهذه القومية قديمة، " **عبارة عن تصلب رأس مغرور ومتكبر وعنقه يلتوي بمنهجية وتفتح وادعاء أمام الآخرين، ومظاهر جاهلية أرستقراطية وابتلاء بعبادة الملك، لكن القومية الجديدة مثلها أن يقيم رجل حر وذكي رأسه وعنقه في مقابل شيطان أسود استولى على رأسه وعنقه وقيدهما بأنشوطة عبوديته... بالفقر والجهل والتقليد، وأصبح يسميه نصف بدائي ومتأخر في حالة تقدم، ويسميه جائع مستحق للعون وشحاذ من أجل البقاء حي، ومتكئا على عصا من أجل أن يستطيع السير** "[1]؛ ومن خلال المثل والتشبيه الذي صاغه شريعاتي يتضح لنا أي بعد قومي يقصد، فهو بذلك بعيد كل البعد عن القومية القديمة التي لا تخدم الأمة في شيء، بل تحثها على النكوص والتراجع للوراء بقولها بمبدأ التشوهات العالقة بها، فطرح فكرة تبني كيان قومي جديد رأس ماله الوقوف في وجه الاستعمار والاستبداد والتقليد، وأيضا همه التخلص من النظرة الدونية التي حاصرت الإنسان الشرقي كونها انتقصت من شأنه وقللت من قيمته، فهو بذلك دعوة إلى استرجاع السيادة الذاتية والمكانة الحضارية للأمة العربية الإسلامية بين الأمم.

عمل شريعتي على استرجاع الهوية الثقافية للفرد العربي المسلم، لذلك نجده عمل في مشروعه على بناء ذات ثورية ترفض الذل والهوان، ذاتا إسلامية تعتز بتراثها وأصالتها وتاريخها ولا تنكره أم الألعاب العصرية ولا الموضات الغربية.

فالقومية تبنى كاستجابة فطرية لغريزة الإنسان الذي يسعى بالشعور بالانتماء والإحساس بأن هناك من يشاركه روابط تعبر عن هويته، وبأن هناك من يتقاطع معهم في قواسم مشتركة كوحدة المصير ورؤية المستقبل، يقول شريعاتي: " **يجب علينا باعتبارنا كتابا ومفكرين التوجه إلى أشخاص يماثلوننا في آمالنا، يماثلوننا في تاريخنا**

[1] علي شريعاتي: العودة إلى الذات، ص244.

ووضعنا ومصيرنا وماضينا، ليتنا كنا نعرف كاتب ياسين بدلا من برستت، أو كنا نعرف عمر مولود أو عمر أوزقان بدلا من جون بول سارتر...لنعرف أنفسنا عن هذه الطريق، هؤلاء المثقفون الغربيون بقدر ما نعرفهم نبتعد أن أنفسنا "[1]؛ فمنطق البعث الحضاري لا بد أن يكون محليا أي نابع من الثقافة الأصلية للشعوب، ولا يستورد من أي حضارة حققت التطور ووصلت إلى أوج التحضر، والتوجه إلى القامات الفكرية ذات البعد القومي من بني جنسي ووطني، هو أجدر وانفع وأسلم، لماذا ؟، لأن تبنينا لأطروحاتهم واعتناقنا لتوجهاتهم لن يوجد فجوة بينها وبين واقعنا ، كونهم يشاركوننا أيضا الآمال ، ويشتركون معنا في الوضع والتاريخ والمصير، فرغم أن شريعاتي من بين الذين انفتحوا على الغرب ورحب بالعديد من فلسفاتهم وأثنى على الكثير من أفكارهم، إلا أنه يرى في الوقت الذي تعاني منه الأمة تمزقا في الهوية وتشتت في الرؤية الأولى، ما نتعرف على فكرهم هم شركاؤنا فيما سبق ذكره، أما عن معرفة الغربيين فما تزيدنا إلا بعدا عن ذواتنا.

البعد القومي ترجمة صريحة وصارخة في وجه كل من يحاول إقناع العقل الشرقي بتبعية الغرب، وكل من يحاول استيراد الحضارة بدل إنتاجها، وكل من يرضخ في وجه الاستعمار بدل السعي نحو الحرية والتحرر بتحقيق الاستقلال المادي والمعنوي، كما أن الإنسان الشرقي من الناحية الاقتصادية يعمل على استغنائه من البضائع الأوروبية، وتخلص من كونه مجرد مستهلك للصناعات الأوروبية، يسعى كذلك من الناحية المعنوية أن يحقق استقلاله عن الإنتاج المعنوي الغربي، وأن يكون مستغنيا عن البضائع الاستهلاكية الفكرية والروحية الغربية، للوصول إلى الاستقلال الأخلاقي والمعنوي [2]، فالمرحلة الأولى التي يمر بها مشروع شريعاتي في سبيل تحقيقه للنهوض الحضاري واسترجاع مكانة الأمة العربية الإسلامية بين الحضارات هو العمل على التخلص

من كل أشكال الاستعمار، ومظاهر الظلم والاستبداد، بل إلى أبعد من الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي والمعنوي بصفة عامة، عن كل ما له علاقة بالمنتوجات الغربية والصناعات التي جعلت المجتمع الشرقي مجرد سوق استهلاكية، لتأتي بعدها المرحلة الثانية هي استمرار جوهر القومية كوحدة وطنية ترسيخا للهوية وتثبيتا للاستقلال القومي، يقول شريعاتي: " **بعد انتهاك مرحلة النضال ضد الامبريالية، يتغير شكل النضال على**

[1] علي شريعاتي: الإنسان والإسلام، ص ص100،101.
[2] نفسه، ص ص97،98.

الصعيد الحضاري، وأن ينتقل من الداخل، لتستمر القومية كوحدة وطنية في صورة حماسية وفي قلب الميدان الذي غاب عنه العدو، وينبغي اعتقاد القادة القوميين بأن القومية ليست رابطة أبدية ومثال

سرمدي، كما كان الحال في مرحلة النضال ضد الاستعمار، بعد يجب طيها بعد مرحلة الاستقلال، والعمل من أجل الوصول إلى مرحلة المساواة الطبقية، كأن تستعيد الأجناس المحتقرة شخصيتها، تتساوى القوى ويمكنها الاتصال أفقيا بدل خلق تواصل عمودي بين الأمم "[1].

ومنه الوصول على مرحلة العالمية أو الحضارة الإنسانية والتي ينبغي في رأي شريعتي أن تطرح بعد المرور بمرحلة القومية والمساواة الطبقية، ويكون الانفتاح عن العالم بهوية أصيلة وثقافة محلية قد تفيد الكثير من التجارب الناجحة للرصيد الحضاري الكوني، يقول شريعاتي ملخصا ذلك : " **العالمية في رأيي ينبغي أن تكون أمرا مطروحا بعد الانتهاء من المرحلة الطبقية في النضال، وهي مدرسة فكرية تعتقد بقدسية الإنسان، ومن بين مستلزماتها عدم الإيمان بالحدود العرقية والقومية والطبقية، وإذا طرحت في الظروف الحالية لن تكون إلا إخفاء للمتناقضات والتضادات اللاإنسانية، والعالمية دعوة إلى الوحدة البشرية، عندما تكون الوحدة البشرية مفهوما انتزاعيا فلسفيا، أما في العالم الواقعي عالم مستعمر ومستعمر، والمستقل الحاكم والمحكوم المفلس، والمتحضر والمنحط وساكن الدول الاستعمارية والمحلي، الأبيض والأسود، الغربي والشرقي، الرأسمالي والعامل الإقطاعي والأجير، وسوف تكون خدعة وسفسطة "**[2]؛يتفق شريعاتي مع غارودي في إمكانية إقامة حضارة عالمية إنسانية ونجاح مشروع كوني يقدس الإنسان ويعلي من ذاته، ولا

يأخذ في الآن ذاته اعتبارا للحدود الجغرافية أو القومية، ولا حتى الحدود العرقية أو الطبقية، بل يجسد وحدة الشعوب تحت راية واحدة تتجاوز الاختلافات في الانتماء والتوجه، وتتجاوز الصراعات والاصطدامات ليكون شعارها صناعة المستقبل بصفة تشاركية، مستقبلا يخدم الإنسانية جمعاء، إلا أن شريعتي يختلف اختلافا جذريا مع غارودي كونه طرح مشروع الأمل كما يسميه في ظل الأوضاع الحالية.

---

[1] علي شريعاتي: العودة إلى الذات، ص ص451،452.

[2] نفسه، ص452.

إن شريعتي يرى أن طرح مشروع عالمي في ظل الوضع الراهن هو اغتصاب لحق الإنسانية، وتعدي

واضطهاد لمصير العديد من الشعوب والأمم التي قد يضرها هذا التطبيع الحضاري أكثر ما ينفعها، لذا وضح أن الاشتغال على المشاريع الحضارية الهادفة والرامية للتغير والتطور في ظروف العالم اليوم قد يحولها بشكل أو بآخر أو بأخذ مشاريع تخدم العولمة بصورة غير مباشرة، وبدل أن تتحاور الحضارات من خلال شبكة علاقات أفقية وكل حضارة تدلي بدولها في ثري الرصيد الحضاري، يصبح التواصل عموديا، يحكمه مبدأ القوي أولى من الضعيف، والغني سابق عن الفقير.

فالعالمية تأتي كتحصيل حاصل لمراحل سبقها من الاستعمار والنضال ضد أطياف الاستبداد، ويبدو أن شريعاتي يعترف بإمكانية تحقق حضارة عالمية من خلال إيمانه بالدين الإسلامي الذي يأخذ بعدا عالميا، ومن خلال تأثره بالحضارة الإسلامية الحافلة بالمواقف والقرارات الإنسانية، فهي استطاعت وفي عز قوتها أن تقدم نموذج عن العالمية في قالب إنساني، لذلك يقول: " **إذا كان لدراسة تاريخ الحضارات وسير المجتمعات والأديان والمذاهب الفكرية والتجارب العلمية الإنسانية المتنوعة، أثر مفيد ونافع لإنسان اليوم والغد، فإن هذا الشأن يتجلى أكثر في دراسة تاريخ الإسلام، الذي استطاع بفضل كونه واحدا من الأديان الكبرى الثلاثة لأمم وشعوب العالم القديم، أن يجمع الأرصدة والذخائر المادية والمعنوية لتلك الشعوب والأمم ، ويصهرها في صرح حضاري عظيم، ظل شامخا عبر أربعة عشر قرنا من الزمن، وخاض خلالها شتى التجارب والمخاضات الحضارية** "[1].

ثانيا: مرتكزات الانبعاث الحضاري

1- الإسلام عند غارودي:

يعتبر الإسلام في المعادلة الحضارية عند غارودي أهم عناصرها، إن لم نقل الأساس الذي ترتكز عليه

وتنبثق منه، ولا سبيل لتحقيق نهضة شاملة تتسم بالبعد الإنساني والعالمي في معزل عن العقيدة الإسلامية، كما أنها تشكل الدرع الذي يقي البناء الحضاري من الاندثار، والسياج الذي يحضنه من الاختراق، كونه يسع البشرية جمعاء بتنوع مشاربها وثقافاتها وأديانها وتوجهاتها، لأنه يستوعب الإنسان مهما كانت هويته، بالإضافة إلى البعد

[1] علي شريعاتي: معرفة الإسلام، ص ص43،44.

الإنساني الذي يحمل في طياته العديد من المبادئ الأخلاقية والسلوكات القيمية الحافظة للجانب الروحي للحياة، والتي من بين وظائفها أيضا الارتقاء بالأهداف والغايات التي تسطرها الذات لإعطاء معنى لحياتها.

وفي عام 1981، وفي كتاب وعود الإسلام الذي ألفه غارودي صرح فيه بالجوانب الإيجابية للإسلام، تلك الجوانب التي جعلت منه الاختيار والخيار الوحيد والأمثل أمام كل البشر للخروج من المأزق التي تعاني منها، والنجاة من الهلاك المحقق، ومن ثمة التمكن من بناء صرح حضاري قادر على حل المشاكل التي يعيش فيها عالمنا اليوم[1]، الإسلام في إطار رؤية غارودي هو الخيار الوحيد أمام البشرية للتخلص من معاناتها، وأمام كل فيلسوف حضاري أو مفكر في الشأن النهضوي أراد أن يضع معادلة حضارية لأمته ليخرجها من غياهب التخلف، أو إن كانت لديه حضارة أراد أن يلحقها بالركب الإنساني، ولا يمكن لأي دين أو إيديولوجيا أن تحل بدله، أو تلعب نفس الدور الذي يلعبه، أو توازي الأهمية الكبرى التي يحظى بها.

" **كان الإسلام إبان الصراع بين العالم الغربي والشيوعية يستطيع أن يعتبر نفسه الطريق الثالث المبيان لهما، أي أنه الخيار المستقل عن كليهما لفهم العالم والتعامل معه عقديا، أما اليوم فإن الإسلام يطرح نفسه بديلا لكلا النظامين، وذلك لتوفير الحياة على أفضل وجه، وتذليل مشكلاتها المستفحلة** "[2]، فبين الصراع الغربي والشيوعي لم يعد ينظر للإسلام على أنه يتوسط خيارين، بل طرح كبديل في الساحة الفكرية الحضارية، ليقود العالم أجمع إلى بر الأمان، يعالج مشكلاته ويطرح حلا لأزماته، ويستوعب الإنسان بتناقضاته وتقلباته وأبعاده، فلم يقتصر على احتواء البعد المادي فقط كما هو الحال والمقام في النموذج الغربي، بل " **إن الإسلام يغذي في الإنسان الروح، ولكنه يتعامل معه كبدن، وهو ينظم حياة الفرد والمجتمع، ويتضمن أسس النظام السياسي** "[3]؛ فهذا التصورالذي احتوى البعدين الأساسيين للإنسان، جعله في موقف اصطدم مع الغرب ، الذي اكتفى فقط بالجانب المادي مع إهمال الجانب الروحي أو الأخلاقي، إذن الإسلام كدين وحضارة مقابل حضارة الغرب برمتها، لأن القانون الإسلامي يرى نفسه بكل ما في الكلمة من معنى مأخوذ من وحي سماوي،؛

[1] روجي غارودي: لماذا أسلمت، ص85.

[2] مصطفى حلمي: الإسلام والمذاهب الفلسفية، ص..

[3] مصطفى حلمي: الإسلام والمذاهب الفلسفية، ص335.

أي أنه قانون إلهي أو سماوي، ويوصف المخطط الإسلامي كفلسفة للحياة، والذي يعتبر نفسه بديلا بأنه قادم من بيئة مخالفة، يواجه حقيقة الحضارة الغربية الجاهلة بالقيم، والتي تنظر للإباحية باسم الحرية، وهو بهذا المعنى صالح لكل العصور[1]، وفي ظل هذا التصادم بين الحضارتين الإسلامية والغربية، والتباين في المرتكزات الحضارية، فغارودي " **يشير إلى ضرورة تفهم الغرب أن الإسلام يمكنه أن ينقذ العالم كله من ... الحرب النووية، بتقديم النموذج الأمثل للحياة النظيفة الكاملة، يمكنه مرة ثانية أن يبعث الأمل في مجتمعاتنا الغربية التي خربتها الفردية وخربها أنموذج النمو الذي يسوق العالم كله إلى الانتحار** "[2].

الإسلام شرط أساسي لأي انبعاث حضاري، أو لإعادة ترميم حضارة قائمة من قبل على أسس لا تخدم الإنسان، وتؤمن بأهداف تستبيح حرمة الإنسان، فبين هذا وذاك، بإمكان الثقافة الإسلامية أن تقدم حلولا لكل المجتمعات، بما فيها الغربية، كما أن بإمكانها أن تنقذ العالم اليوم من الانتحار لكوني الذي تسبب فيه شعار رفعه وطبقه الغرب، النمو من أجل النمو.

إن ما جعل غارودي يؤسس نموذجه الحضاري على أساس أن الدين الإسلامي يمثل أحد الشروط الأساسية، ومن بين أهم المرتكزات الحضارية أمام كل حضارة، أرادت أن تشيد وأمام كل ريادة ودت لو تتوفر في كل مجالات الحياة، هو تمعنه الشديد في الحضارة الإسلامية، والأوج والازدهار الذي حققته في تاريخها رغم أفولها اليوم وتراجع أدائها، إلا أن غارودي يؤكد على أنها لن تفنى ولن تندثر، وما سبب هذا التراجع إلا بعد المسلمين عن حيثيات دينهم وتخليهم عن جوهر عقيدتهم، إلا أن الإسلام كدين وكحضارة تتوفر فيه كل الخصائص والمميزات الحضارية التي يحلم بها العالم اليوم ويتمناها الإنسان المعاصر، كونه يرى في النموذج الإسلامي مقومات تساعده على حياة أفضل لم يجدها في أي نموذج آخر غيره، هذه المقومات استمدت بل قامت عليها شريعة الدين الإسلامي، وهي :

أ– التوحيد:

" طبيعة هذا الدين وعقيدته تقوم على الألوهية الواحدة...فعقيدة التوحيد هي

---

[1] مصطفى حلمي: الإسلام والمذاهب الفلسفية ، ص336.

[2] روجي غارودي: لماذا أسلمت، ص109.

محور كل شيء في حياة الفرد المسلم، والأمة الإسلامية وغاية الوجود الإنساني هي تحقيق التوحيد لله عز وجل، الذي حدده قوله تعالي: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾، وتحقيق غاية الوجود الإنساني هو الذي تنشأ عنه الحضارة في الواقع البشري "[1]؛ فغارودي يعطي بعدا لعقيدة التوحيد يتجلى في إعطاء معنى للحياة وتشريف الإنسان بمسؤولية اعمار الأرض وصناعة المستقبل، كما أنه يحرره من كل أشكال العبودية، ويعتق حريته من كل سياسة جبرية تفرض وتملي عليه ما يحد من إرادته، وما ينقص من فاعليته، فالإسلام جاء ليعيد صناعة الإنسان الحضاري، وصياغة الأهداف الراقية التي تمثله بتسامي ورقي، وتجعل لحياته معنى، وهذا ما دفع غارودي ليقول: " **أزمة الغايات أو بالأحرى هذا الغياب غياب الغاية الإنسانية والإلهية ، يمكن الإنسان أن يقدم إلى العالم ما ينقصه، وهو نقص معين، نعم يمكن أن يقدم له معنى الحياة** "[2] ، وفي كتابه وعود الإسلام يقول مؤكدا على أهمية العقيدة في الارتقاء بالغايات الإنسانية : " **بأنها عقيدة تربط الإنسان بأصله وبغايته معا، وتعطي معنى لحياته انطلاقا من أركان الإسلام الخمس*** "[3].

ب–شمولية الإسلام:

وهو أحد المبادئ التي أعجب بها غارودي وجعله يثني على الإسلام، ويشيد به على أنه ضرورة من الضرورات التي تفرضها أي نهضة حضارية، لأنه لا يقصي أي جانب من جوانب الحياة، كالسياسة والاقتصاد وغيرها من المجالات الحياتية، وهذا يشمل الإسلام كحياة كلها، بل يكون هو الحياة ذاتها أو منهجا لها، بحيث لا يعطي صورة جزئية عن الحضارة، أو يحشرها في زاوية من الزوايا بل على العكس، يمدها بمدد وتنوع نشاطات الحياة، هكذا يقضي على فكرة أن الدين مستقره المعابد أو المساجد أو الكنائس، التي عزلت الدين وأغلقت عليه في قوقعة لا تكاد تستفيد منه إلا في شعائر تعد على الأصابع، لذلك " **من خصائص العقيدة الإسلامية الشمول والتوازن، شمولها للكيان الإنساني كله روحا وعقلا وجسدا، وشمولها في عرض حقائق الوجود ورد كل ما فيه على الإله الواحد، وتقرير عبودية ما سواه له سبحانه، وتوازنها في علاقة الوحي بالعقل، وكذا فاعلية الإنسان في الكون وفاعلية الكون في الإنسان، وعبودية الإنسان لله وسيادته على**

---

[1] ماجد محمد علي أحمد شبالة: العقيدة الإسلامية ودورها في بناء الحضارة الإنسانية، مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية والتطبيقية، العدد10، دب، نوفمبر 2013، ص96.

[2] روجي غارودي: لماذا أسلمت، ص106.

* للتوسع أكثر: انظر روجي غارودي: وعود الإسلام، ص ص34،35.

[3] نفسه، ص34.

الكون بأمر الله، وأخيرا التوازن بين عالم الغيب وعالم الشهادة في حس المسلم "[1]؛ وهذه الخاصية تضم تحت جناحها العديد من الخصائص التي تمكن الإنسان من تحقيق بعد حضاري شامل، من خلال المشروع الذي يصنعه في سبيل تحقيق التطوير والتغيير، فبعد كون " **أن الإسلام صورة لا تتجزأ دين وجماعة وعقيدة ونظام حياة** "[2]، بهذا البعد الشمولي، فالحضارة أيضا تشمل جميع مناحي الحياة، تستوعب الذات الإنسانية وتعمل على إرادتها وتحريكها نحو الإنتاج والمبادرة، ضف إلى ذلك أن الشمول يضيف خاصية أخرى هي التوازن الذي يضم السير السلس، والاستقرار الأمثل للإنسان، خاصة في تكامل البعدين الجسدي والروحي، فهو بذلك شمول واتزان.

ج– عالمية وإنسانية الإسلام:

وهذا بصفة مباشرة ينقلنا إلى ضرورة الإيمان بإمكانية تحقيق مشروع حضاري إسلامي كوني، ينبض بالإنسانية ويحتكم إلى قيم أخلاقية، لأنه إذا " **اتسمت العقيدة الإسلامية بسمة العالمية الإنسانية، فهي عقيدة بين الإنسان من كل جنس ولون، فليست عقيدة للسادة دون للضعفاء، وليست للبيض دون السود، بل هي عقيدة للبشر جميعا** "[3]، فغارودي يؤمن إيمان عميق لا تزعزعه شكوك المنتقدين بمدى ضرورة بناء نظام حضاري عالمي، كما هو الحال عند الإسلام الذي اكتسح العالم بنيله قبل قوته، وبإقراره للإنسانية وبتوازن مع المادية، ليكون هذا الدين يسع جميع البشرية دون حساسية عرقية، أو تحرج من اللون أو الجنس أو الانتماء

بل سعة الإنسانية تحتوي الجميع من أجل التأسيس لحاضر مشرق وإشراف لمستقبل رائد في مختلف القطاعات والمجالات، وبهذا نتجاوز الحدود الجغرافية والفكرية، لتؤسس في الأخير لمجتمع دون بعد عالمي، يختلف عن سياسة العولمة جملة وتفصيلا لتكون إنسانية الإنسان رأس المال، قبل الإقدام على أي مبادرة حضارية.

فالبعد العالمي ينص على وجوب نهج سياسة الانفتاح والتخلص من كل مظاهر الانغلاق والانعزال والالتفاف على الذات فقط، لتسع دائرة التأثير وتشمل كل الأطياف والألوان في مختلف القطاعات والتخصصات، بعيدا عن رعونة العصبية والقومية والأنفة على القبيلة والعشيرة.

---

[1] ماجد محمد علي أحمد شبالة: العقيدة الإسلامية ودورها في بناء الحضارة الإنسانية، ص98.

[2] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص23.

[3] ماجد محمد علي أحمد شبالة: العقيدة الإسلامية ودورها في بناء الحضارة الإنسانية، ص99.

إذن " **الإسلام لا يعرف أبدا هذا التعصب المتحجر، فالقرآن يعيد ويبدأ أن الله أرسل لكل شعب أنبياءه، لكي يتيح لكل أمة أن تستوعب الرسالة الإلهية على طريقتها** "[1]، وهذا برهنة على سماحة الإسلام وإيمانه بمبدأ الاختلاف، واحترام الشعوب ولغتهم، وهذا مظهر من مظاهر الرقي، كما أن فضل الإسلام يكمن في أنه " **أنقذ العالم من الانحطاط العام والفوضى، وأن القرآن الكريم أعاد إلى ملايين البشر وعي بعدهم الإنسان وروحا جماعية جديدة** "[2].

لقد استطاع غارودي أن يصنع الاستناد على الساحة الفكرية بمشروعه الحضاري الذي يعتقد اعتقادا جازما بأنه بإمكانه أن يكتسب البعد العالمي والصفة الإنسانية، فغالبا المشاريع ذات البعد الكوني تأخذ طابع حب السيطرة والانتشار ولو على حساب القيم التي تصون كرامته وتجعله يصنف في مصف الإنسانية.

والمتأمل في القرآن الكريم سيفقه أن في كثير من الخطابات الإلهية موجهة لعامة الناس كبيرهم وصغيرهم، مؤمنهم وكافرهم، محاولا أن يحتوي البعد الروحي ساعي لخلق جماعة عالمية.

2- الايدولوجيا:

الايدولوجيا بمفهومها الجديد عند شريعاتي تشكل مبحثا أساسيا في فكره ومرتكزا مهما في مشروعه الحضاري، كونها تتسم بالفاعلية وتدعو إلى التشاركية في صناعة المستقبل، وتساهم في تشكيل وبناء شخصية ثورية وذات حية ومستقلة، ترفض الاستغلال والاستعباد وتحبذ الحرية والأصالة في صناعة مختلف القرارات المتعلقة بالأمة، سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، بغية تشكيل حضارة لها هوية على الصعيد القومي والعالمي، وصناعة نهضة ذات منطلقات وثقافة محلية.

---

[1] روجي غارودي: لماذا أسلمت، ص101.

[2] نفسه، ص104.

والايدولوجيا من بين المفاهيم الشائعة في الأوساط الفكرية وفي ضمن المشاريع النهضوية الهادفة الرامية للتغيير والتطوير، وكذلك من بين المصطلحات التي يصعب الإجماع على تعريف واحد لها، وذلك لتعدد أبعادها ومنطلقاتها، والرصيد الفكري والتكوين الثقافي المعرف لها، ويعتبر مفهوم الايدولوجيا القديم من بين المفاهيم التي تعرض للنقد اللاذع من قبل الفلاسفة والمفكرين والمثقفين، كونه معنى ينص على الانغلاق والتعصب العرقي وقطع الطريق أمام كل إرادة تريد الانفتاح عن ثقافة العالم، كما أنها كانت مجرد حركة تبريرية، إما لوضع اجتماعي قائم أو لنظام سياسي يحكم، إلا أن مفهومها عند شريعاتي اختلف بنتا، وعرفها على أنها: " **ثورة فكرية وإيمان حار بالأفكار التي تغير الروح والعرق والرؤية وكل شيء، والايدولوجيا ما يخلف الفوران الداخلي ... والخصوبة والثقافة والحضارة الحقيقية عند الناس** "[1]، والايدولوجيا عند شريعاتي مفهومها فضفاض، بمعنى تتسع كل الإيديولوجيات باختلافها وتنوع أطيافها ومشاربها، ويجمع في الأخير على أنها كل بإمكانه إيجاد فكر ثوري تحريري قادر على تحريك التاريخ وصناعة واقع أفضل مما هو عليه، لنصل في الأخير إلى تأسيس حضارة أو مجتمع حضاري حقيقي وأصيل.

وبهذا المفهوم أيضا يتفرد ويتميز شريعاتي الإيديولوجية التي يؤمن بها، حيث أن الايدولوجيا ليست مجرد رصيد فكري فقط يعتمد على رصد المعلومات في قالب ونظام كل ما يقوم به هو التبرير وإعطاء وإضفاء الشرعية للنظم، مهما كانت واجهتها، بل يعدها أكثر من ذلك، هي بمثابة قوة معنوية ونزعة محافظة على الهوية، تعمل على إخراج المجتمع من هامش التاريخ إلى دائرة التأثير، كما أنها تنبذ كل أشكال الاستعمار والاستبداد والتقليد.

إن الهدف الأساسي الذي يرمي إليه البعد الإيديولوجي هو تحرير أي ثقافة أو حضارة من ثقافة الاستيراد، سواء الاستيراد الفكري أو المادي، وقبل ذلك تحرير افرد والمجتمع من قيود النظم السياسية المستبدة، ولو كان ذلك باسم الدين، وعتقها من الاحتكار والتهكم، فوظيفتها الأولية والأساسية النقد، انطلاقا من ثوابت وطنية ذات بعد قومي، ومبادئ قد تكون دينية أو إنسانية، لذلك " **أراد شريعاتي في الايدولوجيا الجديدة التي أراد بنائها بالعدة على الذات ووعي العصر، هو إضافة إلى تغطية الواقع العاري، ووضع الانسجام في شبكة العلاقات الاجتماعية، وامتلاك الوعي والنباهة الفكرية لدحض وكشف مخططات التزوير** "[2]،

[1] علي شريعاتي: العودة إلى الذات، ص247.

[2] علي شريعاتي: النباهة والاستحمار، ص52.

فمنطلقات أي حضارة عندما تأخذ بعدا محليا أي بالرجوع إلى الذات بمعنى أعمق؛ العودة إلى المجتمع الأصيل ووعي العصر تنتج لنا نهضة تنسجم ومتطلبات الشعوب، وكونها طاقة معنوية فإنها توطد العلاقات الاجتماعية، مما يعظم مشاعر اللحمة والوحدة والاشتراك في الهوية والمصير، ومن ثمة التكافل والتعاون لكشف كل المخططات الاستعمارية والسياسات التغريبية التي تريد أن تلحق الضرر بالبلد، أو أن تسلب أصالته وتاريخه وإنسانيته وقيمه.

وبالرغم من أن شريعاتي يقر بأن إيديولوجيته إسلامية بمعنى الإسلام في تصوره يأخذ بعدا أيديولوجي قادر على تحريك عجلة التنمية للوصول إلى حضارة إنسانية، إلا أنه لا يتوقف عنده ولا يجعله شرطا لأي نهضة، بل على كل إنسان أو ذات مهما كانت عقيدتها وانتماءها الفكري أو ما يحركها يعتبر إيديولوجيا ، منتجة وصانعة للحدث والتغيير، وذلك لإيمانه العميق أن الشعور بالانتماء والإيمان ببعض المبادئ التي لا يمكن التنازل عنها، دافع قوي لتغيير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتحرر من كل القيود وسياسات الاستعباد، لذلك يقول: " **الرسالة الإسلامية جاء لتحرير العباد، من عبادة العباد، الاستعباد إلى عبادة رب العباد الحرية الربانية** "[1]؛ هنا الرسالة التي جاء الإسلام ذات بعد إيديولوجي تحريري، يوحد النظرة للدين على أن مهمته الأساسية الخروج من دائرة الجمود والانحطاط الذي تسببت فيه السلطة إلى الفاعلية والإبداع الثورية التي يحملها الدين في طياته.

سبق وأن أشرنا أن شريعاتي لا يعتبر الإسلام كايدولوجيا هو المرتكز الوحيد الذي تتوقف عليه الحضارة، وهذا بعدما تأمل في مجموعة من الحضارات التي شهدها العالم على مر التاريخ، ألا ولكل واحدة منها إيديولوجيتها الخاصة بمبادئها وثوابتها الخاصة، وهذا ما يختلف فيه مع غارودي الذي يرى أنه لا بديل عن الإسلام مهما كانت العقائد والإيديولوجيات، ويقول موضحا ذلك : " **إن ما يجعل الأرض في رأيي صالحة للإنبات هو الإيديولوجية، رؤية كونية متحركة، وأهداف مشتركة، أو ما يعبر عنه بكلمة واحدة الإيمان، وهو ما يوجد حركة وقدر ووسائل ووحدة في المجتمع، فثقافة الهند الروحية العميقة، والمسيحية والحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية الحديثة، كل واحدة منها كانت وليدة حركة فكرية وقومية دينية**

[1] علي شريعاتي: النباهة والاستحمار، ص53.

"[1]، فمحرك عجلة الحضارة هو الايدولوجيا، فهي تعمل على توحيد الرؤى والأهداف، وما يضاعف في قوة الإيمان بالفكرة ووحدة المجتمع، ومنه تدفع إلى استعمال الإرادة وتحريكها للإنتاج والإبداع.

وهناك دليل آخر على دور الايدولوجيا في وضع القرار والنهضة بالبلد نحو الاستقرار هو النبوغ الفلسفي والعلمي الذي شهدته إيران بعد الإسلام، وفي خلال قرنين أو ثلاثة من أنها كانت مرحلة هزيمة سياسية وعسكرية وقومية، إلا أنها فترة شهدت شخصيات إيرانية عظيمة في كل فروع الفكر والأدب والصناعات، وسيطر الفكر الإيراني في الثقافة والعلوم الإسلامية على كل الأمم المتحضرة، في عالم ذلك العصر، ولم يحدث ذلك قبل[2].

رغم أن الإسلام كايدولوجيا في نظر شريعاتي وما حققه من انجازات ، سواء الثورة الإيرانية أو ازدهار حضارتها أو في الحضارة الإسلامية وعظمة انجازاتها، إلا أنه يقول لكل حضارة خصوصيتها وبعدها المحلي ، الذي وجب أن تنطلق منه، وأن تكشف من الذين يؤمنون به داخل مجتمعاتها، فتصوره للقومية ينطبق على تصوره للايدولوجيا.

العامل الأساسي في الايدولوجيا أن تكون قادرة على صناعة التغيير، وتغيير مسيرة التاريخ، يقول شريعاتي: " **على كل حال، سواء كنا دينيين أو علمانيين، كنا اشتراكيين أو ليبراليين، ينبغي أن ننظر للإنسان كإرادة ذات دخل، وكعامل يستطيع أن يغير قدره التاريخي ... ومن هنا فإن الوعي فحسب هو الذي يستطيع أن يغير المصير، ويغير مسيرة التاريخ وفق هوى الإنسان** "[3].

وأي مجتمع أيا كانت المرحلة التاريخية الذي هو فيها، يستطيع الإنسان فيه أن يصل إلى الوعي الاجتماعي، كما يستطيع أن تتسلح بايدولوجيا طبقة متقدمة، والوعي يعني العلم بكيفية المجتمع والتاريخ ، والظروف الطبقية والإيديولوجية تعني كيفية حياة الإنسان، وكيفية صنع المجتمع، وبعبارة أخرى القدر الذي يقول به الإنسان بالنسبة لنفسه ولمجتمعه، والمنظر صاحب الإيديولوجية هو المخطط المثالي للمجتمع "[4].

---

[1] علي شريعاتي: العودةإلى الذات، ص189.

[2]نفسه، الصفحة نفسها.

[3] نفسه، ص127.

[4] نفسه، ص129.

المبحث الثالث: استنتاج

بعد تعرضنا لكل من فكر غارودي وشريعاتي والوقوف والتمعن في مواطن الاتفاق ومواقف التباين ، نصل إلى مجموعة من الاستنتاجات، ففي ظل الصراعات التي شهدها العالم بعد الحربين العالميتين، والمنطق الذي أًبح يتحكم فيه من مادية وميزان التقييم للبشرية، القائم على النمو والتقدم واستبعاد أي شكل من أشكال الجانب الإنساني وتمزق الرؤية الإنسانية، جاءت رؤية غارودي ومشروعه الحضاري، الذي يتسم بفكر منفتح متطلع عما أنتجه الغير مهما كان لا على التعيين، بعيدا عن الانغلاق ولتعصب، وهذا ما أدى به إلى إعطاء أهمية كبرى لقيمة الحوار الحضاري، الذي أراد من خلاله تنظيم العلاقات بين الحضارات، بإيجاد أرضية مشتركة ورؤية موحدة من أجل التفاهم والتحاور والتشاور بين الحضارات الغربية واللاغربية.

وقبل أن يؤسس غارودي مشروعه الكوني الحضاري، انتهج سياسة النقد والتقويم ثم التأسيس من جديد وتقديم البديل، لذلك اتخذ موقفا جريئا وصريحا من النموذج الغربي، وسلط الضوء بكل موضوعية عن المآلات التي يقود إليها، بل لم يكتف بذلك فحذر منها.

فما عابه غارودي على الغرب الذاتية المفرطة والفردية الصارخة، ليؤسس مجتمع يقوم على روح جماعية تحتوي الإنسان بكل أبعاده، وهذا ما أدى به إلى رفع شعار الإنسانية كأحد المبررات التي توحد شعوب الكرة الأرضية.

هدف غارودي من خلال مشروعه إلى تأسيس نظام عالمي إنساني يتطلع للمستقبل، بنظرة أمل وتفاؤل لتأمين واقع أفضل للأمم، في حين أن الغرب كان يسعى لعرض وبسط تجربة العولمة وفرض الرأسمالية على العالم، وهذا ما دفعه للقول بأن: " **لن يكون ثمة نظام عالمي جديد بدون نظام ثقافي عالمي جديد، إنما النظام العالمي الثقافي الجديد هو الانتقال من الهيمنة الغربية إلى التشاور على مستوى الكرة الأرضية، لإعادة تحديد مواصفات مشروع إنساني شامل** "[1].

---

[1] روجي غارودي: وعود الإسلام، ص20.

عمل غارودي على تحديد مشكلات الإنسان المعاصر وتقديم حلول وبدائل لها، من أجل تحقيق إنسانية

الإنسان، والابتعاد عن بعده الجوهري، وهذا ما جعل مشروعه يحتكم إلى مبادئ أخلاقية ويتأسس على قيم روحية، وهب قيم سامية استمدها من الإنسان، فمشروعه ليس فقط مشروع اقتصادي وسياسي بل حضاري بأبعاد دينية، وهذا ما أكسب فلسفته سمة التعالي والتسامي، الذي استطاع أن يمد للإنسان علاج لاغترابه وفردانيته بأنسنته بتعاليم الدين، التي ردت له روحه وذاته، والحياة الاجتماعية التي تعترف بالآخر وتتعايش معه، فهو يرى في الدين مهما كان حلا لمعظم المعضلات التي تعترض طريق الإنسان، لذلك يقول: " **إن الحل هو استدعاء الإيمان الذي يمكن أن نسميه إلها أو أي اسم آخر، فإن المهم هو ما يحدثه هذا الإيمان في حياتك، لأن الدين ليس إلا طريقة في التفكير والاعتقاد، لكن الإيمان هو طريقة في الحياة، فلنبحث سويا إذن** "[1].

يمكننا وسم رؤية غارودي بأنها رؤية شاملة تكاملية متوازنة، بمعنى شاملة أنها عملت على الارتقاء وتطوير المجال الاقتصادي والسياسي والثقافي والتربوي وحتى الديني، وشاملة كونها احتوت الإنسان بكل أبعاده ولمختلف تناقضاته، فلم تتجاوز فيه بعدا واحدا ولم تنكر عليه طبيعته الجوهرية، أما فيما يخص متوازن أي أنه استطاع أن يوازن بين الروح والجسد، بين الفكرة والعمل، بين النظام والنضال، بين النقد والتأسيس وتقديم البدائل.

إن أثر غارودي الفكري استطاع أن يتجاوز جغرافية الغرب وحدوده المكانية، ليكتسح العالم بنعومة أفكاره، لا بفرض سياسة الهيمنة والاستعباد، بل استطاع أن يعالج بفكرة التسامح قضايا متعلقة بالعالم العربي الإسلامي أو دول العالم الثالث عموما، مقدما لها حلول ناجعة، ويدخلها حضاراتها الحضارات اللاغربية دائرة الفاعلية والتأثير، بل الاستفادة بل رصيد تجاربها الثري.

[1] روجي غارودي: الإرهاب الغربي، ص21.

يرى عالمية الحضارة كما عالمية الإسلام الذي توصل على أنه عنصر أساسي ومرتكز مهم لأي نهضة حضارية ولأي حضارة إنسانية، معجب بمنطقه الانفتاحي، واقراره بسياسة التعايش السلمي بين الأديان، ومبدأ التحاور بين الحضارات، والأكثر من ذلك تأثره الشديد بالقيم الروحية التي تصلح علاقة الإنسان بربه ومجتمعه.

وفي الجهة المقابلة نجد فكر شريعاتي، هذا الفيلسوف لم يستلم لأمر الواقع المرير وما يشهده العالم العربي والإسلامي من تراجع وانحطاط وتخلف مس كل مجالات الحياة حتى الجانب المقدس وهو الدين، الذي بسبب بعض المنحرفين من معتنقيه اتخذوه وسيلة للمساهمة في هذا الجمود الفكري، لذلك مشروع شريعاتي جاء بداية لمناهضة كل سياسات التعسف التي ترتكب بسبب الفهم الخاطئ للدين، أو التحريف والتزوير التي تعرضت له معانيه، بالإضافة إلى مقاومة سياسات التغريب وحملات الاستعمار التي شنها الغرب على الشرق.

عمل شريعاتي على تحرير إرادة الإنسان وتحريضها على بذل الجهد واستفراغ الوسع للخروج بالعالم الإسلامي من التسلط والانحطاط وكل أشكال الاستعباد والاستحمار، إلى التقدم والتطور والتغيير، للوصول إلى دائرة الفاعلية والريادة والتأثير.

أراد من كل ما سبق أن يسترجع للأمة العربية الإسلامية مكانتها الحضارية بين الأمم، التي سلبت منها قسرا لإيصالها للتحضر والتقدم، لقد تمكن شريعاتي من أن يحفظ العالم الشرقي من خيارين مهلكين، لم يكن على الفرد اسم خيار

الفكر القومي كمرحلة أولى وكخيار مبدئي أمام الأمم التي تعاني من التخلف، قبل الخوض في أي نظام عالمي من منطلق الإنسانية، والهدف من ذلك هو الاعتزاز بهويته ودينه، ومن ثمة تأسيس حضارة قومية، حتى إذا ما دخل للعالمية دخل برصيد من التجارب والخبرات الحضارية.

شريعاتي أخذ هو الآخر موقف نقدي من الغرب باحثا عن العدالة الاجتماعية بين الأمم، نابذا ما يمارسونه من سياسات الاستغلال واستغفال ضد العالم العربي الإسلامي، رافضا ثقافتهم ، باعتبارها منطلقات في تشكيل نموذجه الحضاري، وفي الآن ذاته يقر بالانفتاح ويغترف بإمكانية قيام حضارة عالمية، لكن بعد تحقيق نهضة قومية، وهذا ما دفع أحد المفكرين ، يقول علينا ك " **أن نأتي للقضايا التي طرحها انطلاقا**

من فهمه للثقافة الإسلامية، ونعيد تأسيسها ومطابقته في إطار أُول الرؤية الفلسفية للكون (الكونية) للإسلام "[1].

" إن الإطار التأسيسي الذي يجعل الدكتور شريعاتي في إطار الرواد الأوائل، يمثل في قدرته البيانية الفائقة في طرح الإسلام بلغة جريئة، تتناسب مع ثقافة الجيل يومذاك، وإذا كان الكثيرون ولجوا قبله هذا المجال، فإن النجاح الذي حققه شريعاتي لم يحققه أحد سواه "[2]؛ يؤمن شريعاتي بإمكانية تكفل الإسلام ببعث حضاري ينقل الأمة من الجمود إلى الفاعلية، وما إن حررناه من كل التشوهات والفهوم الخاطئة التي حاول البعض من رجال الدين تمريرها، تبريرا لسياسات السلطة وممارساتها، واكبر ما حققه شريعاتي من خلال طرحه الصحيح للدين الذي أعاد للإسلام سياقه التي أرسل من أجله، أن يطيح بالنظام السياسي للملك شاه ، هذا النظام الذي كرس سياسة التغريب في إيران، فكان بفضل قدرته البيانية وإتقانه للغة الشباب أن يكون ملهم الثورة كما يسميه البعض، ليتوج في الأخير كل انجازاته بتكوين شخصية إسلامية أصيلة ثائرة على كل ظلم واستبداد، ساعية لتحقيق التقدم والتغير في مختلف مجالات الحياة.

وما نخلص إليه بعد عرض مزايا كلا المشروعين الحضاريين لكل من الفيلسوفين غارودي وشريعاتي؛ أن كليهما كان له أثر إصلاحي على المستوى المحلي أو حتى العلمي، وكلاهما أيضا أعطى قيمة للتصور الإنساني، بل أعاد صياغته من جديد وفق ما يحفظ كرامته وقدسيته، وما يتناسب مع إنسانيته وجوهره.

اشتركا في مبدأ الفاعلية والمساهمة الإيجابية في ميدان التأثير والتطوير والتغيير، فظهرت فلسفة الفعل عند غارودي، قابلها الفقه الثوري عند شريعاتي، كما أنهم عملوا على تقديس الإنسانية وأعادوا بعثها وإدراجها ضمن مشاريعهم النهضوية.

([1]) علي شريعاتي: الشهادة، دار الأمير، بيروت، ط2، 2007، ص22.

[2] علي شريعاتي: الشهادة ، ص23.

أما في شأن ما يختلف فيه غارودي عن شريعاتي ويخالفه فيه، هو مسألة أن غارودي يتحدث عن بعد عالمي يشمل مجتمع كوني يسوده الأمن والأمان والمسؤولية والاطمئنان عن مصير الإنسان، بينما شريعاتي فالبعد الحضاري الذي يراه من وراء رؤيته الحضارية هو بعد قومي، يشكل بوعي ذاتي ومجتمعي، وإدراك قيمة المرجعية المحلية الإسلامية، وأولوية بناء هوية خاصة، لتأتي بعدها مرحلة العالمية، كما أن غارودي يرى أن الايدولوجيا قادرة على تحقيق نهضة شاملة وهو الإسلام، بينما يذهب شريعاتي إلى أدلجة الدين، والقول بأن أي إيديولوجيا سواء ليبرالية أو رأسمالية، إسلامية أو مسيحية بإمكانها أن تنقل المجتمع من التخلف إلى التحضر.

وكتقييم عام لمشروع كل من غارودي وشريعتي؛ يظهر للعيان أن غارودي اتسم فكره بالحرية والتحرر من قيود أي إيديولوجيا قبل وصوله إلى الإسلام، والدليل على ذلك قراءته لكل الفلسفات السابقة بتنوعها وتقييمها وإصدار الأحكام على كل الأفكار وتقويمها، مهما كان المنتقد لا يخشى فيه لومة لائم، لأن هدفه الوصول إلى الحقيقة والعمل على التمكين بجوهر الإنسان وإنسانيته، وصولا إلى قناعة مفادها مشروطية الدين الإسلامي كأساس لكل انبعاث حضاري، ولكل انطلاق نهضوي.

يبدو أن هناك تكامل بين الرؤيتين الحضاريتين لكل من غارودي وشريعاتي، وهذا ما يفسح المجال بإمكانية المزج بين المعادلتين الحضاريتين لكلا المفكرين، لتكون سبيلا أمام كل أمة من العالم الشرقي تعاني من التخلف وتئن من التمزق، لتشرع بداية بولوج وتبني مشروع شريعاتي، خاصة وأنه يقر بأن أي إيديولوجيا قادرة على تحريك الإرادة الإنسانية، يشكل بذلك هوية لأمته ويرسخ ثقافتها المحلية، حتى ما إن اتجه للعلمية يكون له لقب يميزه عن غيره، ويكون له رصيد من التجارب بإمكانه أن يفيد به غيره من المجتمعات الإنسانية ، تتلاقح الخبرات وتأخذ بعدا كونية، مثل التجربة العالمية التي بث رؤيتها غارودي من خلال صناعته لمعالم مشروع ذو طابع نقدي تأسيسي، عابر للحدود الجغرافية متجاوزا للجنس والعرق والدين، يختلف اختلافا جذريا عن العولمة الغربية، بعيدا عن أهداف الهيمنة، لتكون الإنسانية شعاره والقيم الأخلاقية مبدأه وطموحه.

المعادلة الحضارية عند غارودي:

الحضارة= الإنسان (فلسفة الفعل)+ ثورة+ فكر+ سلطة+ الإسلام+ الوقت.

المعادلة الحضارية عند شريعاتي:

الحضارة= الإنسان (ثورة)+ الوعي+ فكرة+ إيديولوجيا+ الوقت.

خاتمة

خاتمـــة:

بعد عرض أفكار كل من غاغرودي وشريعاتي، وإجراء التحليل والمقارنة من أجل الوصول إلى حل الإشكالية المطروحة، استخلصت جملة من النتائج أهمها:

- إن كل من غارودي وشريعاتي اعتمدوا منهج النقد البناء، أي دحض النموذج الغربي، وتبين عيوبه ومزالقه ، ثم تقديم البديل الذي يكفل أن يكون حل لمشاكل الإنسان وأزماته.

- كرس غارودي وشريعاتي أقلامهم وفحوى مشاريعهم من أجل الدفاع عن إنسانية الإنسان وإبراز دوره الحضاري، وضرورة إنقاذه من الإفلاس الفكري، والاغتراب الحضاري والاستلاب الأخلاقي، والافتقار المعنوي. لقد أعطى كل منهما للإنسان أبعاده المختلفة، دون الاقتصار والاكتفاء بالبعد المادي على حساب البعد الانساني، كما هو الحال عند الغرب، بل إن القيم الأخلاقية والإنسانية أخذت موقعا مهما في تصور كل منهما.

- عمل كل من غارودي وشريعاتي على تحرير الإرادة الإنسانية وعتقها من كل أشكال الاستعمار وسياسات الاستعباد، للانتقال بالأوساط الاجتماعية من النكوص والتراجع إلى المبادرة والتقدم، ومن التخلف والتبعية ، إلى الريادة والفاعلية، من أجل مساهمة الإنسان في صناعة واقعه واستشراف مستقبله، والتمكين لحضارة تحقق سعادته، وتلبي احتياجاته المادية والمعنوية.

- أما بالنسبة لما اختلف فيه غارودي عن شريعاتي؛ هو أن طموح غارودي من خلال مشروعه الحضاري هو تأسيس نظام عالمي كوني إنساني، ولقد انفرد وتميز بها الطرح عن طرح العولمة التي تنادي بالعالمية دون مراعاة النزعة الإنسانية، عالم تسوده منهجية الحوار بين مختلف الحضارات الغربية واللاغربية، عالم يوحده البعد الإنساني بعيدا عن التقسيمات الجغرافية والعرقية والجنسية، في حين نجد شريعاتي يعطي أولوية للبعد القومي في رؤيته الحضارية، ويستند إلى التراث والهوية الإسلامية في صياغة الإنسان وفي بعث نهضة حضارية كمرحلة أولية وضرورية، ليمر بعده إلى فكرة العالمية التي تأتي تبعا لمرحلة القومية، وقد استقى هذه الفكرة من الدين الإسلامي كونه ذو بعد كوني.

– ونلمس فرقا آخر أيضا في اعتماد غارودي الإسلام شرطا ضروريا لاي نهضة حضارية ولأي مشروع إصلاحي، ولا يضع بديلا عن ذلك، بيد أن شريعاتي يسلم بأن أي إيديولوجيا بإمكانها إحداث تغيير، يحقق التقدم والتطور، بغض النظر عن نوع هذه الايدولوجيا دينية كانت علمية، قومية كانت أو إنسانية، فهي بمثابة التنظير الفكري الذي يسبق مبادرات الإنسان الفعلية، بل هي من تشرف وتعمل على تحريكه نحو التطور والتقدم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: / قائمة المصادر

1- روجي غارودي: الإرهاب الغربي، ج1، تر داني الطوخي وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2004،

2- روجي غارودي: الإرهاب الغربي، ج2، مكتبة الشروق الدولية، دب، ط1، 2004

3- روجي غارودي: البنيوية فلسفة موت الإنسان، تر جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1979

4- روجي غارودي: حفار والقبور، تر عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002،

5- روجي غارودي: كيف صنعنا القرن العشرين، تر ليلى حافظ، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2001

6- روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، ترجمة منى طلبة، أنور مغيث، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002،

7- روجي غارودي: مشروع الأمل، دار الآداب، بيروت، ط1، 1977

8- روجي غارودي: نظرات حول الإنسان، تر يحي هويدي، دد، القاهرة، ط3، 2002، دط، 1983،

9- علي شريعاتي: الإسلام ومدارس الغرب، تر عباس الترجمان، دار الأمير، بيروت، ط1، 2008،

10- علي شريعاتي: الشهادة، دار الأمير، بيروت، ط2، 2007.

11- علي شريعاتي: العودة إلى الذات، مركز الحضارة لتنمية الفكر، بيروت، ط1، 2010،

12- علي شريعاتي: النباهة والإستحمار، تر هادي السيد ياسين، دار الأمير، بيروت، ط1، 2004.

13- علي شريعاتي: بناء الذات الثورية، تر إبراهيم دسوقي، دار الأمير، بيروت، 2005.

14- علي شريعاتي: تاريخ ومعرفة الأديان، ج1، تر حسين النصيري، دار الأمير، لبنان، ط1، 2008.

15- علي شريعاتي: محمد (ص) خاتم النبيين من الهجرة حتى الوفاة، تر أبو علي الموسوي، دار الأمير، بيروت، ط2، 2007.

16- علي شريعتي: تناريخ الحضارة، تر حسين نصيري، دار الأمير، بيروت، ط2، 2007.

ثانيا: / المراجع:

17- اميل برييه: اتجاهات الفلسفة المعاصرة، تر محمود قاسم، دار الكشاف، الاسكندرية، مصر، دط، 1998.

18- أنور الجندي: حضارة الإسلام تشرق من جديد، دار الانصار، القاهرة، دط، دت.

19- أنور الجندي: الفكر الغربي دراسة نقدية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1، 1987.

20- تيسير شيخ الأرض: إرادة الحضارة، دار فاضل، دمشق، دط، 1991.

21- جان بول سارتر: الوجودية مذهب انساني.

22- جميل قاسم: الهجرة إلى الذات علي شريعاتي، مركز الحضارة لتنمية الفكر، بيروت، ط1، 2010.

23- حبيب الله باباتي: جدلية النظر والعمل، في التاسيس الإسلامي لألهيات الحضارة، تر حسن صافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2014.

24- حسين فوزي النجار: الإسلام وفلسفة الحضارة، دار التعاون، القاهرة، دط، دت.

25- حسين مؤنس: الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المجلس الوطني للثقافة، والفنون والآداب، الكويت، دط، 1978.

26- الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، دار صبحي، غرداية، ط1، 2015.

27- دنيا محمد بازركان: يسقط الإستحمار روائع أفكار علي شريعاتي، مركز الناقد الثقافي، دمشق، ط1، 2010.

28- رولان بريتون: جغرافيا الحضارات، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1993.

29- طه جابر العلواني: الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الهادي، بيروت، ط1، 2003.

30- عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج2، دار البلخي، دمشق، 2004، دت.

31- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج2، دار النهضة، مصر، دت.

32- عبد الرزاق جبران: علي شريعاتي وتجديد الفكر الديني بين العودة إلى الذات وبناء الإيديولوجية، دار الأمير، بيروت، ط1، 2002.

33- عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط1، ..2002

علي حنفي محمود: قراءة نقدية في وجودية سارتر، المكتبة القومية الحديثة، طنطاء، دط، 1996.

34- عيساوة وهيبة: مفهوم الحضارة عند ابن خلدون وأبعاده، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد2، الجزائر، 2006.

35- فاضل رسول: هكذا تكلم شريعاتي، دار الكلمة، بيروت، ط، 1987.

36- فتحي أنقرو، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت_لبنان، ط1، 2007.

37- فيرز راد، أمير رضائي: دراسة اجتماعية في مفهوم التنمية الثقافية عند علي شريعاتي، مركز الحضارة لتنمية لفكر الإسلامي، بيروت، ط2، 2016.

38- كتاب جماعي لمجموعة من البحوث في إطار النشاطات العلمية لمخبر حوارات الحضارات والعولمة، اشراف عبد المجيد عمراني، دار قانة للنشر والتجليد، باتنة، الجزائر، دط، 2015.

39- لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2013.

40- مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط1، 2013.

41- محمد بومانة وآخرون: مبادئ الفلسفة العامة، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، دط، 2015.

42- محمد حسين هيكل، مدافع آية الله: قصة إيران والثورة، دار الشروق، بيروت، ط6،2002.

43- مصطفى حلمي: الإسلام والمذاهب الفلسفية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005.

44- موريس دوقرجيه: مدخل إلى علم السياسة، تر كمال الأناسي وساكيبي الدروبي، دار دمشق، دمشق، دط، دت.

45- ناصر بن سعيد بن سيف السيف: أسس الحرية في الفكر الغربي، ط1، 2018.

46- ول ديورانت: نشأة الحضارة، زكي نجيب محمود، ج1، المجلد الأول، دد، بيروت، دط، دت.

47- وليد عبد الناصر: إيران دراسة عن الثورة والدولة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1997.

48- يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة، القاهرة، ط، 1993.

ثالثا: / المعاجم والموسوعات:

49- ابن منظور: لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، ط1، 1955،

50- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: أحمد خليل أحمد، م1، ط2، منشورات عويدات، بيروت، د س.

51- جمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، بيروت، دط، 1994.

52- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، مادة الحضارة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1982

53- جورج طرابيشي: المعجم الفلسفي، مادة روجي غارودي، دار الطليعة، بيروت، ط، 2006.

54- عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.

رابعا: / المذكرات والرسائل الجامعية:

55- خالد عودة الله: دراسة في النقد الاجتماعي، رسالة ماجستير، بيزيت، فلسطين، 2006،

56- الشريف طاوطاو: الإنسان في فلسفة روجي غارودي، ج2، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه للعلوم في الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 2010، غير منشورة.

خامسا:/ المجلات والدوريات:

57- أحمد جاسم إبراهيم الشمري: مشروع حوار الحضارات أبعاده ومستقبله، مجلة بابل للدراسات الإنسانية، العدد4، دت، 2016،.

58- جديدي زليخة: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد8، الجزائر، جوان، 2012،

59- حنان فيض الله الحسيني: أثر الرؤية التوحيدية في سم ملامح الإنسان عند علي شريعاتي وعلي عزت بيجوفيتش، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد95، دت، 2019.

60- ماجد محمد علي أحمد شبالة: العقيدة الإسلامية ودورها في بناء الحضارة الإنسانية، مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية والتطبيقية، العدد10، دب، نوفمبر 2013.

61- محمد جعرير: أسس حوار الحضارات في الإسلام، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد14، جانفي 2018.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمـة: ..... أ

الفصل الأول: الحضارة عند غارودي. ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

المبحث الأول: مفهوم الحضارة 4

أولا: مفهوم الحضارة عند العرب. 4

ثانيا: مفهوم الحضارة عند الغرب: 6

ثالثا: الحضارة عند غارودي 7

المبحث الثاني: الفلسفة والحضارة 8

أولا: مفهوم الفلسفة 8

ثانيا: نقد الفلسفة الغربية 10

المبحث الثالث: الإنسان ودوره في صناعة الحضارة 21

أولا: فلسفة الفعل 21

ثانيا: مشروع الانسنة ودوره في حل مشكلة الإنسان والحضارة. 31

ثالثا: دور الإسلام في حل أزمات الإنسان الحضارية 44

الفصل الثاني: الحضارة عند شريعاتي. ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

المبحث الأول: مفهوم الحضارة والثقافة عند علي شريعاتي. 48

أولا: مفهوم الحضارة عند شريعتي 48

ثانيا: مفهوم الثقافة عند شريعاتي 51

المبحث الثاني: دواعي المشروع الحضاري 55

أولا:أزمة الوعي الديني 56

ثانيا: موقف علي شريعاتي الحضاري من الغرب: 63

ثالثا: سياسة التغريب والتبعية والتقليد:..... 71

المبحث الثالث: الانسان ودوره في المشروع الحضاري عند شريعاتي.....74

أولا: الذات الإنسانية عند شريعاتي.....74

ثانيا: الاصلاحات السياسية والاقتصادية عند شريعاتي.....80

ثالثا: دور الايدولوجيا في بناء الحضارة 87

الفصل الثالث: مكانة الإنسان الحضارية بين غارودي وشريعاتي .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

المبحث الأول: مواطن الاتفاق بين غارودي وشريعاتي..... 96

أولا: الرؤية النقدية للغرب 96

ثانيا: السمة للإنسانية للحضارة..... 101

المبحث الثاني: مواطن الاختلاف بين مشروع غارودي وشريعاتي 106

أولا: الأبعاد الحضارية لمشروع غارودي وشريعاتي 106

ثانيا: مرتكزات الانبعاث الحضاري..... 117

المبحث الثالث: استنتاج..... 126

خاتمـة: 133

قائمة المصادر والمراجع: .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**